البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الثامن عشر

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الثامن عشر

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد الثامن عشر .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة

التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ — براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م — ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي . - الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٤٥٠ ؛ ١٥,٥ X ٢٣,٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٥-٠٦-٧٢٠-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) — تاريخ — العصر الحديث — الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) — تاريخ — عصر اليعاربة ٣ — دول الخليج العربي — تاريخ — الاحتلال البرتغالي أ — العنوان
....
الترقيم الدولي : ٥-٠٦-٧٢٠-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم MC-٠٣-٠١-٧٧١٣٨٢٠ بتاريخ ١٨/٠٢/٢٠٢٥م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press — Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد الثامن عشر ٧

• أحداث عام ١٦٢٤م ٩

دليل الباحثين ٤٣٥

هوامش المجلد الثامن عشر ٤٤٧

مقدمة المجلد الثامن عشر

يضم هذا المجلد بين دفتيه أحداث عام واحد ، وهو العام ١٦٢٤م ، وكانت بداية ذلك العام التحضيرات لاسترداد جزيرة هرمز ، والتي بعد سقوطها بيد الإنجليز ، أصبحت التجارة تتمّ عبر البصرة . كان البرتغاليون يخطّطون لوضع أسطول في البصرة لشنّ الحرب على هرمز والاستيلاء عليها .

اتّفق الفرس مع الشيخ محمد بن ناصر بن جيفر المالكي مع القواسم ، لغزو صحار ، وبعد احتلالها ، هجم البرتغاليون على صحار واحتلّوها بعد مقتل محمد بن ناصر المالكي .

لم يجد البرتغاليون أيّ عذر لتلك الهزيمة إلّا أن قاموا بمحاكمات قادتهم ، فأعدم من أعدم ، وسجن من سجن ، وتمّت تبرئة الآخرين .

في آخر المجلّد جاءت أحداث ضياع هرمز في كتاب قام بتأليفه "لوتشيانو كورديرو" "Luciano Cordeiro" وفقاً لتقارير ومعلومات وثائقية .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٦٢٤م

وردت رسالة إلـى الملك يشير فيها نائب الملك إلـى تحضيراته لاسترداد هرمز ، "غوا" ، في شهر يناير عام ١٦٢٤م : [١]

مولاي ،

من بين الإجراءات الأخرى التي أمرت باتخاذها في القلاع في الشمال وفي "كوتشين" "Cochin" ، أنني طلبت رجالاً أستطيع التوجه معهم إلى هرمز ليحضروا من هناك بسبب النقص الكبير في الرجال هنا .

قد استخدمت أيضاً الشرط الذي أرفق صورة عنه مع هذه المجموعة من الرسائل ، وأمرت بمقتضاه جميع الذين تم إرسالهم لأداء الخدمة الفعلية ، والموجودين في هذه المدينة ، وفي مدن الشمال و"كوتشين" بالحضور إلى هنا لمرافقتي .

بالنسبة للذين لا ينفذون هذه الأوامر ، فسيكونون عرضة لفقدان

(١) رقم الوثيقة والهامش.

تعييناتهم ، وفقاً للأمر الوارد في الإدارة الملكية لعام ١٥٨٨م ، الذي يتعامـل مـع أولئك الذيـن لا يتصـرفون بالطريقـة التي يأمرهم بها نواب الملك .

قد شعرت بأنه يتعين عليّ أن أعطي جلالتكم بياناً حول هذا الأمر حتى يكون جلالتكم على علم به ، ولضمان أن أولئك الذين لا ينصاعون للأمر ، ليسوا معفيين من الملاحقة القضائية .

أسأل الله أن يحمي جلالتكم لصالح المسيحية .

من "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

وردت رسالة إلـى الملك ، يزكي "مانويل استيفاو دا كوستا" "Manuel Estifao da Costa" الذي يريد قيادة "ممباسا" ؛ لأنه لم يكن قادراً على استلام منصب الشهبندر في هرمز بعد احتلالها ، "غوا" "Goa" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م : [٢]

مولاي ،

يوجد في قائمة التعيينات المغادرة في هذه الدفعة من الرسائل موجه إلى جلالتكم من "مانويل استيفاو دا كوستا" الذي تم إرسال رسالة له ؛ ليستلم منصب شهبندر هرمز ، وهو يطلب الآن - وبسبب خدمات أخرى - رسالة أخرى لنقله من هرمز .

تكاد جميع الآراء التي تم الاستماع إليها - ومن بينها رأي أسقف "كوتشين" ، وهو أحد أقاربه وكان حاضراً ، تتفق على أنه يجب أن يشغل منصب القائد في "ممباسا" .

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

قد رأيت أنه ينبغي عليّ أن أقدم بياناً عن هذا الموضوع إلى جلالتكم في هذه الرسالة بما أن الوقت المحدد ؛ ليشغل هذا الرجل المنصب في هرمز أصبح قريباً ، وبعون الله يمكنه أن يشغل المنصب ، لوقت قصير .

بسبب الخدمات التي قدمها بعد تعيينه في هذا المنصب فسيكون كافياً أن يصدر جلالتكم أوامر له ؛ لتزويده بحكم قرية أو بمنصب ما في "جافنا" – "سيلان") التي يعتبر فيها Casado ومقيماً فيها ، وسيكون هذا تعييناً أفضل من تعيينه في "مومباسا" التي لم يتول فيها أي منصب .

أسأل الله أن يحمي جلالتكم لصالح المسيحية .

من غوا ، شهر يناير عام ١٦٢٤م

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

وردت رسالة إلـى الملك ، فيها معلومات عن الخدمات ذات الصلة التي يقدمها "جاسبار جوميز" "Gaspar Gomez" كبير نظار المرافئ في الدولة ، وقد شارك في الحملة التي أرسلها إلـى هـرمز الحـاكم "فـيرنـاو دي البـوكـيرك" "Fernao de Albuquerque"، بـقـيادة "قسطنطينو دي سا دي نورونها" "Constantino de Sa de Noronha" . "وبـسـبب سلوكـه خـلال هـذه الحملة يتم منحه باسم جلالتكم – وسام يسوع ، وصدر أمر ملكي له" ، وقد استمر في تقديم خدمة ممتازة "وسيرافقني إلـى هرمز" ، وفي ضوء هذا الوضع ينبغي تأكيد منح الرداء ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م : (٣)

مولاي ،

عند إرسال المعونات إلى هرمز مع "قسطنطينو دي سا" ، ألزم

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

الحاكم ، "فيرناو دي البوكيرك" ، "جاسبار جوميز" ، كبير نظار المرافئ في الدولة ، ليرافقه على متن السفينة ؛ لأنه رجل ذو خبرة وموظف مطيع ، وبسبب سلوكه خلال هذه الحملة تم منحه - باسم جلالتكم - وسام يسوع وصدر له أمر ملكي .

قد باشر العمل مع "قسطنطين دي سا" ، وقدم خدماته خلال حصار القلعة ولا سيما في السفن الشراعية التي تم تكليفه بها ، والتي لا يزال يوجد البعض منها ، وكان لوجوده فائدة عظمى ، وقد علم أنه أنقذ قرب الحاجز سفينة القرقور "برايزو" التي قضى "نونو الفاريز بوتيلهو" "Nuno Alvares Botelho" الشتاء بواسطتها في موزمبيق ، وجاءت هنا في الثاني من شهر يونيو الذي كان يصادف فصل الشتاء بالفعل .

جاء كبير نظار المرافئ إلى هنا على متن سفينة صغيرة للغاية - وأبحر بها إلى "بومبي" ، وقد بذل جهداً كبيراً ؛ لتصليح السفن الشراعية الموجودة حالياً داخل الحاجز وسيرافقني إلى هرمز .

قد رأيت أنه يتعين عليّ أن أعطي جلالتكم بياناً بكل الذي حدث حتى يتم تأكيد منح الوسام .

أسأل الله أن يحمي جلالتكم لصالح المسيحية .

من "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م

"الكونت الأميرال" "فرانسيسكو دا جاما" "Francisco da Gama"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

وردت رسالة إلى الملك ، فيها معلومات إيجابية عن "أنطونيو دي سالدانها" "Antonio de Saldanha" الذي عينته الآن ؛ لقيادة السفن الشراعية التي سأذهب عليها إلى هرمز على الرغم من أنه كان بحاجة إلى الإبحار إلى البرتغال "ليتولى متطلباته الشخصية" ، وقد زكاه ليحظى بالرعاية الملكية ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م : (٤)

مولاي ،

إن "أنطونيو دي سالدانها" موجود في مدينة "غوا" هذه ، وعلى استعداد ليخدم جلالتكم بأي شكل من الأشكال ، وقد عينته الآن ليقود واحدة من السفن الشراعية التي سأذهب عليها إلى هرمز ؛ ونظراً إلى أنه رجل نبيل ذو مزايا وأهمية .

قد خدم خلال الحرب ونال الشرف ، فقد شعرت بأنه ينبغي عليّ

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

ألا أسمح له بالذهاب إلى البرتغال في هذا الوقت - بما أنه كان يود السفر إليها ؛ ليتولى إنجاز بعض شؤونه الخاصة - وأن أقدم له مكافأة على خدماته .

لهذا السبب أرجو أن يتكرم جلالتكم بإصدار أمر بتأجيل أموره ، وأن يبقى هنا ، وأن تتكرموا جلالتكم بأن تنعموا عليه بالمزايا المستحقة لشخص يبقى ؛ ليخدم جلالتكم بدلاً من الاهتمام بشؤونه الخاصة .

أسأل الله أن يحفظ جلالتكم لصالح المسيحية .

من "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدر رد على رسالة الملك رقم : (٦) . كانت العلاقات مع "عادل راجا" في "كانانور" "Cananor" عادية فقط ، وعندما تكتمل الحملة إلى هرمز سيكون نائب الملك في وضع أفضل ليتمكن من إرغام "عادل راجا" على الميل أكثر لسياسات دولة الهند ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م : (٥)

كانت لنا مع "عادل راجا" من "كانانور" العلاقة التي تتطلبها الأوقات الراهنة على الرغم من أنه يستحق نوعاً مختلفاً من المعاملة ، ولم تكن الـ "gundras" ليف جوز الهند تأتي أبداً من خلال خدماته الجيدة ، ولن يتوقف أبداً عن التعامل بطريقة تخدم مصلحته .

لكن ، وإذا تحررت من المشاكل ذات الصلة بـهرمز ، فلن يكون صعباً للغاية أن أرغمه على تقديم الـ "gundras" أو على أن يفعل أشياء أخرى أقل أهمية .

---

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

أسأل الله أن يحفظ جلالتكم لصالح المسيحية .

من "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)
دوّن سجل الأشخاص الذين لقوا حتفهم على أيدي المسلمين في حرب هرمز ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م : [٦]

(قائمة بالأشخاص الذين قتلهم المسلمون في حرب هرمز) :

"لويس دي مورا" "Luis de Mora" ، ابن "ليونيل دي مورا" "Leonil de Mora" على متراس مرتفع عند إطلاق مجموعة من طلقات بنادق المسكيت .

"بالتازار دي شافيز" "Balthasar de Chavez" ، مولود في بلدة "شافيز" ، قائد حصن "سانتياغو" "Santiago" الذي تحمل الجزء الأكبر من عبء المعركة ، وقد لقي مصرعه بضربات السيوف عندما اقتحم المسلمون الحصن ، ولقي "مانويل دي ميلو" "Manuel de Milo" – ابن "أنطونيو دي سامبايو" "Antonio de Sampaio" ، سيد "فيلا فرول" "Villa Frol" ، حتفه عند مدخل الحصن ذاته .

---

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

لقي "لويس ألفاريز بيريرا" "Luis Alvares Perriera" ، ابن "نونو الفاريز بيريرا" "Nuno Alvares Perriera" ، مصرعه جراء قذيفة مدفع على الحصن ذاته أمام المدخل .

خلف "جاسبار فيراو" "Gaspar Firao" ، وهو "كاسادو" (casado) من هرمز ، وراءه زوجة وأطفال ، وقد لقي حتفه عند المدخل ذاته بضربات سيوف ، ولقي "إغناسيو هوميم" "Egnacio Homim" مصرعه جراء طلقة بندقية مسكيت على السور ، وقد عمل كقائد عام للسفن في المضيق .

قتل "اليكسندر دي موريس" "Alexandre de Moris" ، شقيق عمدة "ألفوزيراو" ، متأثراً بقذيفة مدفع شطرته إلى قسمين عندما انفجر أول لغم في حصن "سانتياغو" .

توفي "فرانسيسكو دياز" "Francisco Dias" – الذي كان قبطان سفينة في المضيق – متأثراً بثلاثة جراح أصيب بها على حصن "سانتياغو" عندما انفجر أول لغم ، ولم يكن يريد التراجع بعد أن أصيب بجراح مرتين وسقط نتيجة إصابته بجرح ثالث بعد أن قاتل ببسالة .

لقي "بيرو جوميز دي أزيفيدو" "Pero Gomez de Azevido" – المولود في "ساكافيم" على مشارف "لشبونه" – حتفه عندما انفجر اللغم ذاته ، وقد سقط من خلال فتحة في السور أحدثها اللغم بينما كان يطارد المسلمين الذين كانوا قد بدأوا في اقتحام الحصن .

لقي الأخ "رودريغو" "Roderigo" – راهب جماعة القديس "أوغسطين" "Augustin" والمولود في "فيسيو" "Visio" – مصرعه خلال

هجوم وقع خارج القلعة على تحصينات العدو ، وقد قتل كثيراً من الأعداء بشجاعة كبيرة .

جاء "فيسنتي كاراسكو" "Vicente Carasco" من البرتغال ككاتب عمومي في قرقور "روي فرير" "Rui Feriere" وسفينة قرقور أخرى من الشركة ذاتها ، وفي وقت لاحق ، وككاتب للأسطول لقي حتفه في انفجار أول لغم في حصن "سانتياغو" بعد أن قاتل ببسالة .

أما "فرانسيسكو دي بريتو" "Francisco de Breito" ، المولود في "ايفورا" "Ivora" ، فقد لقي مصرعه أيضاً خلال الحرب التي قتل خلالها أيضاً "توماس غودينهو" "Thomas Godinho" و"لويس غاغو" "Luis Gago" – وهو "كاسادو" (casado) من هرمز – و"جواو فيرنانديز" "Joao Fernandes" ، bosun الذي جاء من البرتغال في "pataxo" برفقة "روي فرير" .

قد قاتلوا بشجاعة : وأما "فرانسيسكو ريبيرو" "Francisco Rebeiro"– وهو "كاسادو" (casado) من هرمز – فقد لقي حتفه أيضاً بقذيفة مدفع في الجزء العلوي من السور .

لقي عدد آخر من الأشخاص العاديين مصرعهم بعد أن قاتلوا ببسالة .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

وردت رسالة إلى الملك ، بشأن المبلغ الذي سلمته "المزريكورديا" "Misericordia" في "غوا" للمساعدة على تمويل المحاولة البرتغالية لاستعادة هرمز ، وقد تم إيداع المبلغ في "دير سان فرانسيسكو" ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م : [٧]

مولاي ،

أرفق طيه قائمة من المشرف والرهبان في "المزريكورديا" في هذه المدينة عن المبلغ الذي تم تسليمه والخاص بالرجال في المملكة ، ويمثل مبلغ المائتي ألف "كروزادوس" الذي أمرني جلالتكم بأخذه من "المسريكورديا" في هذه الدولة للمساعدة على تمويل المشروع في هرمز .

طبقاً لهذه القائمة ، فإن المبلغ المستلم من "المزريكورديا" في "غوا" يبلغ خمسا وستين ألفا ومائتين وعشرين "زرافين" وستة "ريس" ، وقد تم قيد المبلغ لحساب أمين خزينة الدولة ، "أنطونيو سيراو"

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

"Antonio Sirao" ، وتم وضعه في المستودع في دير "سان فرانسيسكو" "San Francisco" ، وصدر إيصال استلام حتى يتم–وبالطريقة التي أمر بها جلالتكم – الدفع منه إلى الأشخاص الذين يخصهم المبلغ .

نظراً لعدم إمكانية وفائه بالفائدة عن المبالغ الصغيرة الخاصة بالعديد منهم ، سيكون بمقدور جلالتكم التحقق من هذه القائمة ، وقد رأيت أنه يتعين عليّ إعداد مذكرة لجلالتكم حتى تتمكنوا من التفضل بإصدار أمر بدفع هذه المبالغ نقداً .

أسأل الله أن يحفظ جلالتكم لحاجة المسيحية لجلالتكم .

من "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

وردت رسالة إلى الملك ، فيها معلومات عن بعض الحكام الشرقيين ، بعد سقوط هرمز أصبحت التجارة تتم عبر البصرة ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م : (٨)

كان عادل خان يحتفظ بعلاقات طبيعية تقريباً مع المغولي ومليك ، وكان المغولي على علاقة جيدة مع قائدي "دامان" و"ديو" "Diu" . وقد بذل الفارسي مجهوداً جباراً مع هؤلاء الجيران ؛ لكي يشنوا الحرب على دولة الهند ، حتى يلهينا بهذه الطريقة عن استعادة هرمز .

أما "فنتاكابا نايك" "فهو يحتفظ بعلاقة طيبة مع دولة الهند" ، وبالنسبة للسامورين "فهو يبحث السلام ويسعى لتحقيقه بإلحاح شديد ، وصادر داشين أراضي سلطان جوهور ، ولكنه لم ينشئ حلفاً مع الهولنديين أو الإنجليز .

مولاي ،

---

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

يميل عادل خان نوعاً ما للحرب وهو ما علم به جلالتكم ولا شك ، وحتى الآن ، ظل يتجنب الحرب مع المغولي بإرسال هدايا ثمينة إليه ، وقد أدت هذه إلى استنفاد موارده ، ولذلك فهو يصادر موارد أتباعه الآن .

يقيم الغالبية العظمى من فرسانه وفرسان مليك ذاته ضمن حدود منطقة مليك التي تتاخم منطقة المغولي .

لكن تم الآن تكليفه بمهمة أخرى لأن ابن المغولي - المعروف باسم سلطان "خورام" والذي شارك في غزو تلك الممالك والذي ثار ، بعد قتله شقيقه الأكبر ، ضد والده - غادر المكان بما أنه كان خائفاً من ابن أخيه ، وهو نجل الأمير المقتول الذي أرسله المغولي مع جيوش قوية ضده ، وقد استولى على المكان ذاته الذي كان يوجد فيه "خورام" .

زحف الأخير - الذي كان يزال يقود قوة كبيرة من الفرسان لديها عدة أفيال - على مشارف "ماسوليباتنام" - وهو بناء يعود للملك "كوتابوكسا" وتوقف هناك .

بعد وصوله بوقت قصير ، استولى "خورام" على الميناء ، وقد تعامل بشكل جيد مع الأهالي المحليين ، واستولى على ممتلكات الهولنديين والإنجليز الذين كانوا يقيمون هناك .

أعلن أن هذا الاستيلاء على ممتلكاتهم هو سبب عدم مقدرة قواتهم على استعادة البضائع من سفن القرقور التي جاءت إليهم من مضيق مكة .

قيل الآن أن المغولي كتب لحفيده أن عليه - مادام "خورام" موجوداً خارج أراضيه - أن يلاحقه ، وتم توزيع هذا وسط المغول ، وهو يوضح

أيضاً أنه كان ينوي على ضرورة أن يضايق ابنه الملوك المجاورين وليربكهم بهذه الطريقة ، ويسهل فتح ممالكهم ، وكانت جميع هذه الخدع الحربية تهدف إلى تحقيق تلك الغاية .

يسود تفاهم جيد بين المغولي والقادة ، الذين يعيشون قرب قلعتي "دامان" و"ديو" ، حول شؤون الدولة ، وتم الآن إعطاء ميناء سورت إلى "موكاريكام" الذي جاء إلى هنا في عهد نائب الملك "روي لورنسو دو تافورا" والذي أظهر نفسه دائماً متعاطفاً بدرجة كبيرة مع اهتماماتنا .

خلال الحرب بين المغولي والفرس في اتجاه قندهار لم ترد أي معلومات ، ولذلك يبدو أن الأوضاع هادئة هناك في القوت الحاضر .

بذل الفرس جهوداً كبيرة مع هؤلاء الجيران لإشعال حرب بينهم وبين دولة الهند حتى يلهوننا بذلك عن استعادة هرمز ، ولست أشك في أن هؤلاء إن لم يكن لديهم الكثير للجدال حوله ، فسيفعلون ذلك بدافع من الاحترام الكبير الذي يكنونه لهم (الفرس) .

في ظل ضياع هرمز أصبحت التجارة حرة الآن وتتم عبر البصرة التي اتجهت إليها الآن الكثير من السفن التجارية ، وكانت هرمز ستحقق أكثر من ذلك لو لم تكن بغداد في حالة حرب ، الأمر الذي منع مرور القوافل ، ولكن هذا التدخل لن يستمر لفترة طويلة .

ربما بدا على الباشا الذي يقيم هناك أنه يميل لاتخاذ موقف ودي تجاه شؤوننا ، وقد منح الكثير من الهبات والامتيازات للوكيل التجاري الذي أرسلته إلى هناك مع قرفة جلالتكم ، وهو يتطلع إلى أن يكون هناك بموجب عقد ، وقد عينت "غونسالو مارتينز دي كاستيلو برانكو"

"Goncalo Martins de Castelo Branco" في المنصب ، وهو شخص ذكي وذو خبرة ويتحدث الفارسية – وهي لغة التخاطب هناك – وهناك صلة جيدة بينه وبين الباشا .

يقيم "فينكاتابا نايك" علاقة حسنة مع دولة الهند ، وإنني سوف أكتب عنه بتفصيل أكثر في رسائل أخرى من هذه المراسلات .

يناقش "الساموريم" "Samorim" السلام ويسعى له بإلحاح شديد .

بما أنني أكتب عن هذا الأمر في رسالة أخرى من هذه المراسلات ، فإنني أحيل جلالتكم إليها وإلى تلك الرسائل المتعلقة بملك "كوتشين" أيضاً .

في العام الماضي دشن "داشين" أسطولاً كبيراً ، واستولى به على أرض ملك جوهور ، وقد تخلى الأخير عن أراضيه عندما أدرك أنه لا يملك قوة للمقاومة .

قد اختبأ وسط الجزر الكثيرة الموجودة في تلك المناطق في انتظار فرصة لاستعادة مكانته ، وسيحصل هناك على كل المساعدة الممكنة بما أنه من غير الملائم أن يكون "داشيم" جاره هناك .

لم يقم بأي محاولة لتكوين حلف مع الهولنديين أو الإنجليز ، كما أنه لا يحتملهم ، وبعدم وجود تعاملات له معهم لن يكون هناك الكثير الذي يشغله .

قد عملت بهذا خلال موسم الأمطار في العام الماضي من خلال رسالة تلقيتها عن طريق البنغال ، وقد وصلت إلى هنا في الشتاء .

أدعو الله أن يحمي جلالتكم إذ إن المسيحية بحاجة لجلالتكم .

من "غوا" ، **شهر يناير عام ١٦٢٤م**

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

وردت رسالة إلـى الملك ، بشأن معلومات تتعلق بالسفن الخفيفـة التي يقـودهـا "لـويس دي ميلو دي سامبايو" "Luis de Milo de Sampaio" ، والتوجه إلـى هرمز ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م : (٩)

قد أمر نائب الملك عشرين من هذه السفن بمرافقة قافلة المؤن القادمة من الشمال ، وعين نبلاء كربابنة لهذه السفن .

تلقى نائب الملك شكوى من "فينكاتابا نايك" بسبب عدم احترام جواز مرور أبرزته إحدى سفنه ، وسيتوجه "د . فرانسيسكو دا جاما" ليتحقق مما حدث .

مولاي ،

أصدرت أوامر لتسليح عشرين من الـ Sanguicels ، التي كنت قد وجهت ببنائها في الشمال ، لمرافقة البقية - التي وصل عددها إلى أكثر من مائة - إلى المستودعات ومعها المؤن التي كانت تحملها .

---

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

من المقرر أن تحمي أيضاً عدة سفن من القافلة التي جلبها مراقب الخزانة ، "جواو غوميز فايو" "Joao Gomez Fayo" ، بعد وصوله من "ديو" ، من "كامباي" "Campay" إلى "باسين" "Bassin" ، وعين "لويس دي ميلو دي سامبايو" كربان للسفن الخفيفة المذكورة ، وهو "Casado" من "باسين" وشقيق "ديوغو دي ميلو" "Diogo de Milo" ، وهو قائد في الشمال ونبيل ومخضرم في الخدمة ، أرسله جلالتكم إلى "ملقا" التي يوشك على دخولها .

بعد الوصول إلى هنا مع السفن المسلحة التي جلبها ، أرسلته إلى "كوتشين" مع ست عشرة منها لإحضار المال الذي كان لدى "ميزيريكورديا" والذي يخص أشخاصاً من البرتغال .

كانت لديه أوامر بالإبحار إلى هناك والعودة بسرعة ؛ لأنهم اعتمدوا على المال المذكور وعلى الناس الذين آمل أن يأتوا من هناك ومن قلاع الشمال ، وقد تلقى القائد "ديوغو دي ميلو" أمراً بشأن التوجه إلى هرمز بما أن كل شيء آخر جاهز .

كان الربابنة الذين ذهبوا مع "لويس دي ميلو" "Luis de Milo" هم : "روي دي ميلو" "Rui de Milo" و"جوزيف دا سيلفا" "Joseph da Silva" و"فرانسيسكو دي مورا" "Francisco de Mora" و"أنطونيو دومينجوس بيريرا" "Antonio Domingos Perriera" ، و"دومينجوس رودريغيز تافيرا" "Domingos Roderigues Tavera" و"أنطونيو سودري بيريرا" "Antonio Sodre Perriera" و"جورج كوتينهو" "George Coutinho" .

و"جواو رودريغيز لوباتو" "Joao Roderigues Lobato" و"غونسالو

بـيريـرا" "Goncalo Perriera" و"مـانويـل دا سيلفـا بيكسـوتـو" "Manuel da Silva Pixoto" و"دوارتـي دي ميلـو بـيريـرا" "Duarte de Milo Perriera" و"مـاتيوس أفونسـو دي ميلو" "Mathius Afonso de Milo" و"لويس دي ميلو دي سامبايو" و"جواو دي أروجـو" "Joao de Arogo" و"مـارتيم أفونسـو دي مـيلو" "Martim Afonso de Milo" .

حمل المذكور سابقاً "لويس دي ميلو" أمراً له أيضاً ليستغل التأخير الذي يتوقع أن يحدث بسبب التفاوض بشأن المال والأشخاص الذين سيأتون إلى "كوتشين" بالإبحار إلى "كاب كومورين" وجمع السفن التي يجدها هناك .

بعد أيام قليلة من مغادرة "لويس دي ميلو" هذه المدينة تلقيت رسالة من "فينكاتابا نايك" يشكو لي فيها من أنه عندما كانت إحدى سفنه في ميناء "باتيكالا" لتحميل شحنة ولديها جواز مرور أعطيته إياه لذلك الغرض ، مر ذلك الأسطول من هناك ، وعلى الرغم من حقيقة إبراز جواز المرور لهم إلا أنهم هاجموا الرجل الذي كان يحمله ، وباقي أفراد الطاقم وسرقوا عدة أشياء من السفينة .

قد أثار هذا الأمر سخطي البالغ ، على الرغم من أنني على قناعة بأن القائد لم يكن له يد فيه ، وأن ذلك حدث ولا بد من سفن كانت تبحر على نحو مستقل .

حتى لو كان الأمر كذلك ، يجب أن أحقق في الأمر بدقة وأحصل

على أكبر عدد من الأدلة لأن الظروف تتطلب ذلك ، وهكذا ، فإنني أكتب إلى "فينكاتابا" لترضيته .

الحقيقة هي أنه عند الضرورة القصوى ، وعندما يكون هناك نقص في الأشخاص الآخرين يمكن احتلال الأسطول الشمالي لأنه مزعج وعنيد للغاية ، وهو يسبب أذى من خلال مضايقاته يزيد عن المنفعة التي تتحقق عن الخدمة التي يؤديها .

أدعو الله أن يحفظ جلالتكم بما أن المسيحية بحاجة لجلالتكم .

من "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م .

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدر رد على رسالة الملك بشأن فقدان هرمز ، "لشبونه" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م : [١٠]

هز فقدان هرمز الهيبة البرتغالية بشكل عميق ، وبما أن كل شيء كان جاهزاً ، فقد أصبح موضوع استعادة القلعة ملحاً ، ولكن لم يكن هناك ما يكفي من المال ولم يصل ما يكفي من الرجال ، وكان عادل خان والفرس على علم بهذه الترتيبات ؛ ولذلك يعملون على أن يسببوا لنا أكبر قدر ممكن من المتاعب .

كان فقدان هرمز ضربة كبيرة لهذه الدولة حسب رأي جلالتكم للأسباب الموضحة في هذه الرسالة ، ولأسباب كثيرة أخرى يشهدها الناس هنا يومياً .

هكذا ، فإن مشروعاً باستعادة هرمز يستحق من جلالتكم المساعدة والحماية ، وسيتطلب أكبر استثمار ممكن سواء بالنسبة للأسطول أو التمويل .

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

هناك حاجة لمزيد من السخاء فيما يتعلق بالتمويل ، وحاجة الرجال الذين يوجد نقص كبير فيهم .

قد أمرت بجمع المال من الـ "Misericordias" ومن القلاع في الشمال وفي "كوتشين" ، ولم تصلني بعد معلومات عن مقدار المال المتوفر في كليهما ، وبالنسبة للمال المقدم من Misericordia في هذه المدينة فهو أقل كثيراً مما كان متوقعاً .

طبقاً للمعلومات المقدمة لي فلن يصل المبلغ إلى أكثر من خمسة وسبعين ألف "زرافين" تقريباً ، وإذا جاءت سفن القرقور ، فسيتم حل مشكلة النقص في الرجال بأولئك الذين تحضرهم السفن .

قد تم الاهتمام بكل الأمور الأخرى : فقد تم تجهيز السفن الشراعية وتجميعها على الحاجز منذ شهر أكتوبر ، وأنا على استعداد للصعود إلى السفينة فور وصول الأشخاص الذين كتبت إليهم طالباً منهم مرافقتي من الشمال ومن "كوتشين" ، وعلى وجه الخصوص ، أود القيام بهذا سريعاً لأن هناك مجموعة قليلة للغاية من الرجال .

من الملائم أيضاً عدم ترك هذه المدينة دون حراسة بسبب نوايا الفرس الشريرة ، ولهذا السبب نقل عادل خان الناس من الأراضي المجاورة ، وبإحضار هؤلاء مع سفيره ، وهو فارسي أيضاً ، فإنهم يحاولون إلهاءنا عن هرمز ، ولهذا السبب يتسببون في مصادر قلق مستمرة واضطرابات عامة ، وهم يمنعون أيضاً وصول الأشياء إلى هذه المدينة من الجانب الآخر كما جرت العادة .

على نحو أكثر تحديداً ، فهم يمنعون البحارة ، الذين يتلقون أوامر

للتوجه لنجدة "روي فرير دي أندراد" "Rui Feriere de Andrade" ، من القيام بذلك ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد بادرت بمساعدته على الرغم من هذه المشاكل وغيرها التي تسببوا في حدوثها .

في رسائل أخرى أقدم بياناً بهذا الأمر لجلالتكم ، وعن الوسائل التي سعيت من خلالها لجعل هذه الأشياء معروفة لدى عادل خان حتى تتم معالجتها دون اللجوء إلى قطع العلاقات معه ، وهو ما يسعون إليه .

أدعو الله أن يحمي جلالتكم لحاجة المسيحية الماسة لجلالتكم .

من "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الكونت نائب الملك إلى الملك بشأن فقدان هرمز، بتاريخ عام ١٦٢٤م : [١١]

كان فقدان هرمز ضربة هائلة لهذه الدولة كما يعتبرها جلالتكم بسبب كل الذي توضحه هذه الرسالة، ولعدة أسباب أخرى مشهودة يومياً هنا، ولذلك فإن مشروع استعادتها يستحق بشدة أن يحصل على العون والفضل من جلالتكم مع توفير أكبر ثروة ممكنة سواء في الأساطيل أو الأموال النقدية ومع انفتاح أكبر بالنسبة للمال والرجال وهما العنصران المطلوبان أكثر من غيرهما .

بالنسبة لأموال الـ misericordias التي أرسلت لإحضارها من القلاع التي في الشمال وفي "كوتشين"، ولم تصل إليّ بعد أي إفادات، فإن مبلغ الـ misericordias في هذه المدينة أقل كثيراً مما كنت أتوقع، وحسب المعلومات المقدمة لي، فإن المبلغ لن يكون أقل من خمسة وستين ألف

---

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

"زرافين" تقريباً ، ولو أن السفن وصلت إلى هنا لكان النقص في الرجال سيتم تعويضه بمن أحضرتهم السفن .

فيما يتعلق بأي شيء آخر تم التفاوض بشأنه ، فإن السفن الشراعية راسية عند الحاجز ومجهزة منذ شهر أكتوبر ، وأنني على استعداد للصعود إلى السفينة والإبحار فور وصول الرجال من "كوتشين" والشمال إلى هنا ، وقد كتبت أطلب حضورهم لمرافقتي وطلبت تحديداً القيام بذلك وبواسطة أولئك الذين تم إرسالهم بسبب النقص في عدد الرجال هنا .

لعدم ترك هذه المدينة دون حماية وبسبب المخططات الشريرة لدى الفرس الذين عهد إليهم "إيدالكاو" بالأراضي المجاورة والأراضي التي توجد في اتحاد مع سفيره ، وهو فارسي أيضاً ، حتى يتم إلهائي عن موضوع هرمز وانشغل بالاضطرابات والتحركات المستمرة ، ولمنع البضائع التي كانت تصل في العادة من الجانب الآخر إلى هذه المدينة ولا سيما مع البحارة .

قد شكلوا من خلالها عقبة كبرى أمام الإغاثات التي كان يجب عليّ إرسالها إلى "روي فرير دي اندريد" ، ولكنني أرسلت له نجدة شملت كل الذي أمكن القيام به في ظل الظروف الصعبة ، وهو ما أقدمه لجلالتكم بالتفصيل في رسائل أخرى ، والوسائل التي سعيت من خلالها لجعل جميع هذه الأشياء تصل إلى "إيدالكاو" من أجل معالجتها دون اللجوء إلى قطع العلاقات ، وهو ما يحاولون القيام به .

أدعو الله أن يحفظ جلالتكم لحاجة المسيحية لجلالتكم .

من "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)
وردت تعليمـــات إلـى "د . غــونسالــو دا سيــلفـيرا" "D . Goncalo da Silviera" من "روي فرير دي أندراد" بشأن البصرة ، مسقط ، الثاني من شهر يناير عام ١٦٢٤م : [١٢]

الحملة إلـى البصرة :

التعليمات التي يجب أن يلتزم بها الكابتن - الميجور "د . غونسالو دا سيلفيرا" الذي يغادر الآن ، بإذن الله ، إلى البصرة .

ستغادر هذا الميناء بأربع من سفن الأسطول مجهزة بمؤن تكفي لثلاثة شهور ومزودة بالرجال والعتاد بشكل جيد ، وبهذه السفن ستواصل رحلتك وستمنح حمايتك للسفن التجارية التي ستبحر مرافقة لكم وستصدر إليها الأوامر بالإبحار بتشكيل صحيح وتسمح لها بالمرور ليلاً ونهاراً أمام السفينة الرئيسة .

يجب أن يوجهوها بطريقة تستطيع من خلالها أن تجمعها معاً

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

وأن تجعلها ترسو متى دعت الضرورة ، وستضمن عدم بقائها في أي ميناء فارسي .

من أجل حمايتها بشكل أفضل ، يجب أن تأمر الربابنة أن يجعلوا الأسلحة جاهزة مع توزيع المواقع وتقنين المياه .

يجب أن تحرص على وجه الخصوص على عدم حدوث مشاحنات في السفن ، وألا يتفوه الجنود بكلمات نابية أو يعصوا رؤساءهم .

في "ليماه" و"خورفكان" ستجد "دومينجوس دي توريس" "Domingos de Toris" من هذا الأسطول ، وعليك أن تتجه معه إلى جلفار وأن تتوقف لما يبدو وقتاً كافياً ؛ لكي يصعد المرشدون إلى السفن التجارية .

بعد القيام بهذا ستواصل الإبحار إلى "قيس" ، ويجب أن تعرف أولاً الأخبار المتوفرة هناك من فارس ، وما إذا كان هناك أي أسطول تركي في البحر .

بما أنك ستتزود بالماء من هذا الميناء ، فستبحر إلى البصرة ، وعندما تصل إلى الحاجز بجميع السفن ، لا تعط موافقتك لدخول أي سفينة إلى الميناء دون أن تتلقى أولاً رسالة من وكيل صاحب الجلالة التجاري ، وعليك أن ترسل إليه وثيقة ، ومعها وثيقة من وثائقي التي تحملها إليه ، عن طريق سفينة سريعة وتطلب منه أنباء عن الوضع في البلاد .

فور معرفتك أن السلام سائد ، حتى وإن كان القتال قد وقع سابقاً ، عليك أن ترسل السفن التجارية لتدخل ، وبما أن الشاه ربما فتح البصرة

وأن حكامه قد يكونون هناك يتعين عليك أن تتناقش مع جميع التجار ، وأن تعطيهم الفرصة لإبداء آرائهم وما إذا كانوا يرغبون في التمتع بالحماية خلال بيع بضائعهم ، وعليك العمل على تنفيذ ما يتم الاتفاق عليه أياً كان ويجب عليهم التوقيع على ذلك .

هنا في القلعة بمسقط اتفقنا في المجلس على أنه في حال دخول البصرة في حرب بحيث عجزت السفن عن دخول الميناء لمزاولة التجارة ، أن تسمح لهم بالتصرف في سلعهم وبضائعهم حيثما استطاعوا واضعاً في اعتبارك النفقات الكبيرة التي تكبدوها والخسائر الهائلة التي سيتعرضون إليها ، والضرر الأكبر الذي سيقع على دور جمارك صاحب الجلالة .

سيجعل الوضع الأخير المحافظة على أسطول في ذلك البحر مستحيلاً ، وسيجعل الإسراع بمساعدة الأفراد الآخرين والقلاع الأخرى في المنطقة أمراً صعباً .

في حال مواجهة أسطول معاد كبير ، عليك أن تضع عشراً من أفضل السفن التجارية المحمية من أجل مواجهة أي قوة تواجهونها بفعالية أكبر .

في حال وقوع أي سفن فارسية أو عربية لا تحمل تراخيص في أيديكم يجب عليك قطع رؤوس الأشخاص الذين على متنها وإحراق السفن .

سيكون خطأ فادحاً إذا ذهب أي جنود من الأسطول إلى البصرة ،

وذلك لأننا لا نرغب ، من ناحية ، في أن نبدي النوعية الرديئة فيمن يوجدون لدينا ، ولكي نمنع أيضاً المشاجرات والسلوك المنفلت المعتاد من جنودنا عندما يكونون في أراضي المسلمين ، ويؤدي مثل هذا السلوك إلى استياء كبير ، ولهذا السبب ألح عليك ، وعلى الربابنة بعدم السماح لأي شخص بالتوجه إلى الشاطئ لأي سبب كان ، ويمكن أن يذهب شخص واحد من كل سفينة لجلب مؤن أو أي شيء آخر يرسلهم الربابنة لإحضاره .

على جزيرة "خرج" - التي يقال إنها محمية من الرياح القوية التي تهب هناك - عليك أن تنتظر ، وأنت تراقب بعناية ، لمدة عشرين يوماً بعد وصولكم إلى هناك ، للسفن التجارية ، وإذا رغبت أي واحدة منها في الدخول لتفريغ شحنتها ، إن كانت تخص تجاراً برتغاليين ، عليك السماح لها بالمضي قدماً شريطة عدم وجود أنباء عن وجود أعداد يلحقون الأذى بها .

لا أود تذكيرك بالكيفية التي يجب عليك التعامل من خلالها مع السفن المحملة بالفلفل التي تقابلونها ؛ لأنك سمعتني أقول لك مرات كثيرة عن العقوبات التي تستحقها .

أوصيك بأن تحسن معاملة الربابنة والجنود وآمرهم بموجبهم جميعاً بالانصياع لأوامرك في جميع الأوقات ، ولك أن تعاقب أي شخص لا يطيع أوامرك على أساس الصلاحية والسلطان ذاته الذي أمارسه بنفسي ، وإنني أمنحك هذه الصلاحيات بموجب هذا الإعلان .

عندما تعود ستجد رسالة مني عما يجب عليك عمله في "جلفار" أو خور فكان" أو "صحار" ، وسترافقك الأوامر التي تتلقاها خلال رحلتك .

مع أطيب الأمنيات ، وأدعو الله أن يحفظكم .

الثاني من شهر يناير عام ١٦٢٤م

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

وردت التوجيهات الصادرة من "روي فرير دي أندراد" إلى "د . غونسالو دا سيلفيرا" ، مسقط ، الثالث من شهر يناير عام ١٦٢٤م ، ويذكر أنه تمكن من الحفاظ على أسطول في البصرة لشن الحرب على هرمز ، والاستيلاء عليها : (١٣)

القباطنة :

الرائد بحري "د .غونسالو دا سيلفيرا"

"دومينجوس دي توريس ريجو" "Domingos de Toris Rego"

"دومينجوس بورجيز" "Domingos Borgues"

"مانويل دي ميلو بيريرا" "Manuel de Milo Perriera"

"روي فرير دي أندراد"

(أعطيت الأدلة بتاريخ الخامس من شهر يناير عام ١٦٢٩م .)

---

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

التوجيهات الواجب الأخذ بها ، والتي أرسلت للرائد بحري "د . غونسالو دا سيلفيرا" تماثل تلك التي صدرت له هنا وأخذها للبصرة ، وقد أرسلت له سفينة مع القبطان "أنطونيو بيريـرا دي لاســـيردا" "Antonio Perriera de la Cerda" ، أبحرت الآن ؛ كي تنضم للأسطول الذي يتولى قيادته .

من خلال الرسالة التي تلقيتها من الباشا في البصرة ، والتي أرسل معها أحداً ما من محطة سموه التجارية هناك – مرسل منها نسخة لكم ، علمت بحجم المعاناة في تلك البلاد ، وبالمثل الأضرار التي يمكن أن تحدث للتجار المقيمين هناك والآخرين الذين من الممكن أن يذهبوا إلى هناك من جدة .

إذا ما سقطت البصرة فلا شك أن تجارة ذلك البحر بأكمله سوف تؤول إلى ضياع كامل ، وبالتالي سوف يكون من المستحيل أن نتمكن من الحفاظ على أسطول هناك بحيث نشن به الحرب للاستيلاء على هرمز لتحقيق الأمن والسلام لـمسقط وللبلاد العربية بكاملها .

أما ملك فارس فإذا ما كسب هذه الاتفاقية ، فلا شك أنه سوف يصبح أكثر قوة بحيث يسبب لنا ضرراً بليغاً .

لأجل هذا وغيره من الأسباب الأخرى ، يجب أن يُصار للحفاظ على سمعة ومصداقية مملكة الهند ؛ كي تصبح أكثر أهمية .

لقد اضطررت كي أضع أمام المجلس ، الذي شكله سعادة نائب الملك في مسقط ، المفهوم الذي يترتب أن نتعامل به مع هذا الباشا فيما يتعلق بالمساعدات التي طلبها لمواجهة الفرس .

قد تم الاتفاق بالإجماع بأنه يجب أن يصار إلى ترتيب أمر هذه المساعدة ، وذلك من خلال إرسالنا سفينة أخرى كي تنضم للأسطول الذي سيتولى قيادته القبطان "أنطونيو بيريرا" ، ويجب عليك أن تحصل من بين السفن التي تمر من هناك على ما هو ضروري من سفن محطة السند أو "كويروز" لأجل إحضارها هنا لدفع نفقاتها ، مع ضرورة إبلاغ الباشا وعلى نفقته الخاصة .

إذا ما تسنى ذلك فسوف يكون لكلتا السفينتين طاقم خاص ، وعلى سعادة الباشا أن يدفع أجور القباطنة "الربعية" وتحمل نفقة الإمدادات والمصروفات اليومية إلى أن تكتمل الاستعدادات حتى شهر مارس ، وسوف يتم تنفيذ كل هذا على النحو الذي أحب أن أوضحه فيما يلي : -

باعتبار المسافة من هنا ، فإن اندلاع الحرب ما بين لحظة وأخرى ، واعتبار احتمالات لأحداث أخرى ، يصعب التنبؤ بها ، وتقتضي تصرفاً عاجلاً ، فإنني آمرك في الحال ومن خلال الاجتماع نفسه أن تعمل على التشاور مع قباطنتك والوكلاء في البصرة ، بحيث يكون تصرفك مبنياً على ما تم الاتفاق حوله بأغلبية الأصوات ، وأن تعمل على أن يكون تعاملك مع الباشا قائماً على أساس من الشجاعة والتصرف الحكيم ، بحيث تخبره بحقيقة تعهدك بالدفاع دون الذهاب للشاطئ ، والعمل وفق السبل المتاحة في حدود الميزانية المتاحة .

يجب أن تعمل على ضم السفن مع ما يتوفر من المراكب الشراعية والزوارق الموجودة بحوزته ، بحيث يمكن الدفاع بشكل حكيم عن

الأنهار والممرات المائية هناك لأطول وقت ترى إنه يعتبر مناسباً ، لكن يجب أن توضح له تماماً بأنك ربما تغادر عند نهاية شهر يونيو ، أي في موسم هبوب رياح الخماسين .

يجب عليك أن تفيدني بذلك في أقرب وقت ممكن بواسطة بعض السفن أو المراكب التجارية القادمة ، ويجب أن تنجز ذلك بشكل صحيح .

يترتب عليك أن تعمل على استخدام السفن التي تم تجهيزها جيداً بمدفعيتها وأحسب أنها متوفرة هناك لدى الباشا والتجار ، وأن تعمل على جمع البحارة هناك وبعدها فلتبحر متخذاً الحيطة والحذر ، وألا تظهر ثقتك أو عدم ثقتك في الرجال في الشاطئ ، حتى لا يجدوا أية مبررات للاحتجاج ، أو نجد لأنفسنا حجة تجاههم في ظل عدم النظام .

لكي تتجنب حدوث شيء من هذا القبيل يجب أن تبلغ القباطنة والجنود بالإنابة عني أن يمتنعوا عن التوجه إلى الشاطئ في البصرة أو يجتمعوا في الأسطول الموجود في ذلك الميناء ، وذلك حتى لا تصبح سفننا مهجورة وغير محمية ، في حالة رغبتهم في دهن وتشحيم السفن أو إعطاء الراحة لطاقم السفينة في تلك الجزر ، حيث تتوفر المياه والقليل من السكان المحليين .

هنا بوسعك ، إن كان الأمر كذلك ، أن ترتب الأمر بحيث يعمل البعض على تقصي الأخبار عن الحرب والحصول على معلومات تفصيلية من الوكيل أو بعض الجواسيس ، وذلك بالطريقة التي تراها

مناسبة ، ويجب أن تلتزم بدفع مستحقات الأشخاص الذين يأتون إليك لبيع المؤن والأغذية للجنود في الأسطول .

كما يجب أن توعز للقباطنة والجنود بضرورة المحافظة على سمعتنا ، حتى لا يبدون أمام الباشا والمسلمين أنهم يسعون للحصول على الأموال ، ويجب أن يضعوا في اعتباراتهم المجد والشرف الذي تسعى لتحقيقه ، إذا ما نجحوا في مهمتهم تلك ؛ لأن نتيجة ذلك سوف تعم جميع الآفاق في كل آسيا وأوروبا .

لا شك أنك سوف تتبوأ بعدها المرتبة التي تجعلك في مصاف المرموقين من الرجال .

القبطان "روكو بيريرا دا ألتا" "Roco Perriera da Alta" سوف يتولى قيادة السفينة التي سوف تقوم بتجهيزها ، لكن إذا ما تعذر ذلك لسبب ما أو في حالة وجود سفينة أخرى ، فدونك صديقه "فرانسيسكو دا فونسيكا" "Francisco da Vonsica" ... كما لاتنسى أيضاً "مانويل منديس كفالينهو" "Manuel Mendes Cavalinho" و"بيدرو دا كوستا هوميم" "Pedro da Costa Homim" ؛ لأنني أعتبرهم جنوداً جديرين ومتميزين .

"أنطونيو بيريرا" قادم ومعه خمسة براميل من الشحم ، وعشر بكرات من ليف جوز الهند ، وثلاثة باتقاس وخمسة من شُعب المرساة ، وفي ضوء قرارك المعلوم لدينا ، فإنه سوف يصل كي يقدم مساعدته في كل شيء ، وهو قادم ومعه من المؤن والأغذية ما يمكن أن يفي بالحاجة طيلة شهر إبريل ، ومن المعروف أن بحوزتك ما يكفيك حتى نهاية شهر مارس .

عندما تنتهي هذه فإنه سوف يطالب بتخصيص مبلغ مائة بطاكاس لكل قبطان لمدة ثلاثة شهور وثلاثمائة لشخصك وثمانية عشر "لارينا" لكل جندي بصفة تموين شهري ، هذا إلى جانب الأجور ، وحصص الأرز المعتادة للبحارة بالإضافة إلى خمسة عشر "بارادواسا" لأجل الغذاء .

على كل سوف يكفي هذا لتحقيق الغاية المنشودة ، وذلك حتى لا يتوقف العمل في خدمة صاحب السمو لأجل أي قصور أو أي نقص قليل .

يجب أن تبلغ الوكيل بهذه التفاصيل حتى يأخذ الأمر بكل جدية لكن دون تدخل ظاهر من جانبك ، ودون أن يُصار إلى تعويض للقباطنة والجنود .

يجب ألا تأخذك الشفقة بالأفراد الفرس الذين يتم القبض عليهم ، ويجب أن تقوم بذبحهم وحرق مراكبهم ، ولعل حقيقة عدم قيام "دومنقوس دى توريس" بهذا بعد الأحداث التي وقعت في هرمز تجعلني أعتبر ذلك أرضية للاحتجاج ، ولكن في ظل ما حققه من إنجازات رائعة يظل حقيقا بالتهنئة والإشادة ، وأرجو أن تبلّغه بالإنابة عني خالص الشكر والتقدير .

الشكر موصول أيضاً إلى "مانويل منديس كافالنهو" ، ولقد سبق أن كتبت بشأنهما تقريراً أرسلته إلى البلاط .

لقد جرّت عليهم الأعمال العظيمة المزيد من المشاكل ، وبالرغم من أننا لا نريد أن يحدث لك أي شيء من هذا القبيل بل نتمنى لك التطور والنجاح ، إلا أنه قد رؤي من المناسب أن يتم ترشيح "دومينجوس دي توريس" كخلف لك في قيادة الأسطول إذا ما قدّر

الرب أن يُصيبك أي مكروه ، ولكن لا تتعرض لعبء الرحلات الطويلة حيث سيكون ذلك أمراً حتمياً في مثل تلك الأحداث ، وآثار ذلك سوف تعتبر ذات أهمية ...

أسأل الرب أن يوفقك في مسعاك .

****

تم الاحتفاظ بنسخة من هذه التوجيهات في دفتر القرارات الذي قمنا بالتوقيع فيه ، بالإضافة إلى تلك التي أعطيتها لك وقت مغادرتك من هنا .

اليوم الأخير من شهر يناير عام ١٦٢٤م

"روي فرير دي أندراد" .

أدلة قدمت بتاريخ الخامس عشر من شهر يناير عام ١٦٢٩م .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)
وصل تقرير السفارة الذي أرسله الملك "فيليب" عاهل "قشتالة" والبرتغال إلى ملك فارس ، بتاريخ عام ١٦٢٤م : (١٤)

حمله "د . جارسيا دا سيلفا ي فيغيروا" "D . Garcia da Silva E Figueroa" كسفير" :

واحد : جزيرة موزمبيق وتجارة ساحلها والجزر .

جزيرة "سانت لورنسو" "San Lorenco" (مدغشقر) وبعض الأشياء البارزة المتعلقة بها ، وسكان الساحل المسمى "كافريريا" ، حتى البحر الأحمر .

اثنان : سواحل شبه جزيرة العرب وفارس من البحر الأحمر إلى "كاب جاسك" ، والشعوب التي تقطنها .

وقلعتا مسقط و"صحار" في مضيق هرمز وكلتاهما تخص صاحب الجلالة .

ثلاثة : السواحل التي يحكمها المغولي ومالك وعادل خان .

---

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

والقلاع الواقعة بطولها المملوكة لصاحب الجلالة وعن أمور كثيرة بارزة على تلك السواحل .

أربعة : الساحل من "غوا" إلى "كاب كومورين" ، والشعوب التي تسكن هناك

وقلاع صاحب الجلالة هناك وحكام الشمال .

خمسة : طقوس وعادات الهندوس في الهند والأشجار وفاكهتها .

ستة : جزيرة ومدينة "غوا" .

سبعة : شبه جزيرة "سالسيت" "Salsete" ، والمزيد عن مدينة "غوا" .

ثمانية : كيف غادر السفير "غوا" ووصل إلى "باندل غومبرون" . الأشياء البارزة في جزيرة هرمز .

تسعة : كيف غادر السفير "غومبرون" ، وقبل وصوله إلى "لار" قابل رئيس دير رهبان أصفهان مع جسد المقدس "جيلهيرم" "Guilherm" .

استقباله في "لار" ثم في "شيراز" ، "دوق شيراز" ، ولماذا قتل والده .

عشرة : كيف غادر السفير "شيراز" إلى أصفهان ، وكيف لقي مترجمه مصرعه خلال الرحلة .

المدن الثلاثة القريبة من أصفهان وسكانها .

إحدى عشرة : كيف غادر السفير أصفهان ، واستقباله في المدن التي مر خلالها ، وكيف وصل في قرية تسمى ("الباندا") على مسافة فرسخ واحد من "قزوين" .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الكونت أميرال إلى الملك بشأن استعادة قلعة "صحار" من الفرس[أ] ، بتاريخ السابع عشر من شهر يناير عام ١٦٢٤م : [١٥]

مولاي ،

أفادني "روي فرير دي أندراد" في رسالته بتاريخ الخامس عشر من شهر يوليو باسترداده قلعة "صحار" التي دخلها الفرس بعد أن تخلى عنها جنودنا ، واستمروا في تحصينها وقاموا بالفعل ببناء قلعة داخل القلعة القديمة : وأبلغني بالمقاومة الشرسة التي واجهتهم ، ولكنه حاصرهم فآثروا الاستسلام .

قال إن بعض القادة البارزين لقوا حتفهم من بينهم "جواو دو سوزا بينيل" "Joao de Susa Binel" ، الذي كان قائد القلعة المذكورة ،

(أ) كان مع الفرس محمد بن ناصر بن جيفر المالكي والقواسم .

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

و"فـــرانسيسكـــــو دي كـــــارفــــالهـــــو بـــــورنو كـــاريـرو" . "Francisco de Carvalho Borno Careiro"

و"أنطونيو دا فونسيكا سارايفا" "Antonio da Vonsica Saraiva" و"جواو دي بودالها" "Joao de Bodelha" وجال آخرون ، وأن "دوم غونسالو دا سيلفيرا" تصرف بشجاعة بالغة حيث هجم ، وهو يحمل بندقية المسكيت في يده وكان أول من نزل وبادر إلى الهجوم .

قد خدم "فيدالجو" هذا بشكل جيد في هذا المضيق دون أن يغادره أبداً بعد فقدان هرمز وتركه "روي فرير" هناك كقائد ، وبعد أن ألحق أضراراً كبيرة بموانئ فارس وشبه جزيرة العرب ، اللتين تمردتا ، وأحرق عدة سفن حربية هندية صغيرة ، اتجه نحو هرمز من أجل منع دخول أي مؤن غذائية ومن خلال آخر رسائل منه تلقيتها في شهر أكتوبر .

أفهمني أنه سيبقى هناك ؛ لينتظر ويرى ما سيحدث حتى الخامس عشر من شهر نوفمبر لأن ذخيرته توشك على الانتهاء ، وكيف سارت الأمور معه وعن محتويات الرسالة التي تعاملت فيما يتعلق بالأمور المالية بشأن الذخيرة ، والإمدادات عن طريق "بتاكسو" (Pataxo) وسفينتين تم إرسالهما ، وأشعر أنني مقتنع بأنه سيكون هناك .

سيكون العدو من خلال ذلك عرضة لضائقات شديدة ، ما لم تغادر سفينتان (من تلك التي وصلت في بداية الصيف إلى ساريت) ، واللتان علمت أنهما غادرتا في الخامس عشر من شهر نوفمبر إلى ذلك المضيق ، وأحضرتا تحت إصرار الملك xa بعض مواد الإغاثة التي لم

يتمكن "روي فرير" من منعها من الدخول ، وإنني أنتظر بشكل مستمر إفادة منه عما يحدث له وعن وضع الأمور .

قد فقد "دوم الفارو دا سيلفا" "Alvaro da Silva" - الذي كان يعمل رباناً للسفينة - عندما كانت السفينة تدور بفعل قوة عاصفة ، وواجه الجميع الخطر ذاته دون أن ينجو أي أحد ، وكانت تلك خسارة كبيرة لأن هذه الجسارة من الـ Fidalgo "فيدالغو" كانت تمضي على نحو طيب حسبما أبلغني به "روي فرير" .

يخدم "روي فرير" المذكور جلالتكم بحماس وانكباب كبيرين دون أن يتوانى أمام أي مصاعب ، ولا يفكر في شيء خلاف أفضل طريقة يؤدي من خلالها الخدمة لجلالتكم ، وهو أمر نادر في أيامنا هذه .

من أجل الاستمرار في ذلك ومضايقة العدو بدرجة أكبر ، أرسلت عشر سفن تحت قيادة "سانشو دي توفار" "Sancho de Tovar" الذي عينه جلالتكم أميرالاً لأسطول السفن ذات السطح العالي ، ويشغل منصب القائد العام بينما كان "روي فرير" المذكور قائداً على هرمز .

أستطيع أن أؤكد لجلالتكم فيما يتعلق بـ "سانشو دي توفار" المذكور أنني مندهش بطريقة تقدمه غير العادي في الخدمة ؛ لأنه لا يؤدي واجبه فقط بانضباط عظيم ولكن برفق ولطف أيضاً يثير إعجاب الجميع ، ويتبعه الجميع دون اعتراض ويعملون جميعاً بسعادة وسرور ، وهي صفات قلّ أن توجد في شخص واحد ، ومنذ شهر أكتوبر - عندما وصلت سفن الغليون إلى الحاجز - يقدم المساعدة هناك .

نحن الآن نقوم بتجهيز الاثنتين اللتين أمرتهما بالمغادرة ؛ لتكونا

في حراسة السفينة "ساو تومي" "Sao Tome" ، إلى أن تنتهي من تحميل البضاعة .

وإنني أعتبره من الرعايا الذين يستحقون من جلالتكم اهتماماً أكبر لما يقوم به من أشياء هامة في خدمة جلالتكم .

يتولى الربابنة المذكورون أدناه قيادة السفن العشر : "ميجيل بيريرا بونالهو" و"ميجيل فيراو دي كاستيلو برانكو" "Miguel Firao de Castelo Branco" و"دوم مانويل بيريرا" و"سانشو دي توفار دو فيلاسكو" "Sancho de Tovar de Filasco" و"سانشو دي توفار جاكيز" "Sancho de Tovar Jakis" .

و"رودريغو بيدروسا" "Roderigo Pedrosa" و"بالتازار دي ماسيدو كوتينهو" "Balthasar de Macedo Coutinho" و"اليكساندر دي الميدا غاتو" "Alexandre de Almeida Gato" و"غونسالو دي باروس" "Goncalo de Barros" .

أدعو الله أن يحفظ جلالتكم إذ إن المسيحية تحتاج لجلالتكم .

من "غوا" ، في السابع عشر من شهر يناير عام ١٦٢٤م

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

جاء رد على الرسالة الملكية رقم ١٠٢ ، بشأن إنفاق ثمانية آلاف "كروزادوس" في السفينة الغليون "ساو جواو" "Sao Joao" ، يوضح نائب الملك النتائج التي توصل إليها في القضية ، "غوا" ، الثامن عشر من شهر يناير عام ١٦٢٤م ، لسد نفقات الأسطول الذي توجه إلى هرمز : (١٦)

عملت على إرسال صورة من هذه الرسالة إلى كبير مراقبي الحسابات مع أمر له بإبلاغي بما إذا كان المبلغ المشار إليه ، قد تم تفسيره وتحديد مكان المتبقي بعدما تم إنفاقه فيه .

قد أوضح أنه عندما وصل مبلغ الثمانية آلاف "كروزادوس" من البرتغال تم قيده لحساب الوكيل التجاري "فيسنت دا كروز" ، وأن تسعة آلاف وثلاثمائة وواحد وأربعين "زرافين" من ذلك المبلغ تم قيدها كقرض من خلال أمر من الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" إلى أمين الخزينة

---

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

"لويس سيموز دا غاما" لنفقات الأسطول الذي توجه إلى هرمز تحت قيادة "سيماو دي ميلو بيريرا" "Simao de Milo Perriera" ، ويمكن لأمين الخزينة تقليل هذا المبلغ .

أنفق الوكيل التجاري من المبلغ المتبقى ألف وستمائة وخمسة وسبعين "زرافين" على الدفع للجنود والمجذفين ورجال المدافع وغلمان الأسطول ، وتم دفع أربعة آلاف ومائتي "زرافين" إلى "لورنسو دي ميلو" "Lorenco de Milo" – الذي كان مراقب خزانة الدولة في كوتشين – من أجل الفلفل الذي كان ينتج هناك ويتم جلبه إلى هذه المدينة لخزانة جلالتكم .

ستة وسبعين"زرافين" لشراء رصاص ومائتين وخمسين "زرافين" وثلاث "تانجا" أعطيت "لفيتوال نايك" ، تاجر الملح الصخري ، لحسابه ، وأربعمائة وأربعة "زرافين" تم إنفاقها لشراء براميل وثمانية وتسعين لشراء الخشب للأسطول ، والمبلغ الإجمالي هو ستة عشر ألف "زرافين" الذي يعادل ثمانية آلاف "كروزادوس" .

أما فيما يتعلق بالوضع الطارئ الذي أخذ الحاكم من أجله هذا المال ، فإن ما بلغني عنه متضمن في النسخة التي كتبها هو وتم إرفاقها بهذه الرسالة ، وتم اتخاذ قرار في المجلس يبدو على أنه نص على استخدام المال للضرورة المذكورة .

أدعو الله أن يحفظ جلالتكم لحاجة المسيحية لجلالتكم .

"غوا" ، السادس عشر من شهر يناير عام ١٦٢٤م

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

وردت رسالة إلـى الملك ، فيها معلومات عن "جاكومي دي موريـاس" ، قائد موزمبيق السابق ، والذي كان يتعين عليه – بصفته قبطان سفينة – أن يرافق نائب الملك خلال الحملة إلـى هرمز ، وهو يشيد بـ "جواو غوميز فايو" و"جاسبار جوميز" – كبير نظار المرفأ – لدى الملك ، "غوا" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر يناير عام ١٦٢٤م : (١٧)

مولاي ،

ان "جياكومو دي موريس" "Jiacomo de Moris" – الذي أنهى للتو مدة خدمته كقائد لـموزمبيق– بقي في هذه المدينة بما أنني عينته ليرافقني خلال الحملة إلى هرمز كربان سفينة غليون ، ولدي آمال كبيرة في أن يثبت أنه رفيق مثالي ؛ نظراً لخبرته وتجربته العظيمة في أمور الحرب ، وأيضاً لحماسة خدمة جلالتكم .

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

قد عينت "جواو غوميز فايو" - كبير مسؤولي الخزينة في الشمال - حيث ظل هناك من شهر مايو إلى شهر أكتوبر من العام الماضي ، وخلال تلك المهمة أدى خدمة عظيمة لجلالتكم وتصرف بأمانة وأهمل مصالحه الخاصة ، وهو متقدم في السن وفقير أيضاً لأنه كريم ولا يتسم بالجشع .

ليس لديه منصب ولا يتلقى دفعه مالية حيث إنه تم عزله من المنصب في "كرانجانور" ولم يتم تنفيذ التعويض الذي أمر جلالتكم بدفعه له مقابل منصب القيادة الذي تولاه في قصر "سانتياغو" ، على جزيرة "غوا" .

لا بد أن جلالتكم سيشعر بالسرور لإصدار أمر بضرورة اتخاذ إجراء بشأنه لأنه ترك العمل في قيادة "كرانجاور" التي عمل فيها ، بفضل عطف جلالتكم ، وكان سجله نظيفاً ، وليس من اللائق أن يبقى هكذا دون أي موارد يواجه بها شيخوخته .

أما سلوكه في الشمال والأرباح العظيمة التي حققها لخزينة جلالتكم فسأتناول في رسالة أخرى موجهة إلى المجلس هناك .

أن "جاسبار جوميز" - كبير نظار المرفأ - الذي أتحدث عنه في رسالة أخرى ، فقد ساعدني كثير جداً في التخزين وتجهيز هذه السفينة القرقور ، وبناء على أوامري ، فقد ساعدني لعدة أيام لأن كبير مسؤولي الخزينة تأثر كثيراً لوفاة ولده "لويس دو توفار" ، الذي توفي لسوء الحظ ، وكان الولد يافعاً ووسيماً وكان يبشر بمستقبل واعد .

قد شعرت أنه يتعين عليّ أن أكتب هذه المذكرة عن كبير نظار الميناء

بما أنه موظف جيد إلى هذا الحد ، وأن الشرف الذي تم وعده به ، والمشار إليه في الرسالة الأخرى ، سيتم منحه بشكل جيد للغاية .

أدعو الله أن يحفظ جلالتكم لحاجة المسيحية لجلالتكم .

من "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م

"الكونت الأميرال"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك ، تتعلق بقلعة في مسقط ، رداً على رسالة من نائب الملك في التاسع من شهر ديسمبر عام ١٦٢٢م ، "لشبونه" - بتاريخ الرابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م : [١٨]

أنا الملك ، أبعث إليك ، أيها الكونت نائب الملك والصديق ، تحيات أرسلها لمن أكن له تقديراً عالياً .

قد اطلعت على ما كتبته لي في رسالتك بتاريخ التاسع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٢٢م عن القلعة في مسقط ، ومدى جودة تجهيزها بالرجال والإمدادات .

قد اطلعت أيضاً على الأمر الذي أصدرته للقائد هناك "مارتيم أفونسو دي ميلو" ، في حال الحرب ، بتكوين مجلس يتألف من أشخاص حددتهم ، وليضع موضع التنفيذ ما تم الاتفاق عليه بأكبر عدد من الأصوات .

---

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

قد شعرت أنه ينبغي عليّ أن أبلغك أنك مستعد استعداداً جيداً .

كتب في "لشبونه" في الرابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م . الملك "فيليب" "Philippe" ، دوق فيلا هيرموسا" "Duke de Vila Hermosa" ، "كوند دي فيكالهو" "Conde de Vicalho" .

إلى : الكونت الأميرال ، نائب ملك الهند

وساطة أولى

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك إلى الكونت نائب الملك في الهند بشأن سقوط قلعة قشم وتبرئة "روي فرير دي أندراد" ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م : (١٩)

الكونت نائب الملك والصديق ، أبعث إليك أنا الملك بكثير من التحيات التي أرسلها لشخص أحبه .

بعد أن اطلعت على ما كتبته لي ، بموجب رسالتيك بتاريخ الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٢٢م والعشرين من شهر مارس عام ١٦٢٣م ، فيما يتعلق بـ "روي فرير دي أندراد" وما تقرر في محكمة القضاء في "غوا" بالنسبة لسقوط قلعة قشم ، ورأي المجلس الذي يساعدكم إذا التزمت به ، وبالنظر إلى الرضا الذي أشعر به إزاء الطريقة التي اتبعها "روي فرير" المذكور ، سرني أن أعتمد القرار الذي تم تبنيه في وقت القضية .

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

أشير إلى ضرورة إرسال صورة من الحكم المعلن لي ، وهو ما يجب عليك أن تفعله على أول سفن ، وأن تحرص على القيام بذلك في حال حدوث حالات مماثلة .

كتب في "لشبونه" بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

الملك "فيليب" ، "دوق فيلا هيرموسا" ، "كونت فيكالهو" .

معنون إلى : الكونت ، نائب الملك في الهند / وساطة أولى

في الهامش : تم إعطاء صورة إلى رئيس القضاة تنفيذاً لطلب الملك .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك ، يوافق فيها على قرار المحكمة العليا بتبرئة ساحة "قسطنطين دي سا دي نورونها" من أي ضلوع في فقدان هرمز ، "لشبونه" ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م : [٢٠]

إلى الكونت نائب الملك والصديق ، أبعث إليك ، أنا الملك ، بالتحيات التي أرسلها لشخص أكن له التقدير السامي .

لقد اطلعت على ما كتبته لي عن "قسطنطين دي سا دي نورونها" في رسائلك بتاريخ الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٢٢م ، والثاني من شهر يناير والعشرين من شهر مارس عام ١٦٢٣م ، والقرار الذي اتخذته محكمة "غوا" عندما اطلعت على التحقيق الذي أجرى حول فقدان هرمز ، وقد اعتبرته المحكمة غير مذنب فيما يتعلق بالمساعدات التي أرسلها إلى هناك .

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

قد اطلعت أيضاً على رأي المجلس الذي تحضر اجتماعاته ، والذي اتبعت نصائحه .

حيث إنني مسرور بسلوك "قسطنطين دي سا" ، فقد قررت اعتماد القرار الذي تم اتخاذه حول الموضوع .

إنني أبلغك بأنني يجب أن أتلقى صورة من الحكم الذي تم إصداره في هذا الصدد ، وأطلب منك إرساله على أول سفن .

يجب الاهتمام باتخاذ الإجراء اللازم في الحالات المماثلة .

كتبت في "لشبونه" في الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

الملك "فيليب" . دوق "فيلا هيرموسا" . "كونت فيكالهو" .

في الهامش : تم إعطاء صورة من الحكم إلى رئيس القضاة للعمل بموجب صورة الحكم

معنون إلى : الكونت الأميرال ، نائب ملك الهند/ وساطة أولى .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك ، وافق فيها على قرار مجلس الدولة بتبرئة "روي فرير دي أندراد" من التهم التي وجهت إليه بسبب فقدان قشم ، "لشبونه" ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م : [٢١]

إلى الكونت نائب الملك والصديق ، أرسل إليك ، أنا الملك ، بالتحيات التي أرسلها إلى شخص أكن له تقديراً سامياً .

قد اطلعت على ما كتبته لي في رسالتيك بتاريخ الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٢٢م والعشرين من شهر مارس عام ١٦٢٣م عن "روي فرير دي أندراد" ، وما تم إعلانه في محكمة "غوا" العليا بشأن فقدان قشم .

اطلعت أيضاً على رأي المجلس الذي تحضر جلساته والذي اتبعت نصائحه .

---

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

حيث إنني راض عن سلوك "روي فرير" ، فقد قررت أن أوافق على القرار الذي اتخذه المجلس .

إنني أبلغك بضرورة إرسال صورة من الحكم الصادر لي ، وبضرورة أن ترسلها لي على أول سفن قرقور .

يجب الانتباه إلى أن يتم الشيء ذاته في الحالات المماثلة .

كتب في "لشبونه" بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

الملك "فيليب" ، "دوق فيلا هيرموسا" ، "كونت فيكالهو" .

في الهامش : تم إعطاء صورة إلى رئيس القضاة طبقاً لطلب الملك .

معنون إلى : الكونت الأميرال ، نائب ملك الهند ، وساطة أولى .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)
صدرت رسالة من الملك إلى الكونت نائب الملك في الهند بشأن تبرئة "قسطنطين دي سا دي نورونها" ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م : [٢٢]

أنا الملك ، أبعث إليك ، أيها الكونت نائب الملك والصديق ، الكثير من التحيات التي أرسلها إلى شخص أحبه .

بعد الاطلاع على ما كتبته لي في رسائلك بتاريخ الخامس والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦٢٢م ، والثاني من شهر يناير ، والعشرين من شهر مارس عام ١٦٢٣م فيما يتعلق بـ "قسطنطين دي سا دي نورونها" ، وما تقرر وأعلنته محكمة القضاء في "غوا" بشأن التحقيق الذي أجري حول فقدان هرمز ، وتبرئته من جميع الأخطاء فيما يتعلق بالإغاثة التي تم إرسالها معه ، وما يتصل بالقضية .

ما ارتآه المجلس الذي يساعدك ، ووافقت عليه أنت ، وبالنظر إلى

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

الرضا الذي أشعر به حيال طريقة المذكور "قسطنطين دي سا" ، فقد سرني أن أجيز القرار الذي تم اتخاذه في ذلك الصدد ، وأن أعيد توضيح أن صورة من الحكم الصادر في القضية يجب أن ترسل لي ، ويجب عليكم أن ترسلوها على أول سفن مع الاهتمام بفعل الشيء ذاته في القضايا المماثلة .

كتب في "لشبونه" في الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

الملك . "دوق فيلا هيرموسا" . "كونت فيكالهو" .

معنون إلى : الكونت نائب الملك في الهند / وساطة أولى

على الهامش : تم إعطاء صورة إلى قاضي القضاة تنفيذ الأوامر الملك مع صورة من الحكم

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك ، وطبقاً لمعلومات من نائب الملك بتاريخ الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م ، فإن شاه محمد - ابن أخي ملك هرمز ، طلب تعيينه حاكماً على أراضي عمه الواقعة في شبه جزيرة العرب ، وقد وافق نائب الملك خلال اجتماع للمجلس على هذا الطلب ، ووافق الملك ، "لشبونه" ، بتاريخ التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢٤م : [٢٣]

إلى الكونت نائب الملك والصديق ، أبعث إليك أنا الملك ، بتحياتي كشخص أكن له تقريراً سامياً .

قد اطلعت على ما كتبته لي في العام الماضي في رسالتك بتاريخ الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م عن طلب ، تم تقديمه إليك نيابة عن شاه محمد ، ابن أخ ملك هرمز .

قد طلب تعيينه حاكماً على تلك الأراضي التابعة لمملكة هرمز

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

والواقعة في شبه جزيرة العرب مادام عمه الملك - أو الشخص الذي يحق له أن يرث العرش - غائباً ، وكان عمه قد وقع في الأسر عند سقوط القلعة .

أنت تقول ذلك للأسباب التي أوضحتها لي ، وأنك وافقت على آراء المجلس الذي دعوته للانعقاد للموافقة على ما طلبه ، وقد قلت إنك كنت تحاول أن ترسل إليه الرسائل الضرورية .

إنني أرى أن الأمر قد أدير بشكل حسن ، وقررت الموافقة عليه ، وإنني أكلفك بقوة أن تحاول بكل السبل الممكنة إنقاذ ملك هرمز .

يجب عليك أن تفيدني بما ستفعله في هذا الأمر .

كتبت في "لشبونه" بتاريخ التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

الملك "فيليب" ، "دوق فيلا هيرموسا"

"كونت فيكالهو"

معنون إلى : الكونت نائب الملك في الهند .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك إلى الكونت نائب الملك في الهند ، بتاريخ التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢٤م ، باعتماد حكم الإعدام على "لويس دي بريتو" "Luis de Breito" بسبب الذنب الذي ارتكبه بتسليمه قلعة هرمز : (٢٤)

الكونت نائب الملك والصديق . أبعث إليك – أنا الملك – بالتحية التي أبعث بها لشخص أحبه .

قد اطلعت على ما كتبته لي في رسالتيك بتاريخ الخامس عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٢٢م والثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م بشأن "سيماو دي ميلو بيريرا" ، الذي كان في ذلك الوقت قائد هرمز عندما استسلمت تلك القلعة المنيعة .

عن "لويس دي بريتو باريتو" "Luis de Breito Barreto" ، أميرال الأسطول الذي قدم المساعدة هناك ، وعن صدور حكم الإعدام

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

الصادر عن محكمة القضاء في تلك الدولة على "لويس دي بريتو" المذكور ، وهو الحكم الذي تم تنفيذه عليه بسبب الذنب الذي ارتكبه بتسليمه تلك القلعة .

قد رأيت أنه من الصحيح أن أبلغك أن العدالة تحققت فيما يتعلق بـ "لويس دي بريتو" ، وأنني أكلفك بحرارة بأن تتخذ جميع الوسائل من أجل اعتقال "سيماو دو ميلو" ، إذا لم يكن قد أعتقل حتى الآن ، من أجل محاكمته شخصياً وتنفيذه الحكم الذي سيصدر ضده .

بينما أقترح معاقبة أولئك الذين ارتكبوا ذنباً في استسلام هرمز طبقاً لما تستحقه الجريمة من عقوبة ، إلا أنني أرى من الملائم وآمرك – بصفتك قائداً عاماً – بالمضي قدماً كما ينبغي لتنفيذ العدالة فيهم ، حتى وإن صدر عليهم بالفعل حكم في محكمة القضاء في تلك الدولة في شكل السلطة التي حصلت عليها بطريقة خاصة لمعاقبة مرتكبي جرائم خلال الحرب .

يجب عليك أن ترسل لي على أول سفن نسخة من جميع التحقيقات التي أجريت في القضية المذكورة ، والأحكام التي ربما تكون صدرت ، من أجل أن أعرف الأشخاص الذين اتضح أنهم مذنبون بتسليم القلعة المذكورة ولأقرر ما إذا كانت العقوبة متناسبة مع الأخطاء .

كتبت في "لشبونه" في التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

الملك "دوق فيلا هيرموزا" ، "كونت دي فيكالهو" .

معنون إلى : الكونت نائب الملك في الهند

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من جلالة الملك ، بالنسبة للأخبار الواردة من نائب الملك بتاريخ الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م ، فإن "شاه ماميدي" (محمد شاه) ، ابن أخي ملك هرمز قدم التماساً بشأن تعيينه حاكماً على أراضي عمه في البلاد العربية ، ولقد حظي التماسه هذا بموافقة من نائب الملك في المجلس ، وكذلك موافقة الملك نفسه ، "لشبونه" ، بتاريخ التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢٤م : (٢٥)

صديقي الكونت نائب الملك ، أنا الملك ، أرسل لك كل التحايا والاحترام الذي يليق بمقام شخصك الكريم .

لقد اطلعت على ما أرسلته لي في العام الماضي في رسالة الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م ، وذلك حول الطلب الذي تم تقديمه لك بالإنابة عن "الشاه ماميدي" ، ابن أخ ملك هرمز .

---

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

قد تقدم بطلب لأجل تعيينه حاكماً في مناطق مملكة هرمز داخل الجزيرة العربية ، طالما ظل عمه جلالة الملك أو من تؤول له ملكية تلك المناطق غائباً .

لقد تم القبض على عمه عند سقوط تلك القلعة .

لقد ذكرت لي أنك في ظل الأسباب التي صغتها لي تتفق مع وجهة نظر المجلس الذي دعوت لانعقاده للنظر فيما يتعلق بطلبه ، ولقد بينت أيضاً إنك تحاول أن ترسل له المراسلات الضرورية اللازمة .

بالتالي ، فإنني أعتبر الموضوع قد تم التعامل فيه بشكل جيد ، وعليه فقد قررت الموافقة عليه ، وآمرك بشكل جاد أن تحاول بشتى السبل الممكنة أن تنقذ ملك هرمز ، وأرجو أن تكتب لي فيما أمكنك عمله بشأن هذا الموضوع .

كتب في "لشبونه" بتاريخ التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢١م ،

الملك "فيليب" ، "دوق فيلا هيرموسا" ... "الكونت فيكالهو" .

مرسل إلى الكونت نائب الملك في الهند- بوساطة أولى .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)
صدرت رسالة من جلالة الملك ، مطلب "فرانسيسكو برنداو دي ليما" بخصوص التصديق على عقد إيجار جزيرة مصيرة التي منحها له نائب الملك "لورنسو دي تافورا" "Lorenco de Tavora" ، "لشبونه" ، بتاريخ التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢٤م : (٢٦)

صديقي الكونت نائب الملك ، أنا الملك ، أرسل لك من التحايا الحارة والاحترام ما يليق بشخصك العزيز .

لقد أرسل لي السيد "فرانسيسكو براندو دي ليما" "Francisco Brando de Lima" ، وهو شخص متزوج يقيم في مدينة "غوا" ، رسالة يطلب مني أن أصدق على عقد إيجار جزيرة مصيرة ، وكذلك الخليج الصغير الواقع بجوارها ، بعدما منحت له بواسطة "روي لورنسو دي تابورا" "Rui Lorenco de Tavora" عندما كان يتولى منصب نائب الملك في المملكة .

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

نظراً لأهمية مطلبه هذا ، فقد شعرت أنني يجب أن أفاتحك في هذا الأمر قبل الرد عليه .

عليه ، ففي إطار أوضاع مملكة هرمز في الوقت الراهن ؛ ونظراً لوقوع هذه الجزيرة بالقرب من المضيق ، فإنني أكلفك بالنظر في هذا الموضوع كي تتبين مدى صفته القانونية وملاءمته ، ومن ثم إخطاري فيما وقفت عليه ، وذلك كي أتخذ بشأنه القرار الصائب الذي أعتقد أنه يتلاءم مع مصلحة خدمتي .

كتب في "لشبونه" بتاريخ الثالث عشر من شهر مارس عام ١٦٢٤م

- "دوم ديوغو دي كاسترو" "D . Diogo de Castro"

"دوم ديوغو دا سيلفا" "D . Diogo da Silva"

مرسل إلى سعادة الكونت نائب الملك في الهند

بوساطة أولى .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك ، وهو يكلف نائب الملك ليشكر "روي دي ميلو دي سامبايو" "Rui de Milo de Sampaio" و"جاسبار دي ميلو" "Gaspar de Milo" - القائد في "غوا" - نيابة عنه لسلوكهما خلال وقت إرسال النجدة إلى مسقط ، "لشبونه" ، بتاريخ السادس عشر من شهر فبراير عام ١٦٢٤م : (٢٧)

الكونت نائب الملك والصديق ، أبعث إليك - أنا الملك - التحيات التي أبعث بها لشخص أكن له تقديراً سامياً .

في رسالتك بتاريخ السادس والعشرين من شهر مارس عام ١٦٢٣م ، عرفت أن "روي دي ميلو دي سامبايو" و"جاسبار دي ميلو" - القائد في مدينة "غوا" - عرضا الذهاب لنجدة مسقط . إنني أكلفك بأن تشكرهما على هذا نيابة عني وعلى سلوكهما الحسن في هذه القضية ، وإنني أعتبر نفسي حظيت بخدمة جيدة ولن أنساهما ، وهذا واجب .

---

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

كتبت في "لشبونه" بتاريخ العشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

الملك "فيليب" ، "دوق فيلا هيرموزا" ، "كونت فيكالهو"

معنون إلى : الكونت نائب الملك في الهند- وساطة أولى .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك ، وكان نائب الملك قد نبه الملك في رسالته بتاريخ الثاني عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م إلى ضرورة إيقاف المسلمين في شبه جزيرة العرب عن الذهاب إلى جزيرة "مدغشقر" إذ أنهم لا يقتادون العبيد فقط من هناك بل يمنعون هداية أهلها إلى المسيحية ، "لشبونه" ، بتاريخ السابع عشر من شهر فبراير عام ١٦٢٤م : [٢٨]

الكونت نائب الملك والصديق ، أبعث إليك - أنا الملك - بالتحيات التي أبعث بها لشخص أكن له تقديراً سامياً .

قد اطلعت على ما كتبته لي السنة الماضية في رسالتك بتاريخ الثاني عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م عن مدى ضرورة البحث عن وسائل لمنع مسلمي شبه جزيرة العرب الذين لا يوجد سلام بينهم وبين البرتغال - من الذهاب إلى جزيرة "مدغشقر" ، وسبب هذا هو أنهم

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

يقتادون الكثير من العبيد من هناك ويحولونهم إلى الإسلام ، ويمنعون هداية الأهالي الوطنيين إلى المسيحية .

طبقاً لما يراه أولئك الذين يتمتعون بالخبرة في شؤون الجزيرة ، يمكن تحقيق هذا دون تكاليف على الخزانة .

لذلك أقرر بأن تحاول تنفيذ ما تقول إنك تفعل في هذا الموضوع وأن تقدم لي تقريراً بشأنه .

عليك أيضاً إبلاغي بالوسائل التي يرى أولئك الذين يملكون الخبرة أنها – ودون كلفة على خزانتي – يمكن أن تمنع مسلمي شبه جزيرة العرب من اقتياد عبيد من تلك الجزيرة .

كتبت في "لشبونه" بتاريخ السابع عشر من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

الملك "فيليب" ، "دوق فيلا هيرموزا" ، "كونت فيكالهو"

معنون إلى : الكونت نائب الملك في الهند – وساطة أولى

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

وصلت رسالة في اليوم الثالث والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٤م ، كان فخامة الكونت أميرال نائب الملك في المجلس في "غوا" مع أسقف "كوتشين" الموقر ، ومدير الأسقفية ، و"روي دي ميلو دي سامبايو" ، "والدون لورنسو دا كونها" "Lorenco da Cunha" ، ومراقب الخزانة الرئيس "بيرو دي توفار" "Sancho de Tovar" ، وقبطان المدينة "جاسبار دي ميلو دي سامبايو" ، من "روي فرير دي أندراد" القبطان العام لمضيق هرمز : (٢٩)

ذكر الكونت نائب الملك بأنه قد تسلم رسائل من "روي فرير دي أندراد" ، القبطان العام لمضيق هرمز ، ومن المراقب الرئيس للخزانة ، بواسطة سفينة جاءت من مسقط ، وكذلك أيضاً نسخاً من رسائل أخرى من الوكيل التجاري لدى "البصرة ، وأمر السكرتير بأن يتم إطلاعي عليها .

(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

في حقيقتها أفادت هذه الرسائل بأن خان ... (شيراز) بعد المراسلة من خلال القنوات العادية ، ومن خلال القنصل الإنجليزي الذي يرافق باشا البصرة ، قد طلب منه بألا يتبعه في الميناء ، أو يظهر لنا كرم الضيافة . لم يتفق الباشا معه في هذا قائلاً إن صداقتنا قائمة معه منذ زمن طويل ، وإنه كانت لديه معاملات وتجارة معنا ، وبهذه الصورة ، فإنه لن يتخلى عنهم .

أبلغ الخان الشاه ، الذي قد وصل من عنده في هذا اليوم الذي كنت فيه ، الذي هو يوم الخامس والعشرين من شهر نوفمبر ، رجل مسلم ، خادمه ، برسالة منه إلى الباشا ، ورساله إلى ابنه ، وأخرى إلى (عبد الله مانع) الذي هو ملك عربي يعيش رحلة اليوم الواحد في الصحراء ، وإلى (على أغا) .

قد أرسل إليهم جميعا ثياباً ، وتيجاناً وطلب منهم أن يوافقوا على طاعته كملك وسيد ، وأن يَسُكوا النقود باسمه ، وعليهم أن يبقوا هناك كحكام .

إذا لم يوافقوا على هذا ، فإنه بإمكانه أن يهاجمهم ، وينتقم لنفسه عن الإساءة التي قد تم ارتكابها ضده ، يترك أعداءه يستخدمون الميناء ؛ لأننا لم نحصل على ميناء البصرة ، لا يمكننا أن نشن الحرب عليه ، ويمكن أن نذهب إلى أرضه ، ويمكننا أن نفعل كل شيء يرغب فيه ، هذا الذي لم نفعله ؛ لأننا نضع أيدينا على ذلك الميناء .

بعد ذلك قال العربي المسلم الذي أتى بهذه الرسائل بأنه يوجد

خمسة آلاف من جنود الخيالة ينتظرون على الشاطئ الآخر ؛ لكي يأخذوا الرد الذي يمكن أن يعطيه الباشا له إلى الشاه .

أخبر الباشا هذا العربي بأنه يشعر بالضجر ، وحيث إن المسألة مهمة ، فإنه يجب أن يناقشها مع أتباعه ؛ لكي يعطيه رداً عليها . إن أفضل شيء بالنسبة لهم جميعاً هو أن يقبلوا بطاعة الشاه . بذلك أمره أن يستريح .

بعد ذلك نادى الوكيل التجاري وأخبروه بكل شيء . أطلعه على رسالة الشاه ، وعلى ما قد أمره ، توسلا إليه معاً هو والقبطان العام ، وطلبا منه أن يساعد بعدد ست أو ثماني سفن ؛ لكي يدافعوا عن مدخل النهر نيابة عنه ، وأنه أيضاً توجد لديه ثلاث سفن ، واثنتين تشبهان سفن الغليون ، وعدد كبير من قوارب (الدانيكا) هناك .

هؤلاء مع مؤخرة سفننا يمكن أن يحاربوا ضد أية قوة تأتي إليهم ، ولذلك فإن سفن الشاه الحربية لن تكون قادرة على إيقاع أي ضرر بهم ، أو تُنزل جنوداً على البر ، ويمكنه أن يدافع عن نفسه ضد أي شيء يأتي براً ويضايق الأعداء ، ولكن إذا لم يأت القبطان العام إلى معونته ، فإنه لا يمكنه أن يتجنب الانضمام إلى الشاه بطريقة أو أخرى ، ويمكن أن يعطي تلك الأرض إلى جلالته بدلاً من الشاه ، وقال بأنه يمكن أن يُرجئ وصول السفير حتى تأتي السفن التي قد طلبها .

قال القبطان العام بأنه عندما تمت مناقشة هذه القضية في المجلس ، مثلما تم أمره بأن يتصرف بشأن السفن الحربية ، كان من المتفق عليه أن تذهب سفينة واحدة من الأسطول .

في اليوم التالي ، الذي كان يوافق الرابع والعشرين من شهر فبراير ،

بدأت الإبحار للانضمام إلى الأربع سفن التي كان قد أرسل معهم "دون غونسالو دا سيلفيرا" إلى البصرة ؛ لكي يدافع عن سفن التُجار التي تذهب إلى ذلك الميناء .

أرسل أمراً إلى البرتغاليين الذين كانوا هناك ، ليقوموا بإعداد اثنتين من السفن بالإضافة إليهم ، وأن قوة مدفوعة الأجر من قبل الباشا ، مثلما قد عرض ، يجب أن تساعد في معونتها والدفاع ابتداءً من شهر يونيو ، عندما يكون من الممكن بعد ذلك إرسال المعلومات عن المزيد مما يجب أن يفعلوه ، ويمكن لمال الباشا أن يغطي نفقاتهم إلى ما بعد نهاية شهر مارس ؛ لأنه قد تمَّ تزويدهم بما يحتاجونه حتى نهاية ذلك الشهر .

أمر الكونت نائب الملك باقتراع ؛ لكي يتم إجراؤه عما يجب أن يُفعل حول البصرة ؛ لأنه كان من المهم جداً بالنسبة لنا أن نحافظ على ذلك الميناء ، وعلى بقائه خالياً من المخاطر ، ويمكن أن يبقى ما نمتلكه في المضيق مكشوفاً ، واضعين نصب أعيننا المساعدة التي تذهب الآن إليه في العشر سفن التي كانت على وشك المغادرة ، والأخريات التي كانت تغادر بعدها ليفعلوا نفس الشيء .

عندما تمت مناقشة القضية ، كان رأي المجلس أن ما كان يطلبه الباشا الذي كان ست أو ثماني سفن قد تم الاتفاق عليه بعدد الأربع سفن ، التي قال عنها القبطان العام بأن "دون غونسالو دا سيلفيرا" كان يرافقها ، وواحدة التي ما زال لم يرسلها ، بالإضافة إلى الأمر باثنتين إضافيتين ، حيث يمكن إعدادهما هناك .

هذا يمكن أن يشكل مجموع سبع سفن . يجب على القبطان أن

يسافر بحراً ، ولكن ألاَّ يغادر هرمز ، ومع السفن التي كانت ذاهبة إليه ، وأولئك الذين ما زال يجب عليهم أن يذهبوا ، والسفن الأخرى التي كانت لديه هناك ، يمكن أن يكون قادراً على التعامل مع كل منهم .

استمرت أيضاً رسالة القبطان العام لتقول بأن "فرانسيسكو بيريرا" "Francisco Perriera" ، الذي غادر من هنا بأمر جلالته مع سفينة وأموال نقد وأشياء أخرى من أجل الأسطول الذي في المضيق ، قد أحدث فوضى بين السفن التي واجهها ، وقد أخذ ما أراده منهم ولم يسمح لجندي واحد من هؤلاء الذين حملهم أن يبقى هناك ، قائلاً إنه حتى لو تم أخذ جندي واحد منه ، فإنه لن يعود بالرد .

كان يجب عليهم أن يحضروا له اثنين من الجنود ؛ وذلك لأنه كان لديه نقص في عدد الجنود ، كان يجب عليهم أن يأتوا إليه .

وضع سراً على ظهر السفينة رجلاً كان يوجد معه ، ذلك الذي كان يجب عليه أن يذهب براً إلى البصرة متحدياً للمحظورات القائمة .

قال فخامته إنه عندما اطلع على رسالة "روي فرير" هذه ، أمر على الفور بأن يتم إلقاء القبض على "فرانسيسكو بيريرا" ، وكان يجب على المجلس أن يُقرر الإجراء الذي يجب أن يتم تبنيه نحوه . كان من المتفق عليه أنه يجب أن يتم إعطاؤه بعضاً من الواجبات المتضمنة في تلك الرسالة ؛ لكي يستطيع أن يحصل على حريته بتلك الطريقة .

كشفت رسائل القبطان العام ، ومراقب الخزانة الرئيس بشكل أكثر أن عدد أربعة أفراد من الفُرس ، ورجلاً أرمينياً واحداً قد ذهبوا إلى

القلعة ودار جمارك مسقط في سفينة من السند ، ولأنهم كانوا أتباع الشاه ، فكان من المقرر أنه يجب أن يتم الاستيلاء على بضاعتهم .

حدث هذا ، وتمَّ إرسال قائمة بمحتويات البضاعة مع هذه الرسائل الواردة من مراقب الخزانة الرئيس .

قال فخامته أنه قد تمت مطالبته من قبل أصحاب هذه البضائع ؛ لكي يأمر بأنهم يجب أن ترد لهم سفنهم ؛ لأنهم واثقين في أنه قد تم مطالبته من قبل أصحاب هذه البضائع ؛ لكي يأمر بأنهم يجب أن يردوها ؛ لأنهم واثقين في الأوامر المنشورة في السند من قبل القبطان العام والمراقب الرئيس للخزانة ، هذه التي تُبين بأن كل تاجر أراد أن يذهب ببضاعته إلى مسقط ، ينبغي أن يكون قادراً على فعل هذا .

يجب أن يفكروا في السياسية التي يتم تبنيها في هذه القضية لأن البضاعة ذات قيمة هامة ، ومن المعتقد أنها تُقدر أكثر من عشرين ألف "باردوس" . اعتقد المجلس أنه يجب أن يسمع المحامين الخاصين بهم ؛ لكي يمكن الاهتمام بمطلبهم ونظره .

ذكر أيضاً الكونت نائب الملك أنه قد أرسل "سيلفستر غونسالفيس بيريرا" "Silvester Goncalves Perriera" برسالة إلى الملك عادل خان مبلغاً إياه عن السلوك السيئ لقائد كونكان "هيفالدار كونكان" في القضايا المتعلقة بالدولة ، وكيف أسر برتغاليين ولم يطلق سراحهم . لقد رجع برد أن ذلك الملك لا يرى بأنه يوجد خلاف في الرأي ، ولكنه قال إن السفير الذي قد تم تعينه يمكن أن يذهب ؛ لكي يستطلع حول هذه القضايا ، ولديه المذنبون ...

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك يشير فيها إلـى رسالة مؤرخة في الخامس عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م مرسلة من نائب الملك تتعلق بحصار "غوا" من قبل سفن هولندية ، ولم تكن لدى الدولة قوات كافية لصد السفن بواسطتها ، ويوصي الملك بتصليح سفن الغليون وبإيلاء اهتمام أكبر لمشكلة الدفاع ، "لشبونه" ، بتاريخ الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٤م : (٣٠)

الكونت نائب الملك والصديق ، أبعث إليك – أنا الملك – بالتحيات التي أبعث بها لشخص أكن له تقديراً سامياً .

لقد اطلعت على ما كتبته العام الماضي في رسالتك بتاريخ الخامس عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م عن استمرار وجود سفن الأعداء على الحاجز في "غوا" ، ومدى ضعف الدولة وعجزها عن دفع السفن لمغادرة هذا

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

الموقع ، وكذلك اطلعت أيضاً على ما كتبته عن حالة سفن الغليون التي وجدتها هناك ، وأعمال التصليح التي يجري تنفيذها فيها .

قد ساءني كثيراً أن أعرف أن الأمور بلغت هذا الحد في تلك الدولة إلى حد عدم القدرة على مهاجمة الأعداء بما أنهم – وهو أمر مخز لنا – سيطروا منذ مدة طويلة على المخرج الرئيس من "غوا" ، عاصمة الدولة .

لهذا السبب أكلفك بالسعي لتصليح سفن الغليون والتأكد من وجود إمدادات كاملة من جميع الأصناف الضرورية .

ينبغي عليك أن تتذكر مدى ضرورة أن يكون الاستعداد جيداً بحيث إنه إذا حاول العدو سد هذه الحاجز في مرة لاحقة في المستقبل ، فيجب أن تكون النتيجة مختلفة عما كانت عليه في الماضي .

ليست الحرب الدفاعية ضرورية فقط ، بل إن الهجومية ضرورية أيضاً ، ويجب ألا ينسى استرداد هرمز الذي أرى أنك تتعامل معه بقدر من الحماس أقل مما يتطلبه فقدان قلعة بتلك الأهمية .

لم تتناول أيضاً الحملة إلى "بوليكات" ، التي تم تكليفك بها تحديداً بالحماس الكبير المتوقع .

يتعين عليك التوجه لمساعدة "مالاقا" و"ماكاو" بالحماس الضروري ، بما أنهما بعيدان ويحيط بهما كثير من الأعداء .

أود أن أسمع عن كيفية تعاملك مع هذه الأمور ، وأنك استخدمت تكملة العون الكاملة التي اصطحبتها معك ضمن ما تم إرساله في العام الحالي .

كتبت في "لشبونه" في الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

الملك "فيليب" ، "دوق فيلا هيرموزا" ، "كونت فيكالهو" .

معنون إلى : الكونت نائب الملك في الهند- وساطة أولى .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك، كلف الملك نائب الملك بشكر السادة الذين ساعدوه عندما حاصرت السفن الهولندية "غوا"، وقد ذكر أسماءهم، "لشبونه"، بتاريخ الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٤م: [٣١]

الكونت نائب الملك والصديق، أبعث إليك - أنا الملك - تحيات كالتي أبعثها لشخص أحبه.

قد اطلعت على ما كتبته لي في رسالتك بتاريخ الثامن والعشرين من شهر مارس من العام الماضي ١٦٢٣م، وتقول إن بعض النبلاء "fidalgos" ساعدوك، ولا سيما في "بانجيم"، ولكن في القلعة أيضاً على الحاجز، وفي سفينة القرقور البرتغالية عندما كنت هناك بمناسبة وصول سفن القرقور الهولندية.

إنني أكلفك بأن تشكرهم نيابة عني لسلوكهم في تلك المناسبة،

(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

وهو السلوك المتوقع منهم تماماً ، وقلت إنهم "روي دي ميلو دي سامبايو" و"أنطونيو دي سالدانها" و"ديوغو دي فرانسيسكو" "Diogo de Francisco" و"دوم فيليب دي سوسا" "D . Philippe de Susa" .

و"فرانسيسكو دي سوسا دي كاسترو" "Francisco de Susa de Castro" و"بيرو دي الميدا كابرال" "Pero de Almeida Cabral" و"فيسنتي ريـــبيلـــو" "Vicente Rebeillo" و"بـــيرو الفـــاريز دي أبـــريـــــو" "Pero Alvares de Abrio" .

"ديوغو ميندیز دي بريتو" "Diogo Mendes de Breito" و"بيرو باريتو دا سيلفا" "Pero Barreto da Silva" و"دوم فرانسيسكو ماسكارينهاس" "Francisco Mascarinhas" و"روي فرير دي أندراد" و"قسطنطين دي سا" و"روي لورنسو دي تافورا" "Rui Lorenco de Tavora" و"دوم الفارو دي كاسترو" "D . Alvaro de Castro" .

و"جواو رودريغيز دي سا" "Joao Roderigues de Sa" و"جاسبار فاز ريـــبيلو" "Gaspar Vaz Rebeillo" و"أنطونيو دي ازيفيدو كوتينهو" "Antonio de Azevido Coutinho " و"رافـــائيـــل ســـواريـــز" "Rafael Soares" و"روي دياس دا كونها" "Rui Dias da Cunha" .

كتبت في "لشبونه" في السادس والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

الملك "فيليب" ، "دوق فيلا هيرموزا" ، "كونت فيكالهو"

معنون إلى : الكونت نائب الملك في الهند ، وساطة أولى .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة ملكية . يقول إنه أرسل رسالة الأخوة إلى ملك قشن ، "لشبونه" ، بتاريخ الخامس من شهر مارس عام ١٦٢٤م : [٣٢]

الكونت نائب الملك والصديق ، أبعث إليك - أنا الملك - تحيات أرسلها لشخص أحبه .

قد أمرت بتوجيه رسالة أخوة إلى ملك قشن ، وبهذه الرسالة سيصبح (أخاً) بسبب الآراء المعبّر عنها فيها والتي قدمها في رده لي .

إنني أرد عليه في هذه الرسالة ، وأعهد إليك بترتيب إرسال رسالة الأخوة ، وردي إليه إذا رأيت ذلك ملائماً .

عليك أيضاً أن تكتب إليه بالطريقة التي تراها ملائمة ، وعليك أيضا أن تستفيد من صداقة الملك طبقاً لما تسمح به الظروف .

كتبت في "لشبونه" في السادس من شهر مارس عام ١٦٢٣م .

(٣٢) رقم الوثيقة والهامش.

الملك "فيليب" ، "دوق فيلا هيرموزا" ، "كونت فيكالهو" .
عن الكونت نائب الملك في الهند ، وساطة أولى .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك . كان "فرانسيسكو برانداو دي ليما" قد طلب تأكيد عقد استئجار جزيرة (مصيرة) الذي منحه إياه نائب الملك ، "لورنسو دي تافورا" ، "لشبونه" ، بتاريخ الثالث عشر من شهر مارس عام ١٦٢٤م : [(٣٣)]

الكونت نائب الملك والصديق ، أبعث إليك - أنا الملك- تحيات كالتي أبعث بها لشخص أكن له تقديراً سامياً .

قد أرسل "فرانسيسكو براندو دي ليما" – وهو "casado" ومقيم في "غوا" – يطلب تأكيد عقد استئجار جزيرة مصيرة وخليجها الصغير ، والذي منحه له ولورثته "روي لورنسو دي تافورا" عندما كان نائب الملك في الدولة .

حيث إن ما يطالب به أمر هام للغاية فقد شعرت بأن عليّ ألا أذعن له قبل أن أعرض الأمر عليك أولاً .

---

(٣٣) رقم الوثيقة والهامش.

في ضوء الوضع الحالي في هرمز ؛ ونظراً إلى أن هذه الجزيرة قريبة من ذلك المضيق ، أكلفك بمعرفة ما إذا كان مثل ذلك الترتيب يعتبر ملائماً وحكيماً ، وأن تفيدني بما تعرفه عن هذا الأمر حتى أقرر ما يحقق أفضل خدمة لي .

كتبت في "لشبونه" في الثالث عشر من شهر مارس عام ١٦٢٤م .

"دوم ديوغو دي كاسترو" ، "دوم ديوغو دا سيلفا"

إلى : الكونت نائب الملك في الهند ، وساطة أولى .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من الملك إلى حكام البرتغال بشأن مسقط ، "مدريد" ، بتاريخ الثاني والعشرين من شهر مايو عام ١٦٢٤م : [٣٤]

الحكام والأصدقاء ، أبعث إليكم - أنا الملك - بالكثير من التحيات التي أبعثها للذين أحبهم .

قد تم للتو استلام رسالتي "مارتيم افونسو دي ميلو" ، قائد مسقط ، و"نيكولاو دا سيلفا" "Nicolao da Silva" ، كبير مسؤولي الخزانة ، اللتين وصلتا براً ، وتجدون طي هذه الرسالة صوراً من تقرير عن الهجوم الذي شنه الفرس على تلك القلعة ، وعن النجاح الذي حققه الأسطول الذي ذهب لمواجهتهم ، وعما فعله "روي دي أندراد" بعد الوصول إلى هناك ، وقد قررت أن أرسلهما إليكم لتخضعا لدراسة في مجلس الدولة .

بعد أن لاحظت أن الفرس - بالتعاون مع الإنجليز - قد امتلكوا القوة في البحر التي كانوا يفتقرون إليها حتى الآن ، وإننا إذا اضطررنا

(٣٤) رقم الوثيقة والهامش.

لمواجهتهم ومواجهة الإنجليز ، فسيكون من الصعوبة بمكان مواجهتهم والتأكد من أن الإنجليز لا يساعدون الفرس ، فليكن هناك نقاش حول ما يمكن أن نقوم به فيما يتعلق بالمساعدة التي ربما نتلقاها لتعطيل الإنجليز ، وبشأن الأوامر التي يجب إرسالها ، فيما يتعلق بهذا ، إلى نائب الملك في الهند وإلى "روي فرير دي اندريد" .

كتبت في مدريد بتاريخ الثاني والعشرين من شهر مايو عام ١٦٢٤م . الملك ، إلى "دوق فيلا هيرموزا" ، "كونت فيكالهو" ، ومعنون إلى : حكام البرتغال

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من "نيكولاو دا سيلفا" إلى الملك "سانشو دي توفار" ، مسقط ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر مايو عام ١٦٢٤م ، وفيها أمر القبطان العام بالتوجه إلى هرمز : (٣٥)

مولاي ،

قدمت لجلالتكم عن طريق "دومينجوس دا كوستا" "Domingos da Costa" - الذي غادر هذه القلعة في شهر يناير - بياناً في ذلك الوقت بما يجب أن يعطيه جلالتكم للقلعة ، وبعد ذلك وصلت إلى "غوا" اثنتا عشرة سفينة من أسطول القائد "سانشو دي توفار دا سيلفا" .

وصلت تلك السفن وعلى متنها عدد قليل من الرجال ، وكان لا بد لها أن تنتظر أولئك القادمين على متن سفينتي الغليون وقارب السفينة ، بعد قضاء الشتاء في موزمبيق لتصليحها بأمر من نائب الملك ، وظلت أربع من تلك السفن هنا وتم تقسيم جنودها على السفن الأخرى .

(٣٥) رقم الوثيقة والهامش.

لقد أمرها القبطان العام بالتوجه إلى هرمز مع ست سفن من تلك التي كانت هنا واعتراض إمداداتها ، وعندما وصلت سفن الغليون كانت ستزود بعضها بعضاً ، وتكمل إعداد بعضها بعضاً وتفرض حصاراً على تلك القلعة حسب أوامر نائب الملك لها ، وبتحديد أكثر ، يجب عليه إبلاغ جلالتكم بما قرر القيام به .

بعد وصول هذه السفن الاثنتي عشرة وصلت ثلاث سفن غليون أيضاً من "غوا" تحت قيادة القائد الأعلى "بيدرو رودريغيز بوتيلهو" "Pedro Roderigues Botelho" ولم يكن على متنها إلا البحارة والمؤن .

إنني أرسل طي هذه الرسالة بيان مراقب عام الخزانة عن هذا لجلالتكم ، وقد وصل قارب سفينة يحمل عشرة آلاف"زرافين" من "غوا" أيضاً مع بعض الأغراض من السند ، ويجري القيام بأشياء أخرى ، وبالتالي يجب أن تصل إذا سمح الوقت .

وصل "فرانسيسكو بورجيز دي كاستيلو برانكو" "Francisco Borgues de Castelo Branco" أمس من موزمبيق في سفينته الغليون مع مائة وثلاثين جندياً ، ولكنه كان يفتقر إلى كل ما هو ضروري ، وقد غادر قارب السفينة معها ، ولكن كان مفهوماً أنه سيرسو في المرفأ لأنه أصدم بالحاجز .

قد فقدت السفينة الغليون الأخرى وسفينة على رصيفهما داخل المرفأ خلال عاصفة عاتية ، وتهب مثل هذه العواصف كل بضع سنوات ؛ ولكنها لم تهب منذ وقت طويل ، وحيث إن عدداً قليلاً من الجنود وصل فسيكون هناك نقص عند الحاجة لعدد كبير .

إذا كان مؤملاً أن تضيف لهؤلاء البحارة ، فسيكون هناك نقص في سفن الغليون المتجهة إلى "غوا" في شهر أغسطس حسب أوامر نائب الملك .

قد شهدت هذه القلعة – ولا تزال تشهد – تجارة ضئيلة في العام الحالي ، وليست لها أي تجارة من فارس ، ولا تكاد توجد لها تجارة مع البصرة ، ويعود هذا إلى الأخطار التي تحيط بالطرق البرية وإلى نهب الشاه لبغداد والتي سلم ابن الباشا – الذي كان هناك – غنيمتها إليه ، ولذلك ، فقد عاد التجار الذين ذهبوا إلى تلك المدينة خلال الموسم دون تحقيق أرباح .

بقي "دوم غونسالو دا سيلفيرا" هناك ليساعد بأربع سفن من الأسطول ؛ لأنه خشي نشوب حرب مع سلطان "شيراز" الذي كان يبعد مسيرة يومين ، وأرسل طلباً إلى الباشا – الذي كان عازماً على الدفاع عن المدينة ، وكان يشعر بالتقدير العميق إزاء المساعدة أن تكون أكبر لو كانت هناك سفن لأنه من المهم بالنسبة لهذه القلعة ألا تعود قوات الشاه إلى ذلك الميناء .

حقق الجزء الذي يخص خزانة جلالتكم في دار الجمارك خمسة وعشرين ألف "pardous of Larins" منذ شهر نوفمبر عندما بدأ موسم الأمطار ، ولا تزال هناك بعض البضائع التي يجب إرسالها ، وسيكون هناك المزيد إذا لم تكن البضاعة ذات قيمة ضئيلة مع النقص في المشترين والصادرات ، علاوة على حقيقة أن الرسوم المفروضة على الأصناف الأخرى قليلة .

بالنسبة لهذا المال زائداً الستة آلاف "زرافين" التي أحضرها "سانشو دي توفار" علاوة على ما أبلغت جلالتكم به عن إرساله بعض المال إلى نائب الملك ، فقد تم حتى الآن صرفه على نفقات الأسطول العظيمة ومصاريف هذه القلعة ونفقات "صحار" .

وصل أمس قارب السفينة الذي توجه إلى البحر الأحمر وعليه الغنيمة التي استولى عليها من ثلاث سفن عربية ، كانت تبحر من "مالابار" و"سورات" عن طريق (مين) وكانت محملة بالفلفل ، والأقمشة وأصناف أخرى صغيرة ، ولم تكن جميع السفن تحمل تصريح مرور .

قد استولى "سانشو دي توفار" أيضاً على "taurim" تابعة لملك قشم محملة ببعض المؤن وحزم الأقمشة وستة "candils" فلفل ، وبعض الفولاذ ورسائل من وكيل دابهول التجاري الذي أحضر ذلك الفولاذ والفلفل في تحد له ، وتم الاستيلاء على جميع السفن الأربع عندما كانت تبحر نحو المضيق .

قد أجريت جرداً للغنيمتين حتى أعهد بكل الأشياء للوكيل التجاري باعتبارها ملكاً لجلالتكم ، ولكن تم تقديم مطالبات من جانب أولئك الذين استولوا على السفن ومن أجل حصة "quintos" نائب الملك .

قد أبلغته في مطلع الشهر الحالي بالاستيلاء على الـ "taurim" حتى نرتب ما يخدم مصالح جلالتكم على أفضل وجه ولا سيما إعادة الـ "taurim" إلى قشم بسبب العلاقات الطيبة القائمة بين الملك وهذه الدولة ، ولأن الغنيمة صغيرة ، وكان هناك القليل على متن السفينة الصغيرة التي كانت تحمل تصريح مرور .

جاء بعض الأرمن و(Panros) أيضاً إلى هذا الحاجز في سفينتين تابعتين لنا من السند ، وقد استولى أتباع الشاه هنا على مقتنياتهم ، وهي محفوظة مع الغنائم لحين وصول أمر من "غوا" بشأن ما يجب القيام به بخصوصها .

يبقى كل شيء ولا يباع لعدم وجود مشترين ، ولا يوجد أحد يمكن إرغامه على دفع رسوم عنها لعدم وجود مال لديهم ، وحتى الأرز الذي أرسله نائب الملك في سفن الغليون هذه للدفع للجنود ، فإنه لا يجد مشترياً لسهولة الحصول عليه .

سيسبب هذا النقص صعوبات في تغذية الجنود ومع ما هو مطلوب لأسطول يتعين عليه فرض حصار على قلعة حتى شهر أكتوبر أو شهر نوفمبر عندما يصل المزيد من العون أو عندما – وطبقاً لما يكتبه – يقول نائب الملك أنه سيأتي .

في حال لم يحدث هذا ، فإننا نخاطر بالعمل دون جدوى ، واحتمال قدوم سفن القرقور الخاصة بالأعداء إلى ذلك الميناء (كما حدث) في شهر يناير عندما وصلت سفينتا قرقور إنجليزيتان ، وسفينتا قرقور هولنديتان ، وهي محملة بشحنة من البهارات والأقمشة ، ومع تجمع سفن الأسطول هنا ، كان سيتعذر – حتى وإن كان في ذلك المكان – منع هذه السفن من تقديم كل مساعدة للميناء وتوفير كل ما هو مطلوب للقلعة .

نتوقع أيضاً أن يرسل نائب الملك بعض المال قبل الشتاء ؛ لأن سفينة وصلت في شاول بتاريخ السابع من شهر إبريل – وكانت قد أرسلت من هنا – لكي تعطي تحذيراً من هذا النقص في خاتمة المطاف .

بعث القائد "دوم فرانسيسكو مانويل" "Francisco Manuel"

الرسائل لجلالتكم في اليوم ذاته في almadia تم إرسالها من هنا لذلك الغرض ، ومن جانبي ، سوف أسعى جاهداً بكل طريقة لأقوم بواجبي في خدمة جلالتكم وبالعمليات الأخرى في هذه القلعة والمضيق علاوة على الأمور الأخرى الخاصة بالدولة .

يمكن أن يقدم "دوم أنطونيو دي فيجويرا" "Antonio de Vigueira" تقريراً بهذا إلى جلالتكم ، وسيسافر على هذا الطريق بتصريح من نائب الملك بعد أن جاء من "غوا" برسائل لجلالتكم من حاكم "مانيلا" .

أدعو الله أن يحمي جلالتكم

مسقط ، الخامس والعشرين من شهر مايو عام ١٦٢٤م

"نيكولاو دا سيلفا"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

قدمت الشكوى ضد "جورجي دي البوكيرك" "George de Albuquerque" مسؤول سلطة صاحب الجلالة الملكية ، ووكيل خزينته ضد "جورجي البوكيرك" . فيما يتعلق بالخسائر التي طالت قلعة هرمز ، الكاتب "ديوغو دياس لوبو" "Diogo Dias Lopo" مسؤول السلطة الملكية ، المحامي "مانويل دا فيجا" "Manuel da Vega" ، "غوا" ، من التاسع عشر من شهر فبراير إلى الخامس والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٢٤م ، وتمت محاكمته في قضية سقوط هرمز ، وقد تقدم بالتماس للدفاع عن قضيته العادلة : (٣٦)

الالتماس

يطلب مسؤول سلطة جلالته ووكيل الخزانة أن يتم استدعاء المدعو "جورجي دي البوكيرك" ، ابن ووريث الراحل "فيرناو دى البوكيرك"

(٣٦) رقم الوثيقة والهامش.

"Fernao de Albuquerque" ، الحاكم السابق في هذه المملكة لمقاضاته عن الأضرار التي طالت الخزينة الملكية عندما استولى العدو على قلعة هرمز ، حيث ثبت من حيثيات التحري الذي أُجري أن المسؤولية تقع عليه ؛ بسبب الخسائر التي لحقت بالقلعة .

يناشد جلالتكم إصدار استنابة قضائية بهذا الشأن .

الإرسال

تم إصدار الاستنابة القضائية على النحو المطلوب . "غوا" التاسع عشر من شهر فبراير عام ١٦٢٤م

O conde - Thobar - Vinha wrote it - Mergulhao .

الاستنابة القضائية

"د . فرانسيسكو دا جاما" - "كونت فيديغويرا" عضو مجلس صاحب الجلالة في المملكة ، عضو الهيئة التشريعية ، الأميرال نائب الملك والقائد العام في الهند ... إلخ

أبلغ جميع من يطلع على هذه الاستنابة القضائية أنه في إطار الالتماس المقدم أعلاه من قبل مسؤول السلطة الملكية ووكيل خزينة صاحب الجلالة ، وكذلك القرار الذي أُتخذ في مجلس الخزينة بواسطة الوزراء المعنيين .

في حضوري ، فإنني بمحض إرادتي ورغبتي أمنحه الإذن لاستدعاء المدعو "جورجي دي البوكيرك" ابن ووريث الحاكم الراحل "فيرناو دى البوكيرك" حاكم هذه المملكة سابقاً ، وذلك لبيان عوامل وأسباب

الأضرار التي لحقت بالخزينة الملكية عندما سقطت هرمز في يد العدو ؛ إذ إن مسؤولية ذلك تلقى عليه في ضوء التحريات والتحقيقات التي أجريت فيما يختص بسقوط القلعة .

أعطى بهذا إشعاراً للمسؤول الأول عن الخزينة ، وسعادة القاضي العام للادعاء وبقية المسؤولين والأفراد المعنيين ، وأمرهم جميعاً بضرورة مراعاة الأمر ، والالتزام بالمتابعة ، والتأكد بأنه قد طبق على الوجه الأكمل ، دون تردد أو احتجاج .

كتب هذا بواسطة "بول فيراو" "Paul Firao" في الثاني والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٤م– "غوا"

أنا "جوزيه دى كابريرا" أمرت بكتابة ما ورد ذكره أعلاه .

O conde Almirante [Francisco da Gama]

مرسل لسعادتكم الاستنابة القضائية بموجب موافقة الوزراء في مجلس الخزينة ، والتي أمر سعادتكم بإصدارها لوكيل الخزينة لأجل استدعاء ومقاضاة المدعو "جورجي دى البوكيرك" ابن ووريث الحاكم الراحل "فيرناو دى البوكيرك" حاكم هذه المملكة سابقاً ؛ نظراً للخسائر التي طالت الخزينة الملكية ، وقد صدرت على النحو المشار له أعلاه ونتشرف بإرسالها لسعادتكم للعلم .... ثوبار

سجلت في الدفتر الثالث في سجل الأوامر القضائية – ملف ٢٢١ في "جوزيه دي كابريرا" "أنطونيو باريتو دا سيلفا" "Antonio Barreto da Silva" .

الرسوم : لا شيء تم استيفاؤه كون الاستنابة تنضوي تحت بند خدمة صاحب الجلالة . "براس بروشادو" .

سجلت في الأرشيف - الدفتر رقم ١٣ - الملف ٦٩- "ماثيوس رانجيل كيب لوبو"/ السابع عشر من شهر فبراير عام ١٦٢٤م - "بيريرا" .

الاستدعاء

الاستدعاء الذي تم توجيهه للمدعو "جورجي دي البوكيرك" .

في الثاني من شهر مارس عام ١٦٢٤م ، وفي مدينة "غوا" هذه ، وفي مقر سكن "جورجي دى البوكيرك" وبحضوره ، حسب طلب وكيل السلطة الملكية ، وفق محتوى الاستنابة المشار لها أعلاه ، والتي قرأتها بكاملها عليه كلمة فكلمة ، فقد استدعيته لجلسة الاستماع الأولى أمام قاضي الادعاء ، وقد أجاب ، وأقر بأنه يعتبر نفسه مستدعى بخصوص ذلك الأمر الذي كتبت بشأنه هذه المذكرة ...... "ديوغو دياس لوبو" كتب هذا

إلحاق إلـى صيغة الاستدعاء

في الخامس من شهر مارس عام ١٦٢٤م في مدينة "غوا" هذه ، وفي جلسة الاستماع الذي عقد بالإنابة عن قاضي الادعاء بواسطة قاضي محكمة الاستئناف العليا "غونسالو دى منسيس هوميم" ، ذكر القاضي بالإنابة عن جلالة الملك أن "جورجي دى البوكيرك" ، في إطار الاستنابة المرفقة يعتبر "فيرناو دي البوكيرك" مسؤولاً عن الخسائر والأضرار التي لحقت بمصلحة صاحب الجلالة ؛ لأن المذكور "فيرناو دى البوكيرك" لم يقم بإرسال المساعدات لقلعة هرمز .

لقد طلب أنه حين يتم إشعار واستدعاء المدعى عليه ، فبوسعه أن يحصل على الإذن للاتهام .

لقد أمر القاضي المذكور ، أنه يجب أن يتم إشعار المدعى عليه بواسطة معلن المحكمة ، وهذا ما تم بالفعل ؛ لكن طالما إنه لم يحضر بنفسه ، ولم يكلف أي شخص آخر بالحضور بالإنابة عنه ، فبالتالي فإنه من وجهة النظر القانونية يُعتبر مُعلناً للقضية بشروطها وسجلاتها ، وبالتالي فقد أذن لوكيل السلطات الملكية بالاتهام ...

أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت ما ورد ذكره أعلاه

الإذن الذي منح لوكيل السلطة الملكية بالاتهام

الإذن الذي منح لوكيل السلطة الملكية بالاتهام السادس من شهر مارس عام ١٦٢٤م

عرض القضية لقرار الاتهام

في الثالث والعشرين من شهر إبريل عام ١٦٢٤م ، وفي مدينة "غوا" وبموجب جلسة الاستماع التي عقدت بالإنابة عن قاضي الادعاء ، بواسطة قاضي محكمة الاستئناف العليا "بيدرو ألفاريز بيريرا" "Pedro Alvares Perriera" تم تقديم الاتهام الآتي ، وقد استلم القاضي المذكور كل المستندات المطلوبة ، ومن ثم أمر بمنح الإذن للرد على أقوال المدعى ...... أنا "ديوغو دياس لوبو" أمرت بكتابة ما ورد أعلاه .

قرار الاتهام

قرار وكيل السلطة الملكية ووكيل خزينة جلالته ضد "جورجي دي البوكيرك" .

المحتوى :

يتضمن إبراز حقيقة أن الراحل "فيرناو دي البوكيرك" ، أب المُدعَى عليه ، كان حاكماً في هذه المملكة وملزماً بالدفاع عنها ، وتقديم المساعدة لقلعتها عند الضرورة ، وذلك فيما يتعلق بإعداد وإرسال الأساطيل وتجهيزها ، وتذويدها بمختلف المتطلبات الضرورية واللازمة من مؤن ومساعدات عسكرية ومدنية وغيرها .

غير أنه لم يفعل شيئاً من ذلك فيما يخص قلعة هرمز ، إذ قام بإرسال السفن في شهر أكتوبر وشهر نوفمبر عام ١٦٢٠م ، وذلك بطلب من "روي فرير دي أندراد" القائد في مضيق هرمز ، وبعدما وضّح له حاجته لتلك السفن .

كان بوسعه أن يرسلها له لأنها بالفعل متوفرة لديه ، ولقد تبرعت المدينة بتجهيزها والالتزام بتوفير كل الاحتياجات من معدات ومؤن وغيرها ، ولو كان الحاكم سارع بإرسال تلك المساعدات لكانت النتيجة مغايرة تماماً بحيث يتمكن القائد "روي فرير" مواجهة ومحاربة الأعداء الأوروبيين في "جاسك"

بشكل أفضل مما تم بحيث يحول دون أخذهم الحرير أو العودة في العام التالي لمهاجمة "روي فرير" أو حتى يقاتلوا من أجل قشم أو الاستيلاء على هرمز .

سوف يوضح أن الحاكم المذكور لم يرسل السفينتين المذكورتين إلا في العام التالي ، وهي السفن التي مولتها المدينة ، وإلى جانب إرسالها في الوقت الخطأ ، فقد اختار لقيادتها أيضاً كلاً من الكابتن "د . جواو دا سيلفيرا" "D . Joao da Silviera" و"د . مانويل دي أزفيدو" "D . Francisco de Azevido" ألد أعداء وخصوم "روي فرير" ، أضف لذلك أن بغضه الشديد تجاه الأخير أمر يعلمه الجميع .

لم يكن هذا الاختيار يصب في مصلحة صاحب الجلالة ، كما برهنه "د . مانويل" منذ مغادرته هرمز تاركاً السفينة هناك في وقت الضرورة الملحة .

سوف يوضح أيضاً أن الحاكم عندما تلقى في يومي الثامن والتاسع من شهر مارس الأخبار الخاصة بمحنة المضيق حيث توجد القلعة ، لم يعمل فوراً على اتخاذ التدابير الواقية والإجراءات الضرورية التي تتطلب أن يقوم بإرسال تعزيزات للقلعة ، وقد نُبه لهذا الأمر من جانب رجال المدينة .

قد أبحر الأسطول الذي نقل المساعدات بقيادة "كونستانتينو دى إيسا دى نورونها" في الثاني من شهر إبريل ، وكان بوسعه إرسال الأسطول في وقت مبكر ؛ لأنه عندما وصلت الرسالة إليه كان أسطول مراكب "سانقويسيز" عند الحاجز ، ولكن لم يرغب الحاكم في إرساله بالرغم من إعلان قائده عن استعداده للإبحار إلى هرمز .

بدلاً من ذلك أمر بتفكيكه ، ولو حدث أن أبحر ذلك الأسطول لوجد القلعة ما تزال تحت سيطرتنا ، ولكان وصوله مجدياً بشكل

كبير . بعكس أسطول "كونستانتينو دى أيسا" الذي وصل بعد سقوط القلعة .

بسبب كل هذا فقد زعموا أن الحاكم هو الذي تسبب في سقوط القلعة ، وهو الملزم بدفع التعويضات عن الخسائر التي طالت خزينة صاحب الجلالة ، والأضرار التي لحقت بأتباع جلالته ، وعلى كل حال سوف يُبت في هذا الاتهام إحقاقاً للحق .

سوف يُوضح أن المدعي عليه هو ابن الحاكم الراحل ووريثه الشرعي ، وبموجبه سوف يلزم بدفع تعويضات عن الخسائر والأضرار ، ولابد أن يكون هذا منطوق الحكم .

هذا ما لزم لإعلانه على الجميع

P- admiti ejus titulos complementus or meliori modo Juris eum expencis (sic),

هنا أفوض الجهات المختصة بالتحقيق لإثبات ذلك .... ميرقيلهاو

تفويض

من "جورجي دي البوكيرك"

أعين للدفاع عني في جميع القضايا والمحاكمات وجلسات الاستماع السيد المحامي المستشار "مانويل دا فيجا" ، الذي أمنحه كل الصلاحيات القانونية . اليوم الخامس من شهر مارس عام ١٦٢٤م .

"جورجي دي البوكيرك" .

إذن المحامي

تم منح الإذن للمحامي المستشار "مانويل دى فيجا" للرد على الادعاء الرابع والعشرين من شهر إبريل عام ١٦٢٤م .

مرافعة وكيل المدعى عليه

في الرابع عشر من شهر مايو من عام ١٦٢٤م ، وفي مدينة "غوا" ، وفي جلسة الاستماع التي عقدت بالإنابة عن قاضي الادعاء ، بواسطة قاضي محكمة الاستئناف العليا "غونسالو منديس هوميم" ، ترافع المحامي "مانويل دى فيجا" في هذه القضية حيث طرح الاعتراض التالي :

أولاً طلب أن يصار إلى استماع الدعوى بعد مضي عشرة أيام ، وبالفعل أمر القاضي بتأجيل جلسة الاستماع للدعوى عشرة أيام قادمة ، واستدعى المحامين لاستماع أقوال الشهود بعد أدائهم القسم ...

أنا "ديوغو دياس لوبو" أمرت بكتابة ما ورد أعلاه .

توضيح الاعتراض

في ظل هذا الاعتراض الحاسم ، أعلن أن شكوى المتظلم لا تقوم على أساس ، وإن الدعوى ضد المدعي عليه لا علاقة لها بإدانته ، وهو غير مسؤول عن تبعات أي أمر ذا صلة بـهرمز ، سواء أكان ذلك على الصعيد الجنائي أو المدني .

أما بالنسبة لقرار الاتهام من الناحية القانونية ، فيقول المدعي عليه "جورجي البوكيرك" :

سوف يوضح أن القضية المطروحة بشأن المتهمية ، حيث ترتب على ذلك الخطأ ما سُمي بالجريمة ، التي يقال إن المتسبب فيها "فيرناو دي البوكيرك" ضد التزاماته تجاه منصبه في فترة توليه حكم هذه المملكة .

بما أنه لم يتم استدعاؤه للمثول أمام القانون إبان فترة حياته ، كما أنه لم ترفع ضده أية شكوى ، وبما أنه لا أحد قد أثبت أن الحاكم الراحل قد حقق أية مكاسب أو فوائد من هذه القضية ، وأيضاً لم يثبت حدوث أية منفعة لورثته ، فلا يمكن أن تقام قضية لإدانة "جورجي دي البوكيرك" بصفته ابنه ووريثه الشرعي من الناحية القانونية .

بالتالي لابد من شطبها ، وسوف يوضح أنه طالما في هذه القضية لم يطرح الاحتجاج بشأن تهمة جنائية أو عمل شرير غير قانوني ، وإنما تعلق الأمر بأضرار يزعم أنها طالت صاحب الجلالة في قلعة هرمز ، فإن هذا العمل أو التهمة وجهت للمدعي عليه باعتباره ابن الحاكم ، أي والده بصفته وريثه إنما هو عمل عقابي ، وبالنسبة للقانون ، فإن الأعمال العقابية لا تنسحب على الورثة باستثناء الحالات الخلافية والأمور المتنازع عليها مع المتوفى .

لكن في هذه القضية لم يكن النزاع قد أُثير ضد الوالد ، كما أن الوريث المدعَى عليه ، لم يتلق أية فوائد من أي نوع ترتبت على سقوط القلعة ، وبالتالي لا يمكن الاستمرار في إقامة دعوى الاتهام ، كما لا يترتب على "جورجي دي البوكيرك" تحمل أية مسؤوليات عن أعمال وتصرفات ليست له يد فيها ، وهذا ما لزم للعلم .

طالب بقبول الاعتراض ما أمكن بأفضل وجه ، وفقاً للإجراءات القانونية

In omnibus et singulis inleg . j . complimentus cum exp . (sic) . Veiga

كانت فترة التأجيل قد بدأت بتاريخ الخامس عشر من شهر مايو عام ١٦٢٤م- المناشد .

"ميرقيلهاو"

الحكم في القضية

في الثالث عشر من شهر أغسطس عام ١٦٢٤م ، في مدينة "غوا" ، وفي جلسة الاستماع التي عُقدت بالإنابة عن قاضي السلطة الحاكمة بواسطة قاضي محكمة الاستئناف العليا "بيدرو الفاريز بيريرا" قال المحامي "مانويل دى فيجا" أن مدة تأجيل هذه القضية قد انتهت ، ومن ثم طالب بالحكم .

لكن صرح القاضي "سيباستياو رودريغيز كاردوسو" "Sebastiao Roderigues Cardoso" أنه أرجأ الحكم في هذه القضية ؛ بسبب ما ساوره من شكوك ، وأمر بإكمال الملفات ...

أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت هذا .

قرار المحكمة العليا

لقد تم الاتفاق في المحكمة العليا .... إلخ ، أنه في ضوء اعتراض المدعى عليه والمعترض ؛ بحيث إنهم لم يقبلوا في إطار الموضوع ، وبوسع المدعَى عليه أن يرد على قرار الاتهام ، وبوسعه الإفادة من مادة اعتراضه في الرد .

"غوا" في الثلاثين من شهر أغسطس عام ١٦٢٤م

Vinha . Barreto . Pinto . Goncalo Mendes Homen .

نشر القرار

في الثلاثين من شهر أغسطس عام ١٦٢٤م في مدينة "غوا" وفي جلسة الاستماع بالإنابة عن قاضي السلطة الحاكمة بواسطة قاضي محكمة الاستئناف العليا "غونسالو منديس هوميم" تم نشر القرار المذكور أعلاه ، وصدر الأمر بأن يسمح للطرف المتضرر بالرد على أقوال المدعي .

إصدار الإذن للمحامي

تم منح الإذن للمحامي "مانويل دى فيجا" بالرد على المتهمة في الحادي والثلاثين من شهر أغسطس عام ١٦٢٤م .

مرافعة ممثل الدفاع عن المدعي عليه "جورجي دي البوكيرك" .

في العاشر من شهر سبتمبر عام ١٦٢٤م في مدينة "غوا" ، وبموجب جلسة الاستماع بالإنابة عن قاضي الادعاء بواسطة قاضي محكمة الاستئناف العليا "غونسالو منديس هوميم" ، قدمت المرافعة في هذه القضية بواسطة المحامي "مانويل دى فيجا" بالجواب التالي ، والوثائق الإضافية ، وقد تسلم القاضي المذكور كل ذلك ، وأمر بأن يسمح لوكيل السلطة الحاكمة بالإجابة .... "ديوغو دياس لوبو" .

رد المدعى عليه

هنا قدم المدعى عليه بنود الاعتراض ، وهي عبارة عن سبع نقاط كي يجيب عليها الشهود أمام قاضي المحكمة العليا .

بالإضافة لذلك أفاد بالمضمون التالي :

سوف يوضح أن "فيرناو دي البوكيرك" قد تولى الحكم في تلك المملكة في الثاني عشر من شهر نوفمبر عام ١٦١٩م ، وذلك في فترة كانت مملكة الهند بكل مصادرها ، وكل ما فيها فيما يتعلق بالخزينة الملكية في حاجة ماسة لجميع إيرادات مراكز الجمارك ، وكالمناطق الأخرى خاصة إيرادات مركز الجمارك في "غوا" باعتباره المركز الأساسي .

ذلك لأن خليفته "كوندي دي ريدوندو" "Conde de Redondo" ، الذي كان نائب الملك حينذاك قد تركه مرهوناً لرجال الأعمال بعد أن تلقى منهم قروضاً عديدة لمقابلة المتطلبات الضرورية في المملكة ، وقد تمكنوا من الحصول من دخله بزيادة عشرين ألف "أشرفي" ، وفي الحقيقة استلموا كل الدخل العائد من المركز المذكور حتى شهر فبراير عام ١٦٢٠م .

فوق ذلك سوف يبين أنه في فترة تولي "فيرناو دي البوكيرك" الحكم في المملكة ، كانت الأساطيل العادية في تلك السنة قد شرع في بنائها باستثناء تلك التي تؤول إلى كانارا والتي قام بإرسالها .

بالرغم من هذا ، فقد تمكن بجهده ومثابرته من الوفاء بكل ما تتطلبه تلك الأساطيل من الاحتياجات الضرورية ، وتمكن من إرسال أسطول الشمال في بداية شهر ديسمبر ، والأمر نفسه بالنسبة لأساطيل "مالبار" ، و"رأس كومورين" .

كما أرسل أيضاً مساعدات إلى قلعة "ملقا" ، وأيضاً قلعة هرمز التي كانت حينها تنعم بالسلام في ذلك الوقت ، حيث لم تكن هناك متطلبات أخرى ، ويمكن التأكد من ذلك من خلال الرسالة المرفقة

من طرف الكابتن "د . فرانسيسكو دي سوسا" ، والتي قُدمت مشفوعة بالتصديق والإقرار .

سوف يتضح أن "فيرناو دي البوكيرك" كان في كل عام يقوم بإعداد الأسطول في هذه المملكة بنفس الطريقة ، ويعمل على توفير كل الأشياء الضرورية ؛ كي يخلق حكومة صالحة دون أن يلجأ إلى فرض ضرائب إضافية ، أو يتخذ وسائل أخرى من ذلك القبيل ، التي عادة ما تفرض مع قليل الحاجة على عناصر صاحب الجلالة لأجل مصلحة خدمة جلالته ، وقد حدث هذا بالرغم من أن كل عام من حاكميته ، شهد فشل السفن في الوصول من البرتغال .

سوف يوضح أن "فيرناو دي البوكيرك" قد جهز في العام التالي سفينتين تم تسليحهما جيداً بالمدفعية والذخائر والمؤن ؛ وذلك لأجل تعزيز أسطول "روي فرير" ، وبالرغم من فشل البرتغال في ذلك ، وقد زودهما أيضاً بالجنود والبحارة ، وقد توفرت لديه أخبار خاصة بأن السفن البريطانية التي وصلت في "سورات" في شهر أكتوبر من ذلك العام ، قد غادرت في شهر نوفمبر متجهة إلى "جاسك" حيث اشتبكت مع أسطول "روى فرير" .

بالتالي ، فإذا كانت تلك السفن قد أبحرت في ذلك الوقت ، فإنها كانت ستخوض مغامرة كبيرة للاستيلاء عليها من قبل سفن العدو ، مما يزيد في قوته وتعزيز أسطوله لمحاربتنا ، والإضرار بأسطولنا أو ربما أمكنها تدميره بالكامل .

أيضاً سيتبين أنه بعد هذه المناسبة ، أي عندما توفرت للحاكم

أخبار تفيد أن سفن الإنجليز قد عادت إلى "سورات" ، شرع على الفور في إعداد وإرسال السفينتين اللتين غادرتا هذه المدينة إلى هرمز في السادس من شهر إبريل عام ١٦٢١م ، وهما محملتان بالإمدادات والمؤن وقطع المدفعية لأجل تلك القلعة .

وتجديد أسطول "روي فرير" كي يكون فعالاً ، بحيث أضيفت السفن للبقية ، ومن ثم غادرت في شهر ديسمبر التالي من عام ١٦٢١م ، كي يواجه سفن البريطانيين حسبما أوصى به الحاكم ، وأصدر له توجيهاته التي حملتها له تلك السفن .

سوف يوضح أيضاً أنه أرسل في نفس السفن أوامر صاحب الجلالة التي تلقاها عنه ، بحيث أوعز له بما يجب عليه عمله ، وفي المقام حسبما يمكن ملاحظته من رسائله ، فقد حثه بصفة خاصة بتنفيذ ذلك ، غير أن "روي فرير" أهمل الأمر ، واتجه إلى قشم تاركاً الأسطول ، ولقد نتج عن عدم التنفيذ ضياع هرمز وسقوط القلعة .

كان الحاكم العجوز ذو الخبرة الطويلة قد تكهن بالأمر ، وأطلعه بكل وضوح على ذلك لأجل إقناعه على ألا يحيد بأي شكل عن ذلك الأمر ، وكان بوسعه أن ينفذ كل ذلك .

ضياع هرمز كما هو معروف جيداً يعزى لهذه الأسباب وليس لغيرها ، كما أنه لم يحدث بسبب النقص في السفن ، إذ إنها كانت مجهزة لمواجهة كل شيء ، وكان في مقدور "روي فرير" محاربة سفن البريطانيين مجدداً والدفاع عن المدينة ، وهناك أشخاص أكدوا هذه

الحقيقة عندما كانوا في هرمز والمناطق المجاورة ، وهؤلاء لهم دراية ومعرفة بالشروط المذكورة وحقيقة كل ما حدث .

سوف يوضح أيضاً مساعي الحاكم في رفد تلك السفن بالمحاربين ، بالرغم من النقص الكبير في كل شيء في المملكة ، إذ إنه دأب على إرسال رجال القانون والمسؤولين الذين جابوا المنطقة والمساكن ؛ كي يحثوا الجنود والبحارة والعمال للانضمام للأسطول ، كما نشروا الإعلانات بالعفو عن المندسين ، وأخذهم من البر ومن السجن ، وذلك بسبب عدم قدوم السفن .

في تلك السنة لم تصل سوى السفينة "دى فرانكا" "de Franca" ، وذلك في الرابع عشر من شهر ديسمبر ، وقد وصلت بعد أن هلك معظم ركابها . هذا وقد شاركت مدينة "غوا" بتقديم بعض الأموال بنسبة اثنين بالمائة من عائد الضرائب ، الذي خُصص منذ البداية لأجل تلك السفن والأساطيل بغية إبعاد العدو الأوروبي .

سوف يوضح أيضاً أن "د . جواو دا سيلفيرا" و"د . مانويل دي أزفيدو" ، اللذين تم اختيارهما لقيادة السفينتين أنهما شخصان لهما من الكفاءة والمهارة ما يؤهلهما لمنصب القيادة بل وربما يستحقان أكثر من ذلك .

بسبب ذلك فقد صدر أمر إدارة القصر بمنحهما العفو عن جرائمهما بحيث كان الحكم عليهما بالنفي للعمل في هرمز ، وتعيين أحدهما في منصب الأميرال والآخر للعمل في السفينة في مجموعة "روي فرير" .

سوف يوضح أن "د . مانويل دي أزفيدو" غادر هرمز ؛ بسبب ما

أوصاه به الطبيب من أن حياته في خطر ، وأنه سوف يموت إذا ما بقي في هرمز ؛ نظراً لإصابته بقرحة المعدة ، وأن وجوده في تلك المنطقة الحارة لا يتناسب مع حالته الصحية المتدهورة ؛ وبسبب ذلك فقد نجا من براثن مرض خطير كان يمكن أن يؤدي لوفاته .

عند وصولهم إلى هرمز ، وجدوا "روي فرير" يستعد للإبحار إلى قشم ، وقد ترك "د . مانويل" مع السفن كأميرال مسؤول عن الأسطول ، وصحب "د . جواو" كي يساعده في بناء القلعة .

نظراً للجهد الذي بذله فقد تدهورت صحته ، واشتد مرضه حتى توفي ، وسوف يوضح أنه طيلة ذلك الوقت ظل "د . مانويل" و"د . جواو دا سيلفيرا" موجودين قريباً من "روي فرير" بحيث أمكنهما توطيد علاقات الود معه ، وأصبحوا أصدقاء ، وإذا لم يكن هذا هو واقع الحال ، وأن شيئاً ما قد حدث بين أولئك الأفراد النبلاء والمميزين .

يعلم أو يسمع به أحد ، فإن خدمة جلالته لم تهمل بسبب ذلك ، ومن المعروف جيداً أن ذلك لم يحدث بسبب أية خصومة بينهم كي يضطر "د . مانويل" للابتعاد ، إنما للسبب الذي أشير إليه .

سوف يوضح أن الحاكم قد توخى الحذر ، واحتاط لإرسال المساعدات والمؤن إلى هرمز بالرغم من حاجته للمال ، وعدم حصوله على أي دخل من خزينة صاحب الجلالة ؛ كي يساعده على الإنفاق ، وحقيقة لم يكن لديه ما يمكنه من الصرف على الاحتياجات الضرورية .

بعد أن أرسل مؤخراً السفن المذكورة ، وقادتها بمجرد علمه أن "روى فرير" قد تخلى عن الأسطول ، وذهب إلى قشم لبناء القلعة هناك ، قام

فوراً بإرسال المزيد من السفن العاملة بالمجاديف ، ومجموعة من الجنود والمؤن بغية المحافظة والدفاع عن تلك القلعة .

سوف يتضح أنه لأجل اتخاذ القرار الصائب ، فقد دعا المجلس للانعقاد بحيث اختير "سيماو دي ميلو" ؛ لتوصيل المساعدات التي تم الاتفاق عليها أيضاً ، وكان قد عمل في العام الماضي كقائد في "مالبار" ، وكان أداؤه مرضياً ، وفي نفس ذلك العام كان قد عُين في نفس المنصب ، وكانت الأوامر التي زود بها أن يقوم بتسليم المساعدات إلى "روي فرير" ، وأن يبقى هناك كمساعد له في قلعة هرمز .

عموماً غادر هذه المدينة في الرابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٢١م في عشرة من السفن مزودة بمائتي وتسع وتسعين جندياً ، وقام بتسليم هذه التعزيزات للقائد "روي فرير" .

سوف يتبين أنه بالرغم من أن "روي فرير" ما يزال موجوداً في قشم دون أية ضغوط إلا أنه أمر بإعداد سفينتين وتجهيز ستين جندياً في نفس الوقت ، حسب أوامر الحاكم الصادرة للقبطان في "ديو روى دياس دى سامبايو" ، ومسؤول الخزينة هناك "جواو فاز كاسكاو" "Joao Vaz Cascaoe" لأجل إرسال المزيد من السفن المحملة بالمؤن والعاملة بالمجاديف ، وقد فعل نفس الشيء مع بقية القادة والمدن والقلاع الموجودة في الشمال .

سيوضح أن الحاكم أمر "ديوغو دي سوسا دي منسيس" "Diogo de Susa de Meneses" بأخذ سفينة ومرافقة "سيماو دي ميلو" ، وهو أحد أبناء النبلاء ، تم تعيينه بواسطة صاحب الجلالة في منصب قبطانية قلعة هرمز التي سوف يتولاها عقب فترة انتهاء حاكمية "د .

فرانسيسكو دي سوسا" ، ولم يسبق أن تم تعيين أي شخص آخر في الهند قبله في هذا المنصب .

من نسخة قائمة الخلافة التي وضعها ، كان قد وضع اسم "ديوغو دي سوسا" على رأس القائمة . أما "ديوغو دي منسيس" ، فلم يذهب مع هذه المجموعة ؛ بسبب المرض الذي ألم به ، وعندما تم فض النسخة وقت وفاة "د . فرانسيسكو دي سوسا" ، تبين أنه قد عين في المنصب ؛ لكن لم يكن ساعتها موجوداً في هرمز ، وبالتالي تم فتح النسخة الثانية التي ورد فيها اسم "سيماو دي ميلو بيريرا" .

سوف يتضح أن الأنباء التي وصلت الحاكم في الثامن أو التاسع من شهر مارس كما يروى في المتهمية أن قشم وحدها ، هي التي كانت تئن تحت وطأة الحصار والضغط ، ولقد تناول الحاكم بالنقاش مع المجلس ما يجب عمله ، وتم اختيار "كونستانتينو د . ايسا" ، ولم يؤخذ في الاعتبار إرسال مراكب "سانقويسز" ؛ لأنها مراكب صغيرة ليست لها القدرة على الإبحار عبر الخليج (بحر العرب) إلى هرمز في موسم المونسون كما تقتضي الحاجة .

ذلك بسبب نشاط الرياح الشمالية الشرقية وقوتها في ذلك الوقت ، حيث إن السفن تجد صعوبة بالغة في الإبحار ، ولعل الدليل على ذلك حالة السفن الأربع التي أعطيت للكابتن "قسطنطين دي سا" لكن يمكن أن تستخدم في المضيق ، وبصفتها من السفن الخفيفة فيمكن استخدامها لتوصيل البريد .

أما في ساحل الهند فيقتصر استخدامها على مرافقة الباروس . كانت

اثنتان منها قد عملتا على الاحتماء بالرغم من تزويدهما بالأشرعة ؛ لكنهما لم تحملا أية إمدادات ، وإنما حملت فقط ستة من البحارة البرتغاليين . أما تلك التي نجحت في العبور ، فقد كان ذلك بسبب قطرها بواسطة "البيناسس" باعتبارها مراكب سفن .

سوف يوضح أيضاً أنه بموجب تلك الحالة ، فإن الدعم بواسطة "السانقويسز" لن يكون فعالاً ، ومن المؤكد ليس كامل الأسطول ؛ لأنه لم يتوفر من سفن "البيناسس" ما يكفي لقطرها ، وأيضاً سوف يؤدي ذلك إلى زيادة مدة الرحلة .

لكل هذه الأسباب ، وعندما ناقش المجلس إمكانية توجه "السانقويسز" إلى هرمز في ذلك الوقت ، ثم الاتفاق على تكوين أسطول آخر ، وعليه أمر الحاكم بأن توجه سفن "السانقويسز" الموجودة ، وكذلك الجنود إلى هرمز . أما الآخرون مثل "سانشو دي توبار" باعتباره قبطاناً في سفينة "سانقويل" ، فقد رافق بقية جنوده وبحارته كقائد للسفينة مع "قسطنطين دي سا" .

سوف يوضح كم كان مستحيلاً على أسطول "السانقويسز" العبور إلى هرمز خلال شهر إبريل ؛ نظراً لهبوب رياح المونسون بالبحارة والجنود والإمدادات ، وذلك بعد مغادرة اثنتين من أقوى سفن أسطول "قسطنطين دي سا" واحدة بقيادة "جوليو مونيز" "Jolio Mones" والثانية بقيادة "جواو دا كوستا دي منسيس" "Joao da Costa de Meneses" في "شول" "Chaul" ، وذلك بسبب عدم قدرتها على الإبحار في ظل شدة هبوب وقوة رياح الوسترليز .

أما "السانقويسز" ، فبسبب صغرها إذا ما قورنت بالسفن الأخرى من حيث الحجم والسعة فيما يختص بالنقل ، فلا يعقل أن تكون ذات جدوى في ذلك الشأن .

بعد تلقي تلك الأخبار أضيفت عدة سفن وعدد من الأفراد مع مناصبهم على نحو عاجل بحيث إنه بالرغم من النقص الكبير في كل شيء ، إلا أن تلك التعزيزات قد أبحرت في الثاني من شهر إبريل ، أي بعد مرور تسعة أيام فقط من وصول تلك الأخبار ، وهي أقصر فترة ممكنة يتم تجهيزها فيها ، غير أن قلعة هرمز استسلمت ؛ لتصبح في أيدي الفرس والإنجليز في يوم الثاني أو الثالث من شهر مايو .

سوف يوضح أن الاستيلاء على قلعة هرمز لم يكن سببه نقص في الرجال والمؤن والذخائر ؛ لأنه إبان فترة الحصار ، كان عدد الجنود أكثر من ألف جندي برتغالي ، هذا بغض النظر عن مجموعات كبيرة من الأهالي ، كما أن كميات الغذاء من الأرز وغيره متوفرة جداً ، هذا إلى جانب توفر البسكوت والمياه والأطعمة الأخرى من خمور ولحوم وحلويات وغيرها .

سوف يبين أيضاً أنه عندما وصل العدو إلى هرمز لم تكن هنالك أية مقاومة عند عمله على إنزال جنوده كما كان متوقعاً ، وقد لوحظ أيضاً غياب التدابير والإجراءات الضرورية ؛ لمواجهة الموقف كما هو معتاد إزاء أي حصار يتم تنفيذه على المدن والقلاع ، هذا إلى جانب حقيقة أن الدفاع كان رخواً غير متقن ، وحدث الإهمال والفشل في فتح الخندق .

كان هناك نص لوصية عند مدخله يرجع تاريخها إلى وقت "افونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" تنصح بأنه إذا ما حدث أي حصار للقلعة ، فيجب أن يصار إلى فتح الخندق ، ولو كان هذا قد نفذ ، فلن يكون بمقدور العدو أن يصل قط إلى أعتاب السور ، كما أن الحصار لن يكون بذلك القرب الذي حدث .

سوف يبين أن الفرس والإنجليز قد دخلوا قلعة هرمز بموجب الاتفاقيات التي تمت بين الطرفين وذلك من البوابات التي فتحت أمامهم ، وليس من خلال الفجوات في الأسوار

سوف يوضح أنه خلال فترة حاكميته ، أرسل الحاكم في العديد من المناسبات المساعدات التالية إلى قلعة هرمز :

في شهر مارس عام ١٦٢٠م أرسل أربع سفن تحت قيادة "د . فرانسيسكو دي سوسا" ، وذلك عندما رحل كي يتولى وظيفة قبطانية القلعة ، وكان قد زوده بتسع وتسعين جندياً بتكلفة تسعمائة واثنتين وأربعين "أشرفياً" .

في العشرين من شهر إبريل أرسل "فرانسيسكو" في سفينة "بيناس" "Binas" ، بالإضافة إلى ثلاث سفن أخرى ومائة وسبع وسبعين فرداً بما فيهم البحارة بتكلفة بلغت مائتي وواحد وأربعين "أشرفياً" .

في السادس من شهر إبريل من عام ١٦٢١م ، أرسل مركبتين شراعيتين ، أوكل قيادتهما إلى كل من القبطان "د . مانويل دي أزفيدو" و"د . جواو دا سيلفيرا" ، وزودهما بمائتي وسبعين فرداً بينهم مجموعة من البحارة البرتغاليين .

سوف يوضح أنه في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر من تلك السنة أبحر "سيماو دي ميلو بيريرا" في عشرة من السفن تحمل مائتين وتسعا وتسعين شخصاً بتكلفة ، وقدرها ستة آلاف وأربعمائة وتسع "أشرفي" ، وفي الثاني من شهر إبريل أبحر "كونستانتينو دي ايسا" في ثلاث عشرة سفينة تحمل أربعمائة وتسعة وأربعين شخصاً بتكلفة قدرها تسعة آلاف وسبعمائة وخمسة وتسعين "أشرفياً" .

بأمر الحاكم تم إرسال سفينتين وستين جندياً من "ديو" لأجل مساعدة القلعة المذكورة هذا ، بالإضافة إلى إرسال كميات وفيرة من الذخيرة والمؤن والغذاءات من أرز وبسكوت ولحوم وخمور وحلويات وأدوية وكميات ضخمة من الاحتياجات الأخرى ترسل عادة لأجل الدعم .

لم يكن هناك أي إهمال أو تراخى في إرسال أية متطلبات احتاجتها القلعة ، وبالرغم من أن الحاكم كان مريضاً في معظم فترة حكمه ، إلا أنه ظل دائم الاستعداد ودائم الانتباه بحيث ثبت أنه أولى هذه الأمور جُل عنايته ، ولم يقصر في أي شيء طلب منه ، وبالتالي لم يحدث أن وُجه له أي لوم أو تقريع ، وكان تصرفه سليماً وحكيماً موفياً بكل التزاماته ومسؤولياته .

يحرص دائماً على تنفيذ توجيهات وأوامر صاحب الجلالة ، وتنفيذ كل ما يتم الاتفاق حوله من قبل مجلس المملكة في وقت الحرب دون أن يحيد عن القرارات التي يتخذها المجلس ، ودون أن يبادر بعمل شيء وفق هوى نفسه .

هذا مفهوم لدى كافة أفراد المجتمع ، وقد طالب باستلام وتدوين هذا المضمون على النحو القانوني بالرسوم .

"فيجا" .

الإذن

تم منح وكيل السلطة الملكية الإذن بالرد .

الحادي عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٢٤م

الرد

رد وكيل السلطةالملكية

في السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٢٤م ، وفي مدينة "غوا" وفي جلسة الاستماع التي عقدت بالإنابة عن قاضي الادعاء بواسطة قاضي محكمة الاستئناف العليا

قدم "بيدرو الفاريز بيريرا" محامي السلطة الملكية هذه الدعوى الادعاء التالي ، ولقد أمر القاضي المذكور أن يمنح الإذن الآخر للاعتراض .

أنا "ديوغو دياس لوبو" قد كتبت هذا .

في الرد أجاب وكيل السلطة الملكية قائلاً :

أنه سوف يوضح أن الأب المتوفي والد المدعى عليه ، قد تراخى في عملية إرسال المساعدات لقلعة هرمز ، في الوقت الذي توفرت لديه معلومات ، تفيد أن الشاه قد اعتزم غزو جزيرة هرمز ومحاصرة القلعة .

على وجه الخصوص

سوف يوضح أنه وقت توفر معلومات تفيد أن "روي فرير" يعاني من ضغوط شديدة في قشم ، وأن "د . فرانسيسكو دي سوسا" قائد هرمز قد كان مريضاً جداً ، ذهب "ديوغو دي سوسا" للحاكم الراحل والد المدعى عليه ، مبدياً كامل استعداده للذهاب إلى هرمز طالما تم تعيينه في تلك القلعة ، غير أن الحاكم الراحل رفض الموافقة على ذهاب المذكور إلى هناك .

سوف يوضح أنه بعد أن رد الحاكم الراحل بذلك على "ديوغو دي سوسا منسيس" ، أرسل "سيماو دي ميلو بيريرا" مع التعزيزات ، ومع نسخة رسالة واضعاً "ديوغو دي سوسا" على رأس قائمة الفئة التي ستذهب مع التعزيزات .

بالرغم من أنه يدرك تماماً أنه في ذلك الوقت كان مريضاً جداً ، وليس في مقدوره الذهاب إلى هرمز أو التواجد هناك ؛ لأن الحاكم لم يرتض ذهابه ، فقد فعل ذلك ؛ كي يبرهن أن "ديوغو دي سوسا دي منسيس" قد أشير له في نسخة الرسالة الأولى ؛ كي يقلل من العتاب الذي يعرف تماماً أنه سوف يوجه إليه .

سوف يظهر أن "ديوغو دي سوسا دي منسيس" هو أحد النبلاء ، وذو خبرة عريقة في مجال الحرب ، ولو كان موجوداً في هرمز عندما كان "سيماو دي ميلو" هناك ، وأعطيت له القيادة ، لما حدث سقوط القلعة ، وما كان باستطاعة الشاه أن يحتلها حتى ولو استخدم كل ما عنده من القوات المسلحة ؛ لأن "ديوغو دي سوسا دي منسيس" لن يتردد قط

في فتح الخندق ، وسوف يسارع للدفاع عن مدخل المدينة ومعابرها ، بعد إقامة المتاريس والحواجز الضرورية .

في ضوء هذه الحقائق يعتبر الحاكم الراحل هو السبب المباشر في سقوط هرمز .

هذا مفهوم الجمهور .

[P . admit . et just a complim . tus or melioris modo j to ud expensis] Mergulhao .

الإذن

تم منح الإذن للسيد المحامي "مانويل دى فييغا" في الثامن عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٢٤م .

الرد على مزاعم الادعاء

في السابع والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٦٢٤م في مدينة "غوا" هذه وعند الاستماع بالإنابة عن قاضي الادعاء بواسطة قاضي محكمة الاستئناف العليا "غونسالو منسيس هوميم" . هذه المقاضاة أعطيت الرد على مزاعم الادعاء والوثيقة الملحقة .

قد أمر القاضي المذكور تأجيل القضية وقام باستدعاء المحامين والشهود لأداء القسم ، وأعلنوا أنهم سوف يقدمون الوثائق والإفادات كأدلة وبينات ، وأما بخصوص أدلة الأطراف للقاضي المذكور فقد أمرهم بالاستمرار في الإخطار .

أنا "ديوغو دياس لوبو" قمت بكتابة ما ورد ذكره أعلاه .

في دفع الاعتراض ، يقول المدعى عليه :

أنه سوف يوضح أن "سيماو دي ميلو" عندما غادر هذه المدينة متجهاً إلى قشم في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٦٢١م ؛ لأجل مساعدة "روي فرير دي أندراد" بعشر من السفن ، كان من المفترض على "ديوغو دي سوسا" أن يرافقه وفق أوامر الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" ، ولكنه أي "ديوغو دي سوسا" تخلف عن ذلك مدعياً أنه مريض بالرغم من أن ذلك ليس حقيقة .

لقد فُهم بشكل عام أنه لأمر ملفق ، وأنه اصطنع المرض حتى لا يذهب إلى هرمز حيث تدور تلك الحرب ، وأن المرض المزعوم ليس حقيقة بالمرض الذي يمنعه من الذهاب .

سوف يظهر أن الحاكم لم يعلم أن "ديوغو دى سوسا" ، قد تخلف عن الذهاب إلى "غوا" عندما أمره ولم يقنع بذلك إلا بعد إبحار "سيماو دي ميلو" بالإمدادات ، هذا ولقد بدا عليه الغضب والاستياء إزاء هذا التصرف ، هذا وقد ضمن ذلك في التقرير الذي أرسله مع الخطابات التي كتبها إلى صاحب الجلالة وأرسلها مع السفن القادمة من البرتغال والتي أبحرت في شهر فبراير عام ١٦٢٢م

حيث ترك موضوع معاقبة المدعو "ديوغو دي سوسا منسيس" لجلالة الملك ، كي يقرر ذلك بنفسه جزاء له على المخالفة التي ارتكبها .

سوف يوضح أنه عندما توجه "ديوغو دي سوسا دي منسيس" للحاكم ، كي يطلب منه أن يرسله إلى هرمز ، كان ذلك في شهر يناير

أو شهر فبراير ... في هذه المدينة في عام ١٦٢٢م ؛ أي بعد مضي وقت طويل من ذهاب "سيماو دى ميلو" إلى هرمز .

هذا وقد وردت أخبار من "شول" عن طريق مسقط تفيد أن "د . فرانسيسكو" ، قد تلقى الشعيرة الدينية الأخيرة وهو يحتضر الآن ، وبعد ذلك أخبره الحاكم بأنه لا يجب أن يذهب إلى قلعة هرمز ، ولم يكن ذلك لأجله هو ، وإنما بسبب عدم ذهابه مع "سيماو دي ميلو" عندما أمره بذلك من قبل .

بالرغم من أنه أعطى هذا الرد ، عندما وردت الأخبار بوفاة "فرانسيسكو" فقد أرسله لتولي قبطانية هرمز مزوداً إياه بكل الأوامر القضائية والصلاحيات التي أعطيت من قبل لجميع القباطنة السابقين ، ليس هذا فحسب ، وإنما منحه أيضاً امتيازات وعطايا أخرى عظيمة .

سوف يوضح أن "ديوغو دى سوسا" لم يرغب قط في الذهاب إلى هرمز عندما كانت الحرب والمناوشات تدور على قدم وساق ، وأنه في شهر نوفمبر ، أي عندما أرسل الحاكم "سيماو دى ميلو" ، وكانت هناك أنباء مرض "د . فرانسيسكو" ذهب كي يطلب من "فيردناند كرون" الذي يعمل وكيلاً لدى "د . فرانسيسكو" أن يتخذ الإجراءات القانونية لمنعه من الذهاب ، وذلك حتى يتمكن من الإفلات من الذهاب ، في ذلك الوقت .

سوف يوضح أن "ديوغو دي سوسا دي منسيس" عندما أبحر إلى هرمز برفقة "كونستانتينو دي سا" في شهر مارس التالي ، كان قد أرسل كي يتولى قبطانية قلعة هرمز ، قدم التماساً للحاكم راجياً عدم إلزامه

بتولي أمر قلعة هرمز أو إجباره على أداء قسم الطاعة والولاء طالما ظلت الحرب باقية ، ويمكن أن يستدل على ذلك من خلال نص المرسوم القضائي الذي سوف يتم تقديمه ، حيث إنه مرفق مع الالتماس .

سوف يوضح أن "ديوغو دي سوسا" كان بعيداً من فكرة الذهاب إلى هرمز وقت استمرار الحرب ، وأنه عندما وصل "كونستانتينو دي ايسا" إلى مسقط مع المساعدات التي أخذها من هذه المدينة ، كي يواصل سيره من هناك إلى هرمز ، قبل تلقيه أنباء استسلام القلعة ، ظل "ديوغو دى سوسا" في مسقط بسفينته ، ولم يعمل على مرافقة "كونستانتينو" المتجه إلى هرمز .

سوف يوضح أنه إثر مغادرة "كونستانتينو" مسقط كان قد التقى بمجموعة من الناس في إحدى السفن وبعض السفن الأخرى ، التي قدمها لهم الإنجليز لمغادرة هرمز ، وفقاً للاتفاقية التي أبرمت بعد استسلام القلعة .

هي رحلة بطول مسافة ستين ميلاً ، لا يمكن قطعها في أقل من ستة أو سبعة أيام ، ولكي يصل القائد إلى هرمز ، فإنه يحتاج لهذه المدة بالإضافة إلى مدة مماثلة تستغرقها عملية تحميل المجموعة التي غادرت ، أي يمكن القول إن الرحلة تستغرق مدة خمسة عشر يوماً .

سوف يوضح أنه بسبب ذلك سارع الأسطول في الإبحار إلى "غوا" ، لكن لم يكن في الإمكان تجهيزه ، وإعداده في أقل من ثلاثة أو أربعة أيام ، ولم يحدث على الإطلاق أي تأخير في مسألة تجهيزه ، بل على

العكس ، فقد أعد في فترة زمنية وجيزة ، تعتبر قياسية إذا ما نظرنا إلى كم بُذل في ذلك من جهود هائلة وطاقات بشرية .

لم يكن بالإمكان أن يصل في الوقت المناسب ؛ لأجل إنقاذ ونجدة المحاصرين هناك في هرمز ؛ لأنهم سارعوا بالاستسلام ؛ وبسبب تقاعس "كونستانتينو دي ايسا" في التقدم ، حيث أبحر دون استخدام ونشر الأشرعة بكاملها ، ومكث يومين في "طيوى" Teve في حوض السفن ، وثمانية أيام في مسقط .

سوف يوضح أن الحاكم "فيرناو دى البوكيرك" قد كان يقظاً ومجداً في اتخاذ القرار ، بإرسال الدعم والمؤن إلى جميع قلاع هذه المملكة لإعداد وتجهيز الأساطيل ، وبذل من الجهد أكثر مما هو متوقع بالرغم من حالة الفقر التي تعاني منها الخزينة الملكية في ذلك الوقت ، وبرغم تقدمه في السن وشعوره بالوهن ؛ لذا فمن الخطأ أن يقال إنه أهمل أو توانى في إرسال المساعدات إلى قلعة هرمز .

هذه معلومة يعرفها الجميع .

لقد طلب تدوين هذه بالوجه الصحيح ، وبالأسلوب القانوني ، وقدم وثائق وإفادات وثائقية أخرى كأدلة ، كما قدم أيضاً برهاناً ورسائل إلى "كوتشين" و"ديو" ومسقط ومناطق أخرى كان المدعى عليه قد أشار لها ...

"فيجا"

الالتماسات والإفادات المرفقة

يقول "جورجي دي البوكيرك" أنه في هذه القضية يطلب نسخة من الالتماس الذي قدمه "ديوغو دي سوسا دي منسيس" للحاكم والده : ناشد فيه عدم إجباره على تولي الأمور ، وأداء القسم فيما يتعلق بقلعة هرمز ، عندما تقرر أن يناط به مسؤولية القيادة فيها ، إبان الحرب ، وأيضاً عن الأمر القضائي الذي صدر له ، ولقد طلب منك أن تسلمه له .

من أمين السجل في الأمانة العامة على النحو الذي لا يوجب أي خلاف لأهميته في سير العدالة وفي مصلحته .

شهود "جورجي دى البوكيرك" ، إلى الأبد ، للحقيقة والتاريخ

في الحادي والعشرين من شهر مارس من عام ١٦٢٤م ، وفي مدينة "غوا" هذه ، في منزلي ، أخذنا الإفادات من الشهود الذين مثلوا أمامنا ، أسماءهم وكنياتهم بما يلي :

أنا "ديوغو دياس" قد كتبت ذلك .

"دومينجوس دي سيبولفيدا فرونتيرو" "Domingos de Sipulvida Frontiero" ، يبلغ من العمر الاثنين والعشرين عاماً ، وقد أقسم بالإنجيل ، وبالنسبة للمنفعة لم يقل شيئاً ، وكان على أهبة الاستعداد للسفر للشمال .

بالنسبة للنقطة الأولى : أقر الشاهد بعلمه عنها ؛ لأنه في ذلك الوقت كان موجوداً في هرمز ، وعندما كان الإنجليز ، والفرس يحاصرون القلعة ، تم تزويدها بكميات وافرة من الأرز والمياه ، وبالمثل قطع المدفعية والأسلحة ، لكن كميات البارود كانت قليلة جداً .

أما بخصوص البحر فقد كانت هناك مراكب وسفن الأسطول حيث يتولى القيادة قبطان الأسطول العامل بالمجاديف . أما داخل القلعة فقد وُجد الكثيرون من المحاربين البرتغاليين والجنود ورجال المدينة . أما الباقي ففي اللوائح الداخلية .

بالنسبة للنقطة الثانية ، قال الشاهد : صحيح عندما تطور الوضع حسبما ورد وصفه أعلاه ، بالرغم من أنه كان يمكن اتخاذ إجراءات على الصعيدين البحري والبري لمنع العدو من إنزال قواته ، إلا أن تلك الإجراءات لم تتخذ قط ، وبالتالي كان كل فرد يحاول أن يجد لنفسه ملجأ في القلعة ، بحيث تركت المدينة بأسرها دون حماية . أيضاً كان الأسطول قد هُجر واتجه الجميع للقلعة .

بالنسبة للنقطة الثالثة أقر الشاهد قائلاً : صحيح أن في القلعة خندقاً مائياً ، وقد سمع ما قيل إن النص المنقوش على الحجر كان موجوداً ، لكنه لم ير أية محاولة تمت ؛ لأجل فتح الخندق المائي ، وكان من المفترض فتحه ، لكن ذلك لم يحدث .

بالنسبة للنقطة الرابعة قال الشاهد : أن القلعة قد دافعت عن نفسها ، وصمدت طويلاً كما ينبغي ، ولكن حين أعياها الصمود استسلمت بموجب اتفاقية أُبرمت مع العدو الذي تمكن من دخولها من ممر خصوصي .

أما بالنسبة للنقطة الخامسة ، فقد أقر الشاهد بصحتها وهو يدرك ذلك ؛ لأنه كان قد وصل في السفن التي قدمت من هرمز ، والتي التقى بها "كونستانتينو" بالقرب من مسقط ، وقد وصل الأهالي في

السفن التي قدمها لهم العدو بموجب الاتفاقية التي برمت ، وحتى إذا ما كان في مقدور الأسطول أن يصل للميناء قبل ستة أيام من وقت وصوله ، فبرغم ذلك لما تمكن من رفع الحصار عن القلعة .

لم يذكر الشاهد المزيد ، وبالتالي وقع على أقواله تلك مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس لوبو" قمت بكتابة ما ورد أعلاه .

"دومينجوس دي سيبولفيدا" ، "فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" "Francisco Roderigues Perriera" .

"ميجيل جوميز فرونتيرو" "Miguel Gomez Frontiero" ، عمره واحد وعشرون عاماً ، وقد أقسم بالإنجيل ، وبالنسبة للمنفعة لم يقل شيئاً ، وكان يستعد للسفر إلى الشمال .

بالنسبة للنقطة الأولى : أقر الشاهد بعلمه بها ؛ لأنه رأى ذلك بحكم وجوده في قلعة هرمز في ذلك الوقت ، فعندما كان الإنجليز يطوقون قلعة هرمز ، كانت القلعة تزود بالأرز والمياه ، وبالمثل قطع المدفعية والأسلحة ، واستمر ذلك الحال حتى يوم استسلام القلعة .

كان هناك الكثير من الأهالي ، ويعتقد أن عددهم يفوق الألف نسمة من الجنود وأهالي البلد ، كما يمكن رؤية بقية الناس في الفسحات .

بالنسبة للنقطة الثانية قال الشاهد : صحيح كان هناك الأسطول موجوداً في البحر ، وكان من الممكن أن يقوم بمحاولة لإعاقة عملية إنزال جنود العدو ، لكن لم يحدث ذلك ، كان الجميع قد اتجهوا للقلعة

بأمر من القائد ، وهكذا وجد العدو نفسه في حرية تامة لا نزال جنوده من غير تحرش أو مواجهة .

بالنسبة للنقطة الثالثة ذكر الشاهد أنه لا يعلم الكثير عن العبارة الموجودة على الحجر ، ولكنه سمع بها ، لكن لم يحدث أي شيء بشأن فتح خندق القلعة ، ولم يفتح الخندق قط .

بالنسبة للنقطة الرابعة ذكر الشاهد أنه حدث إطلاق النار بصورة مكثفة ، وكانت هناك تفجيرات في القلعة ، وقد تمكن العدو من الاستيلاء على حصن "سانتياغو" .

بعد أن شعروا بأنه لا مجال لفعل أي شيء أعلنوا استسلامهم للعدو بموجب اتفاقية ، ومن ثم أتوا من خلال ممر خاص في القلعة حسب الاتفاق الذي تم .

أما بالنسبة للنقطة الخامسة أقر الشاهد بصحتها وبعلمه بها ، حيث ذكر أنه كان قد جاء من القلعة في إحدى السفن ، وإن الذين غادروا هرمز التقوا "بكونستانتينو دي ايسا" في أسطوله على مقربة من مسقط ، ولقد قيل إن المسافة من مسقط إلى هرمز تبلغ ستين ميلاً وتستغرق الرحلة من الوقت حوالي ستة أو سبعة أيام كي يصل "كونستانتينو" إلى هرمز .

اكتفى الشاهد بهذه الأقوال ، ومن ثم وضع توقيعه مع المستجوب

أنا "ديوغو دياس لوبو" قمت بكتابة هذا .

"ميجيل جوميز" "فرانسيسكو رودريغيز بيريرا"

"د . أنطونيو دا سيلفا" "D . Antonio da Silva" ، أحد النبلاء في

بلاط صاحب الجلالة ، ويبلغ من العمر العشرين عاماً ، وهو جندي حدود ، وقد أقسم بالإنجيل المقدس ، وبالنسبة للمنفعة لم يقل شيئاً ، وهو مسافر على متن الأسطول المتجه للشمال .

بالنسبة للنقطة الأولى : أقر الشاهد بعلمه بها وفقاً لمشاهدته ووجوده في قلعة هرمز في ذلك الوقت ، وذكر أنه عندما كان العدو يحاصر القلعة لم يكن هناك أي نقص في الأرز أو المياه ، غير أنه لم يكن يعلم أن الأرز من الملك أو من ممتلكاته ، ولكنه متوفر بكثرة ، وكان للقلعة مدفعيتها وذخائرها وكل مراكب وسفن الأسطول موجودة في البحر .

كما كان قائد الأسطول العامل بالمجاديف والأميرال موجودين في السفن ، وبالمثل كان هناك الكثير من الرجال لأجل الذود عن القلعة وحمايتها .

بالنسبة للنقطة الثانية ، ذكر الشاهد أن الجميع قد أمروا بالتوجه للقلعة ، وبالتالي تمكن العدو من إنزال جنوده بحرية دون أن يتكبد أية خسائر تذكر .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، قال الشاهد لم يتم فتح خندق القلعة ، وبما أن الشاهد كان يعمل قائداً على أحد الحصون ، فقد أوعز إلى "سيماو دي ميلو" مراراً ؛ كي يأمر رجاله بفتح الخندق ، لكن "سيماو" لم يوافق على ذلك ، لاعتقاده أن العدو لن يصل للأسوار . أما عن الوصية ، فإنه لا يعرف عنها شيئاً .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، ذكر الشاهد أنه في ذلك الوقت كان قد

أصيب بجروح وبعض الحروق ، ولم يكن في حالة تسمح له بمعرفة أية شيء يدور حوله ، حيث كان على شفا الموت .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، أفاد الشاهد أنه لم يعرف عنها شيئاً ؛ لأنه حينها كان قيد الأسر لدى الإنجليز ، وقد استمر تحت نفوذهم في الأسر مدة خمسة شهور .

لم يذكر الشاهد أي شيء آخر ، ومن ثم قام بالتوقيع مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس لوبو" قمت بكتابة ما ورد ذكره .

"د . أنطونيو دا سيلفا" ، "فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

****

في الثاني عشر من شهر مارس عام ١٦٢٤م في مدينة "غوا" هذه ، وفي مقر سكني ، قمنا باستجواب وأخذ إفادات الشهود الذين مثلوا أمامنا ، وفيما يلي أسماءهم وكنياتهم .

أنا "ديوغو دياس لوبو" أمرت بكتابة هذا :

"سيماو سواريس فيريرا" "Simao Soares Ferreira" ، جندي حدود ، يبلغ من العمر حوالي الثمانية والعشرين عاماً ، وقد أقسم بالإنجيل المقدس ، لم يقل شيئاً بخصوص المنفعة ، وهو على وشك السفر في أسطول الشمال .

بالنسبة للنقطة الثانية ، أقر الشاهد بعلمه بها ؛ لأنه قد شاهد ذلك أثناء وجوده في قلعة هرمز في ذلك الوقت ، وأشار أن العدو عندما أراد إنزال قواته في هرمز كان هناك العديد من الناس في السفن والمراكب ،

ووجد كثيرون في سفن الأسطول الإحدى عشرة سفينة ، لكن عندما بدأ العدو في إنزال الجنود لم يجد أية مقاومة منهم ، إلا عندما شرع في دخول المدينة .

حيث كانت هناك فئة قليلة غير نظامية ، تمكنت من تبادل النار مع العدو ، وكان من الممكن أن تحدث مواجهة من قوة أكبر وبشكل منتظم ، لكن تم وضع الناس في السفن ، ومن ثم أمروا بالتوجه للقلعة ، ولكن لا علم له بمن أصدر ذلك الأمر .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، أفاد أنه يعلم أن للقلعة خندقاً مائياً ، وإن ذلك الخندق لم يُفتح ، وهذا ما أدى إلى سقوط القلعة على النحو الذي سقطت به ، أما عن الوصية فقد سمع بوجودها ، غير أن الشاهد لم يرها .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، قال الشاهد : إنه يعلم أن "كونستانتينو" عندما غادر مسقط كان قد التقى بسفينة قادمة تحمل المهزومين من هرمز ، ويدرك أنها تبعد حوالي ستين ميلاً من مسقط ، وأن الرحلة تستغرق وفقاً للأحوال الجوية آنذاك بعض الوقت أي حوالي أربعة أيام وأحياناً ستة أيام ... على كل حال يتوقف الأمر على طبيعة أحوال الطقس .

اكتفى الشاهد بهذه الأقوال ومن ثم وقع مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس لوبو" أمرت بكتابة هذا ...

"سيماو سواريس فيريرا" . "فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

"أنطونيو باشيكو كابرال" "Antonio Pachico cabral" . حدودي ،

يبلغ من العمر حوالي الثالثة والعشرين وقد حلف بالإنجيل المقدس ، لم يذكر الشاهد شيئاً بخصوص المنفعة .

بالنسبة للنقطة الأولى ، أقرَّ بعلمه بها ، حيث شهد ذلك أثناء وجوده في قلعة هرمز في ذلك الوقت ، وأن العدو عندما شن هجومه عليها كانت القلعة مليئة بالمؤن والغذاءات والمياه والأسلحة ، وعلى وجه الخصوص كان يوجد في القلعة ألف جندي .

بالنسب للنقطة الثانية ، أجاب الشاهد أنه في ظل الظروف المذكورة كان "سيماو دى ميلو" قد لجأ إلى تقسيم القوات إلى أربعة أقسام ، وأرسل "د . غونسالو" مع فئة قليلة من السفن ؛ لمنع الفرس من إنزال قواتهم ، غير أن "غونسالو" قفل راجعاً دون أن يحاربهم .

عندما خرج الشاهد لساحة الاستعراض مع أشخاص آخرين خرجوا لتبادل النار مع المسلمين ، سأل "د . غوانسالو دا سيلفيرا" عن سبب امتناعه عن مهاجمة العدو أجابه بأن قادته لم يتبعوه ، وبعد ذلك انسحب الجميع إلى داخل القلعة .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، أفاد الشاهد أن خندق القلعة لم يفتح قط ، بل لم تكن هناك أية محاولة لفتحه قط .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، قال الشاهد : عندما دار النقاش في ذلك الوقت كانت النتيجة أن أعلن عن استسلام القلعة ، وكان العدو قد احتل بالفعل حصن "سانتياغو" ومقر حاكم القلعة ، ولم يكن من الممكن حماية الرجال من خلال تلك المواقع . كان هناك متراس واحد

فقط من أكياس الرمل والأغصان المقطوعة وقنطرة ، عمل العدو على تلغيمها ، كما عمل الشيء نفسه بالنسبة للصهريج الذي كان فارغاً .

في هذه الأثناء اتجه "سيماو دي ميلو" لمناقشة الشروط مع الإنجليز حول الاستسلام الذي حدث ، وتم إدخالهم في القلعة بواسطة القائد الذي خرج بنفسه منها .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، أقر الشاهد بأنه قد سمع أن السفينة الأولى التي استقلها بعض الناس قد التقت ، بعد أن غادرت مقر القلعة ، بالقائد "كونستانتينو دي سا" بالقرب من مسقط ، وأن المسافة ما بين مسقط وهرمز تبلغ حوالي ستين ميلاً ، وأن طول مدة الرحلة أو قصرها أمر يعتمد على طبيعة الأحوال الجوية السائدة .

أقر الشاهد بأنه لا يعلم أكثر من ذلك ، وقد وقع مع المسؤولين .

أنا "ديوغو دياس لوبو" قد كتبت هذا ، وقد قام الشاهد بمراجعة كل ما أدلى به ، وتحرى عنه بشكل عام ، ومن ثم اكتفى بذلك ووقع عليه .

أنا "ديوغو دياس لوبو" قمت بكتابة ما ورد .

"أنطونيو باشيكو كابرال" ، "فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

****

في الثامن عشر من شهر مايو عام ١٦٢٤م وفي مدينة "غوا" هذه ، وفي مقر إقامتي ، حصلنا على إفادات من الشهود الذين مثلوا أمامنا ، وفيما يلي نورد أسماءهم وكنياتهم .

أنا "ديوغو دياس لوبو" أمرت بكتابة هذا :

"مانويل دى مونتوريو" "Manuel de Montorio" ، متزوج ، مقيم في "شول" ، ويبلغ من العمر حوالي الخمسين عاماً ، وقد حلف بالإنجيل المقدس ، لم يقل شيئاً بخصوص المنفعة ، وهو الآن في طريقه إلى الشمال .

بالنسبة للنقطة الأولى ، أقر الشاهد بعلمه بها ؛ لأنه شاهد ذلك بحكم وجوده في قلعة هرمز في ذاك الوقت ، وبحكم أنه مقيم فيها ، وعندما كان الإنجليز والفرس يحاصرون القلعة كان داخل القلعة الكثير من المؤن والأسلحة والذخائر ، هذا إلى جانب العديد من الناس مع توفر السفن ومراكب الأسطول .

بالنسب للنقطة الثانية ، أفاد بأنه لم يتم اتخاذ ترتيبات لمنع العدو من إنزال قواته ، كما أنه لم تصدر أية أوامر بذلك الشأن ، وقد سمح لهم بحرية الإنزال ، ولوحظ انسحاب الكثيرين إلى داخل القلعة ، ولم يكن هناك من مقاوم لهذا الإنزال غير القائد "روليم" "Rolem" الذي تولى قيادة فرقة من الجنود كي يهاجم بها العدو .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، أفاد بأن القلعة قد حاربت العدو حتى تمكن العدو من تدمير اثنين من حصونها والاستيلاء عليهما ؛ وبسبب كثرة أعداد الموتى والحاجة للكثير من الضروريات ، وشعور البرتغاليين بأن كل ما لديهم قد أصبح ملغماً ، وبالاضافة لذلك غياب المساعدات ، وانعدام المقاومة تمت عملية الاستسلام وفق الاتفاقية .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، أفاد بأنه قد بقي في "صحار" ، ونفى علمه بأي شيء عن "كونستانتينو دي ايسا" .

بهذا القدر اكتفى الشاهد ، ولم يضف أي شيء آخر ، ووقع مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس لوبو" أمرت بكتابة ما ورد .

"مانويل دي مونتوريو" .

في الثاني عشر من شهر سبتمبر عام ١٦٢٤م وفي مدينة "غوا" ، وفي مقر سكني ، حصلنا على أدلة من الشهود الذين مثلوا أمامنا ، وفيما يلي نورد أسماءهم وكنياتهم .

أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت ما ورد ذكره :

"مانويل كوريا دا كوستا" "Manuel Correia da Costa" ، متزوج ومقيم في "سيلان" ، ويبلغ من العمر حوالي الثانية والأربعين عاماً ، وقد حلف بالإنجيل المقدس ، لم يذكر الشاهد شيئاً فيما يخص المنفعة ، وقد صعد إلى متن السفينة التي توشك على الإبحار متجهة إلى "سيلان" .

بالنسبة للنقطة الأولى ، أقر الشاهد بعلمه بها حيث شاهد ذلك ، بحكم وجوده في قلعة هرمز ، عندما استولى عليها العدو ، وقد كان في القلعة الكثير من المؤن بالنسبة للجنود وكذلك المياه والأسلحة والذخيرة ، وفي البحر كانت توجد مجموعة من المراكب والسفن وقادتها .

قد بلغ عدد الموجودين في القلعة من الأهالي المتزوجين والمقيمين وكذلك الجنود والرجال الذين قدموا من قشم ، والتجار الذين لجأوا للقلعة بحثاً عن الحماية ، حوالي ألف وخمسمائة نسمة ، إلى جانب البعض الآخر الموجود في الساحات والأماكن الأخرى .

بالنسبة للنقطة الثانية ، أفاد الشاهد بصحتها في إطار مشاهدته ، واعترف بوجود كل الوسائل الممكنة داخل القلعة لأجل الدفاع عنها ، ولم يكن

هناك أي شخص في البر أو البحر ؛ كي يقوم بمنع عملية الإنزال ، فقد سمح للجميع بالنزول سالمين ، وبعد ذلك تجمع الناس في ساحة العرض ، ومن هناك سارع الجميع بدخول القلعة .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، قال الشاهد أنه من المعروف أن في القلعة يوجد نقش على هيئة وصية ، كتبت بواسطة "أفونسو دي البوكيرك" توصي بأنه في حالة الطوارئ ، يجب أن يصار إلى فتح الخندق ، وبالرغم من أن معظم الناس يعملون بذلك ، إلا أن الخندق ترك على حاله مليئاً ، وهذا أحد الأسباب التي أدت إلى سقوط القلعة .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، قال الشاهد إنه سبق أن ذكر حقيقة وجود المؤن الغذائية والمعدات الحربية في القلعة ، وقد شاهد بنفسه تبادل الرسائل بين العدو وبين المحاصرين داخل القلعة ، وقد قيل إنها اتفاقيات بينهم ، ولا يعرف المزيد .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، أقر الشاهد بعلمه بها جيداً ، وأفاد أنه عندما غادر "كونستانتيو" مسقط ، كان قد التقى بالقرب منها مجموعة من الناس قادمين من هرمز في مراكب العدو الذي بعدما استولى على القلعة ، عمل على تجهيز تلك المراكب لنقلهم ، وغالباً ما تستغرق الرحلة في معظم الأحيان إلى مسقط حوالي خمسة أو ستة أيام ، ولكن أحياناً تبلغ المدة عشرين يوماً .

حسبما كان قد حدث للشاهد .

استسلمت القلعة في يوم الثالث من شهر مايو ، ولا علم له بعدد الأيام التي استغرقتها رحلة "كونستانتينو" للوصول إلى مسقط .

اكتفى الشاهد بهذه الأقوال ، ومن ثم وضع توقيعه مع المستجوب .
أنا "ديوغو دياس دي لوبو" كتبت ما ورد ذكره .
"مانويل كوريا دي كوستا" .

شهود "جورجي دي البوكيرك" مع الخزينة

في يوم الثالث من شهر أكتوبر عام ١٦٢٤م ، في مدينة "غوا" ، وفي مقر سكني ، حصلنا على أدلة من الشهود الذين مثلوا أمامنا ، وفيما يلي نورد أسماءهم وكنياتهم :

أنا "ديوغو دياس لوبو" أمرت بكتابة ما ورد :

"د . فرانسسكو دي ايسا" ، أحد النبلاء في بلاط صاحب الجلالة ، وعضو في رهبنة المسيح ، متزوج في البرتغال ، وقد تجاوز الخمسين من العمر ، حلف بالإنجيل المقدس ، وبالنسبة للمنفعة ، أفاد بأنه قد تحدث إلى "فيرناو دي البوكيرك" بصفته أحد الأقارب ، لكنه لا يعرف مدى درجة القرابة ، وسوف يقول الحق كل الحق .

رد المدعى عليه :

بالنسبة للنقطة الأولى ، أفاد الشاهد أنه أتى من البرتغال برفقة "كوند دي رودندو" ، وعندما كان نائب الملك هذا يحكم هذه المملكة ، كان قد تحدث مع الشاهد في مرات عديدة محتجاً على تدهور أحوال المملكة المالية ، وافتقاره للمال والأسلحة والأساطيل ، وكانت تلك شكوى عامة من قبل كل فرد .

عندما خلفه "فيرناو دى البوكيرك" كان الشاهد موجوداً في "ديو" ،

وإنه قد سمع أنه بعد وفاة نائب الملك ، ظل حال المملكة كما هو عليه من السوء ، والنقص المريع في المتطلبات المذكورة .

هذا بالإضافة إلى الديون مستحقة الدفع ، وسوف يتم توضيحها فيما تبقى من الوثائق .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، أقر الشاهد بوجوده في "ديو" طيلة فترة حكم الحاكم المذكور ، حيث إنه ذهب كقائد في المضيق لفترة من الزمن عندما كان في تلك المدينة .

عندما غادر كان سمع ، وعندما حصر رأى أن الحاكم قد أمر بضرورة تجهيز وإعداد الأساطيل المعتادة ، وقد تبين له حرص الحاكم بشكل دائم على توفير المتطلبات الأساسية بالرغم من شح الموارد كما ورد ذكره .

خلال فترة حكم ذلك الحاكم كانت الأساطيل التي عادة ما تأتي من البرتغال لم تظهر بعد في المنطقة ، وعموماً لم يكن يعلم ما إذا كان الحاكم قد فرض أية ضريبة لأجل تجهيز تلك الأساطيل ؛ ولكنه سمع أنه كان دائم الغضب عندما يذكره أي شخص بضرورة فرض تلك الضرائب .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، ذكر الشاهد أنه كان في "ديو" في ذلك الوقت عندما سمع أن الحاكم قد أمر بتجهيز اثنتين من السفن ، أشير لهما في المقال ، لكنها لم تبحرا ولا يدرك السبب في ذلك ، أيضاً كان قد سمع بوجود سفن في سورات .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، أفاد الشاهد بعلمه عن اثنتين من السفن أبحرتا إلى "روي فرير" تحت قيادة كل من "مانويل دي أزفيدو" و"جواو

دي سيلفيرا" ، وهما شخصان أقر الشاهد بكفاءتهما وأهليتهما ، بحيث إنهما جديران بقيادة أساطيل ضخمة وليس مجرد سفن صغيرة مثل تلك ؛ لأنهما صراحة يعدان شخصين جليلين من النبلاء ، ولهما من الخبرة بأعمال الحرب ما يفوق أقرانهما ، وقد أثبتا تميزهما في أكثر من مناسبة وأكثر من معركة حربية ، تم إشراكهما فيها .

في الحقيقة أفاد الشاهد بأنه لا يعلم بما يُعتقد أن مثل أولئك النفر غير قادرين على تجاوز أي أمر يمكن أن يمنعهما من خدمة صاحب الجلالة .

بالنسبة للنقطة الحادية عشرة ، قال إنه لا علم له بأي شيء عن المقالة .

بالنسبة للنقطة الثانية عشرة ، قال الشاهد إنه يعلم أن الحاكم أرسل "سيماو دى ميلو" مع التعزيزات التي ذكرت ومتطلبات القتال بالنسبة "لقشم" ، وقد أبحر في العام الماضي كقائد في "مالبار" ، وإن الشاهد قد سمع أنه قد عين كقائد في "مالبار" مجدداً في نفس العام الذي أخذ فيه المساعدات .

يعلم أنه قد أخذها وسلمها إلى "روب فرير" ، ويعلم أن "سيماو دي ميلو" أحد النبلاء ، يمكنه أن يؤدي بكفاءة أي عمل يُكلف به ، وأنه يعتقد في ذلك بسبب ما يعرفه عن شهرة "سيماو دى ميلو" ، وما يقال عنه .

بالنسبة للنقطة الثالثة عشرة ، أفاد الشاهد بقوله إنه قد شاهد بموجب أمر الحاكم إبحار اثنتين من السفن تحملان ستين جندياً ، وقد وصلتا إلى هرمز بسلام ، وقد سمع الكثيرين يقولون إن بعض السفن ، قد أبحرت من "شول" و"بيسين" متجهة إلى هرمز بأمر من الحاكم .

بالنسبة للنقطة الرابعة عشرة ، ذكر الشاهد أنه على علم بها ؛ لأنه قد سمع بشكل عام أن الحاكم ، قد أمر "ديوغو دي سوسا" بالذهاب برفقة "سيماو دي ميلو" ، وأنه يعلم أنه لم يذهب ... لكن لا علم له بأي شيء آخر .

بالنسبة للنقطة الخامسة عشرة ، قال الشاهد : في شهر مارس تلقى الحاكم أخباراً تفيد بوجود ضغط على قشم ، ولأجل هذا فقد دعا المجلس للانعقاد للتباحث حول أمر إرسال المساعدات ، وكانت النتيجة أن تم اختيار ، وتعيين "كونستانتينو" كقائد للأسطول الذي غادر هذه المدينة .

لقد تضمنت المساعدات إرسال مجموعة من السفن ، إذ ساد اعتقاد مفاده أنه كلما كانت السفن ضخمة ، وقوية كانت الرحلة أفضل ، وكان هذا بالأمر المهم في ذلك الوقت ؛ لأن في إبحار السفن الصغيرة تكمن دائماً المخاطرة ، وعادة ما تلجأ للموانئ إبان رحلتها .

بالنسبة للنقطة السادسة عشرة ، قال الشاهد إنه سبق أن ذكر علمه بأن العديد من الناس قد تم نقلهم من مراكب "سانقويسيز" إلى متن الأسطول الذي نقل المساعدات المشار لها أعلاه .

بالنسبة للنقطة السابعة عشرة ، ذكر أنه سبق أن أجاب على ذلك ، وهو حقيقة أن السفينتين وأسطول "كونستانتينو" ، والمجموعة المذكورة في المقالة قد وصلت ، وكانت سفناً كبيرة وضخمة ، وهي تحمل مجموعة من الأشخاص يعتقد أنهم حرصوا كثيراً على توصيلهم إلى هناك ؛ لأنهم أشخاص يسعدهم ، أن يذهبوا لتقديم مساعداتهم .

بالنسبة للنقطة الثامنة عشرة ، أفاد الشاهد بأنه على علم بأن الحاكم قد تلقى أخباراً عن سقوط قشم ومحاصرة العدو قلعة هرمز في يوم الثالث والعشرين من شهر مارس ، أي عندما أعد "كونستانتينو" العدة للإبحار بتلك المساعدات ، وبسبب هذه الأخبار تم إعطاؤه المزيد من السفن وزود بقوات خاصة لأجل حرب العدو .

في الثاني من شهر إبريل أبحر أسطول المساعدات بالسرعة الممكنة حسبما تطلب الموقف ذلك ، بالرغم من النقص السائد في كل ما هو ضروري .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة ، قال الشاهد إنه يعرف ذلك ؛ لأن هذا كان أمراً معلوماً لدى الجميع ، حيث من المعروف أن كثيراً من الناس كانوا داخل القلعة ، وقيل إنه في الأيام الأولى عمل "سيماو" على دفع أجور أكثر من ألف رجل ، وعندما سقطت القلعة تبين أن كميات المؤن الغذائية والأسلحة والبارود والذخائر ، كانت كافية ومتوفرة بحيث تمكن من الدفاع لمدة طويلة .

بالنسبة للنقطة العشرين ، قال الشاهد أنه قد سمع الكثير من الناس يقولون إنه ساعة نزول قوات العدو في جزيرة هرمز لم يكن هناك من تصدي لهم ؛ لمنعهم من النزول ؛ لأن المدينة لم تكن محصنة .

يعلم الشاهد أن خندق القلعة لم يُفتح كما تقتضي الضرورة ذلك ؛ لأنه في وقت الحرب ليس من العادة أن تستبعد الوسائل التي يمكن استخدامها في هزيمة العدو ، أو توفير تلك التي أوكلت مسؤوليتها لهم من قبل أفراد آخرين .

بالنسبة للنقطة الثانية والعشرين : قال الشاهد إنه يعلم أن قلعة هرمز استسلمت بموجب اتفاقية أُبرمت ؛ وذلك لأنه سمع بذلك من كل فرد جاء من هناك ، لكن لا علم له عن الدخول للقلعة بالنسبة للعدو ، وما إذا كان الدخول قد تم عن طريق البوابات أو عن الفتحات التي تمت في الأسوار .

بالنسبة للنقطة الثالثة والعشرين ، قال الشاهد أنه قد ذكرها مسبقاً ، ويعلم أيضاً أن الحاكم كان قد أرسل المزيد من المؤن والذخائر والأشياء الضرورية لمواجهة الحرب الدائرة في القلعة ، ويعلم أن الحاكم قد اتخذ الحيطة تجاه كل شيء بالكثير من الحذر بكل جد واجتهاد ؛ حيث إنه شخص يرغب دائما في المحافظة على المملكة ، وتمكن من إعطاء صاحب الجلالة انطباعاً حسناً عن كفاءته ، والتي تطلع إليها جلالته .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للمقال الأول كان جواب المدعى عليه أنه قد سبق أن أدلى بما يعرفه .

بالنسبة للنقطة الرابعة قال الشاهد ، إنه سمع أقوالاً تفيد عن قيام "ديوغو دي سوسا" بإبرام اتفاقية مع "فيرناند كرون" بخصوص "د . فرانسيسكو دي سوسا" ، وأخبره بعدم رغبته في الذهاب إلى هرمز ، بهدف التسبب في خسارته ، وأنه إذا ما اعتقد أو اعتقد أي شخص في أي شيء آخر ، فإنه سوف يحول دون ذهابه ؛ لأنه لا يعتزم أن يتسبب في إلحاق الخسارة بأي فرد آخر .

بالنسبة للنقطة السابعة أفاد الشاهد بأنه بشكل عام سمع بما يفيد أن "كونستانتينو دى سا" عندما غادر مسقط ؛ متجهاً إلى هرمز كان قد التقى بأشخاص تم أخذهم من هرمز ، وبالتالي عاد معهم إلى مسقط .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، أفاد بأنه قد تطرق لها مسبقاً ، وأن الحاكم حقيقة كان يولي اهتماماً بالأمور ذات الصلة بإعداد وتجهيز المساعدات ، وهي أمور تأتي في مقدمة اهتماماته ، وهذا أمر غير متوقع من شخص تقدم في العمر ، ويشكو من توعك صحته .

لم يزد الشاهد على أقواله تلك ، ولم توجه له أية أسئلة أخرى ، وقد أضاف توقيعه إلى توقيع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس دى لوبو" كتبت ما ورد .

"د . كونستانتينو دى سا" ، "فرانسيسكو رودريغيز بيريرا"

"جوميز دا سيلفا" "Gomez da Silva" ، أحد النبلاء في حاشية صاحب الجلالة ، حدودي ، يبلغ من العمر حوالي الحادي والثلاثين عاماً ، وقد حلف بالإنجيل المقدس ، وبالنسبة للمنفعة ، كان أبواه قد أخبراه بوجود صلة قرابة تربطه بالمدعى عليه ، لكنه لا يعرف بالتفصيل درجة القربى تلك .

بالنسبة للنقطة الأولى ، من رد المدعى عليه ، أفاد الشاهد بعلمه بها لأنه شاهد أن "فيرناو دي البوكيرك" قد تولى منصب الحاكمية في هذه المملكة في الثاني عشر من شهر نوفمبر عام ١٦١٩م ، وقد عُرف في ذلك الوقت القصور الشديد في كل شيء في المملكة ، فيما يتعلق بالمتطلبات الضرورية في ضوء الإيرادات القليلة من مراكز الجمارك .

نتيجة لذلك فقد أقدم "الكوند دى رودندو" على رهن عائدات مراكز الجمارك في "غوا" لرجال الأعمال الذين دأب الحاكم على تسديد أموالهم ، وقد علم بهذا الأمر من أولئك الرجال أنفسهم .

بالنسبة للنقطة الثانية ، أقر الشاهد بصحة أنه عندما تولى "فيرناو دي البوكيرك" منصب الحاكم ، كان الأمر يقتضي تكوين معظم الأساطيل العادية ، ولم يكن هناك أسطول جاهز سوى أسطول كانارا وأسطول الشمال .

قد أرسل الحاكم أسطول "كانارا" ، وقام بتجهيز أساطيل الشمال ومالبار ، حيث أرسل ابنه المدعى عليه ؛ لإنجاز ذلك الأمر وتكوين أسطول "راس كومورين" ، وكذلك أرسل مساعدات إلى قلعتي "ملقا" وهرمز ، حيث إنها في ذلك الوقت لم تكن تحت الحصار .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، قال الشاهد : إنه يعلم أن الحاكم دأب على تكوين الأساطيل العامة بشكل سنوي في المملكة ، ولا يدخر جهداً في عمل كل ما يمكن أن يصب في مصلحة الحكومة والمملكة ، وطيلة فترة حكمه كانت السفينة الوحيدة التي قدمت هي التي نقلت "ديوغو ميلو دي كاسترو" ، وذلك في شهر ديسمبر برفقة وقيادة القبطان "نونو الفاريز بوتلهو" "Nuno Alvares Botelho" ، حيث أبحرت بعد ذلك لقضاء الشتاء في بومباي .

الشاهد لم يتذكر وصول أية سفن من البرتغال في هذا الوقت الذي كانت الأمور في يد الحاكم غير تلك التي ذكرها ، وسفينة مورا

روليم ، وذكر الشاهد أنه لم ير ، ولم يسمع قط أن الحاكم قد اتجه لفرض ضرائب على الأهالي من أجل تجهيز ، وإعداد تلك الأساطيل .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، أقر الشاهد بعلمه أن الحاكم عين "د . مانويل دي ازفيدو" كقائد على السفينتين المذكورتين ، ومن ثم أرسلهما كي تستقرا في الحاجز ، ونقل الذخيرة والمدفعية والإبحار إلى هرمز ، لكنهما لم تبحرا ، ولا يعرف سبباً لذلك .

لقد سمع في ذلك الوقت ما يقال عن وجود سفن العدو في "سورات" ، وهي التي حاربت "روي فرير" مؤخراً في "جاسك" .

على النقطة الخامسة ، أجاب الشاهد في ذلك الوقت كان موجوداً في "سيلان" كقائد ميدان ، وهناك علم أن اثنتين من السفن غادرتا ، وهما تحملان مساعدات إلى "روي فرير" ، وعلى متنهما مجموعة جيدة من المحاربين ، وتم تزويدهما وتسليحهما جيداً .

بالنسبة للنقطة السادسة ، أقر بعلمه عنها إذ إنه من المعروف أن "روي فرير" قد نصب نفسه جيداً في قلعة قشم بأمر المجلس ، الذي عقد جلسته آنذاك في قلعة هرمز .

بخلاف ذلك لا يعلم شيئاً آخر ، وقد سمع أنه وقت وصول هذه السفن إلى هرمز لم يكن هناك أي حصار ، تم تنفيذه على قلعة هرمز أو قلعة قشم .

بخصوص النقطة السابعة ، قال الشاهد إنه أثناء وجوده في "سيلان" سمع أن هناك ضغوطاً ، مورست على أهالي المدينة لأجل تجهيز السفينتين .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، أفاد الشاهد بمعرفته عن كل من "د . جواو دا سيلفيرا" و"د .مانويل دى أزفيدو" ، حيث كان أحدهما قائداً على قلعة "ملقا" ، والآخر على قلعتي "ديو" و"شول" ، وقد تم اختيارهما لتولي منصبي نائب الملك في الهند ، وحقيقة فهما شخصان فاضلان ويعتبران أهلاً للثقة ، ويتمتعان بسمعة جيدة في خدمة صاحب الجلالة .

بالنسبة للنقطة الحادية عشرة ، قال الشاهد أنه سمع أن الحاكم عندما علم بوجود "روي فرير" في قشم ، شرع فوراً في تجهيز عشر سفن بنية إرسالها له ، وبالفعل قام بإرسالها له مع "سيماو دي ميلو بيريرا" .

عن النقطة الثانية عشرة ، قال الشاهد أنه سبق أن ذكر أن المذكور "سيماو دي ميلو" ، قد عمل بشكل مقبول في العام المنصرم كقائد في "ملبار" ، وإنه يعلم ذلك بحكم المشاهدة ، وقد كان قد رافقه في رحلته حتى راس كومورين ، عندما كان الشاهد في طريقه إلى سيلان .

عن النقطة الثالثة عشرة ، قال الشاهد إنه سمع بذلك ، وبموجب أوامر الحاكم أبحرت سفينتان من "ديو" لأجل دعم القلعة .

بالنسبة للنقطة الرابعة عشرة ، رد الشاهد قائلاً : إنه أيضاً سمع أن الحاكم قد أمر "ديوغو دى سوسا" بالذهاب مع تلك المجموعة بصفته الشخص الذي سوف يخلف "د . فرانسيسكو" في قلعة هرمز ، غير أنه لم يذهب بسبب المرض الذي ألم به ، وأنه بعدما ، تم فض نسخة الرسالة الخاصة بإعطاء الخلافة إلى "د . فرانسيسكو دى سوسا" في هرمز ، تبين لهم أن المرشح هو "ديوغو دي سوسا دي منسيس" .

بالنسبة للنقطة الخامسة عشرة ، قال الشاهد : إنه على علم بذلك

بحكم وجوده آنذاك في هذه المدينة ، وأن الأخبار التي أفادت بوقوع قشم تحت الحصار قد وصلت للحاكم في شهر مارس .

لقد سمع أقوالاً تفيد أنه قد اتفق في المجلس على اختيار "كونستانتينو دي ايسا" للسفر بالإمدادات إلى قلعة هرمز . أما بالنسبة "للسانقويسيز" ، فالشاهد على علم بها لأنه أبحر مرتين إلى هرمز خلال فترة المونسون ، ولقد صعب عليهم العبور بسبب سوء الأحوال الجوية ، وأن عملية العبور تستغرق حوالي ثلاثين يوماً أو خمسة وثلاثين يوماً .

كان الشاهد قد ذهب بصفته جندياً في الفرقة مع "كونستانتينو دى ايسا" في السفن التي ظلت مبحرة حوالي ثلاثة وثلاثين يوماً كي تصل للبر ، ولقد نفذت منهم المياه .

أما بالنسبة لسفن "السانقويسيز" ، التي تخلفت هناك ، فقد عادت إحداها إلى هنا بعدما قطعت مسافة عشرة أميال ، أما السفينتين الأخرين اللتين تم سحبهما بواسطة "بيناس" ، فقد تحطمت إحداهما بينما سلمت الأخرى .

كانت هناك مراكب صغيرة ، لكن إلى جانب صعوبة تمكنها من الإبحار في السبخات ، فإنها لا تعتبر مناسبة لنقل الرجال ، وبوسعها فقط الإبحار إلى هرمز في "مونسون" شهر سبتمبر شريطة الإبحار قريباً على طول ساحل "جاسك" .

بالنسبة للنقطة السادسة عشرة ، أفاد بما يعرفه بقوله إن جزءاً كبيراً من المساعدات التي نقلت في أسطول "كونستانتينو دى ايسا" كان إلى جانبها قباطنة ورجال من "السانقويسيز" (المراكب الخفيفة) .

بالنسبة للنقطة السابعة عشرة ، قال الشاهد إنه يعرف ذلك ؛ لأنه كان موجوداً في نفس مجموعة المراكب "جوليو مونيز" و"جواو دا كوستا دي منسيس" ، التي قفلت راجعة للميناء بسبب رداءة الطقس ، وكانت هناك سفن قد أصيبت ببعض الأضرار . أما سفينة "ديوغو كالديرا" "Diogo Caldera" ، فقد انكسر صاريها ، وعليه فقد استحال على السانقويسيز آنذاك عملية الإبحار .

بالنسبة للنقطة الثامنة عشرة ، قال الشاهد إن أخبار سقوط قشم ، ومحاصرة قلعة هرمز قد وصلت هذه المدينة في يوم الأربعاء من الأسبوع المقدس ، أي عندما كان يتم إعداد الأسطول بشكل عاجل .

بسبب هذه الأخبار أضيف للأسطول العديدُ من الرجال وعدة سفن ، وحقيقة تم تجهيز أسطول المساعدات بالسرعة الممكنة ، وقد غادر الحاجز في الثاني من شهر إبريل حيث وصل للبر الآخر في الثاني أو الثالث من شهر مايو ، وقد علم مؤخراً أنه وصل تماماً في اليوم الذي استسلمت فيه قلعة هرمز للعدو .

بخصوص النقطة التاسعة عشرة ، أفاد الشاهد أنه في إطار ما يعرفه الجميع فقد سمع من عدة أفراد كانوا قد قدموا بعد سقوط القلعة ، أن العدو لم يستول على القلعة بسبب نقص في الرجال أو الذخيرة أو الإمدادات ؛ إذ كانت القلعة قد زودت بالفعل بجميع هذه المساعدات .

بالنسبة للنقطة العشرين ، قال الشاهد إنه على علم بذلك ؛ لأنه معروف أن عملية قيام العدو بإنزال قواته في جزيرة هرمز ، قد تمت دون أية مواجهة ، بل حقيقة لم تتخذ أية اجراءات وقائية كما يحدث في

عمليات الحصار المماثلة ، وعموماً كانت عملية الإنزال سهلة ، ولم يكن العدو في حاجة للدفاع عنها . أما الخندق الذي لم يتم فتحه ، فقد أشيع أنه ليست هناك من وصية ذكرت بشأنه .

بالنسبة للنقطة الحادية والعشرين ، أفاد الشاهد أنه لا يعرف عنها كثيراً ، وإنه لم يسمع أكثر مما رُوي من أن القلعة استسلمت ، بموجب الاتفاقية التي أُبرمت ، وإن الأميرال الإنجليزي قد دخل القلعة عبر كوة في الجدار بعد موافقة الموجودين في داخلها .

بالنسبة للنقطة الثالثة والعشرين ، أفاد الشاهد أنه على علم بذلك ؛ لأنه قد شاهد قيام الحاكم باتخاذ الإجراءات بكل حذر ويقظة وبالسرعة الممكنة الأمر الذي لم يكن متوقعاً من شخص في مثل عمره إلى جانب اعتبارات توعك صحته .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للنقطة الأولى ، لقد أفاد بعلمه في هذه المادة .

بالنسبة للنقطة الثانية ، أفاد الشاهد أنه تلقى رسائل في "سيلان" ، إبان فترة وجوده هناك ، تفيد أن الحاكم لم يكن على علم بتخلف "ديوغو دي سوسا" عن الذهاب إلا بعد أن أبحر "سيماو دي ميلو" ، وأنه قد استاء كثيراً ، وأعرب عن عزمه برفع الأمر إلى صاحب الجلالة بخصوص تلك المخالفة .

أما بالنسبة للنقطة الثالثة ، فقد ذكر الشاهد أنه بعد قدومه من "سيلان" ، ذهب للتحدث مع الحاكم ، الذي قدم من محادثته مع "ديوغو دي سوسا" .

لقد وصل الشاهد في الوقت الذي كان الحاكم يقول إن "ديوغو دي سوسا" ليس من صنف الرجال بحيث يمكن أن يسمح له بتولي الأمور في قلعة هرمز ؛ لأنه لم يكن راغباً في الذهاب إليها عندما أمره بذلك ، وكان الحاكم قد صرف "ديوغو دى سوسا" بكلمات فيها الكثير من الغضب والزجر ، وذلك ما احتج عليه أثناء خروجه من عند الحاكم .

عندما وردت أخبار وفاة "د . فرانسيسكو دى سوسا" مؤخراً ، أرسل الحاكم "ديوغو دى سوسا" للخدمة في القلعة ، وأفاد الشاهد بعلمه بذلك لأنه أبحر معه في تلك المناسبة .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، لم يجب الشاهد بأي رد .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، يمكن الاطلاع عليها من خلال الإفادة والالتماس .

بالنسبة للنقطة السادسة ، قال الشاهد إن "ديوغو دي سوسا" وصل في مسقط مع بقية سفن الأسطول إلى هرمز ، وقد بقي في قلعة مسقط ، وحينذاك لم ترد أية أخبار عن استسلام القلعة .

بالنسبة للنقطة السابعة ، أفاد الشاهد بصحتها وقال إن "كونستانتينو دى سا" قد أبحر من مسقط متجهاً إلى قلعة هرمز ؛ حيث كان ينقل المساعدات ، وعلى مبعدة ثلاثة أو أربعة أميال من مسقط ، التقى بسفينة تحمل رجالاً قدموا من هرمز بعد استسلام قلعتها ، وعليه قفل الأسطول راجعاً إلى مسقط .

هناك علموا أن الرحلة إلى هرمز تستغرق عشرة أو اثني عشر يوماً ؛ إذ يتوقف ذلك على طبيعة أحوال الطقس .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال الشاهد إنه يعتقد من خلال مشاهداته خلال إبحار الأسطول أنه مهما كانت سرعة الأسطول قد زيدت ، فليس بالإمكان استباق الوصول في وقت قبل سقوط القلعة ؛ لأنها استسلمت في الثالث من شهر مايو ، وكان لقاؤهم بالقادمين من هرمز بعد استسلامها يوم الثالث عشر من شهر مايو .

بالنسبة للنقطة التاسعة التي أجاب عليها ، اكتفى بذلك القدر ، ولم يضف المزيد ، كما لم توجه له الأسئلة المتبقية ، وهذا وقد وضع توقيعه مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس لوبو" قمت بكتابة ما ورد .

"جوميز دا سيلفا" . "فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

****

"جولياو بايس" "Joliao Bays" ، حدودي ، يبلغ من العمر ما بين الرابع والعشرين والخامس والعشرين عاماً ، حلف بالإنجيل المقدس ، وبخصوص المنفعة لم يذكر شيئاً .

أما بالنسبة للنقطة الأولى فيما يتعلق برد المدعى عليه ، أجاب الشاهد أنه على علم بذلك بحكم وجوده في المدينة آنذاك ، وذكر أن الحاكم "فيرناو دى البوكيرك" كان قد تولى حكومة هذه المملكة في شهر نوفمبر عام ١٦١٩م ، وقت كان الجميع على علم بأن أحوال المملكة كانت في الحضيض .

قليلة كانت عائداتها من مراكز الجمارك ، بل وقيل إن عائدات

مراكز في تلك المدينة قد تم رهنها نظير القروض التي تم استلامها من قبل بعض المقاولين ، بحيث تتولى تلك المراكز تسديدها .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، قال الشاهد إنه يعلم أن الحاكم "فيرناو دى البوكيرك" يحرص دائماً على بناء الأساطيل ، ويبذل قصارى جهده لخلق حكومة جيدة مفيدة لهذه المملكة ، ويعرف جيداً الفشل الكبير في وصول السفن القادمة من البرتغال لهذه المملكة ، وإنه في خلال مدة حكمه لم تصل سفينة واحدة سوى سفينة "ديوغو دي ميلو دي كاسترو" ، وحتى هذه وصلت بعد أن تأخرت كثيراً ، وهُلك معظم ركابها ، وفي العام التالي وصلت سفينة "لويس دي مورا روليم" "Luis de Mora Rolem" .

يعلم الشاهد أيضاً أن الحاكم لم يلجأ قط لفرض أية ضرائب لأجل إعداد أو بناء تلك الأساطيل .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، قال الشاهد إنه لم يكن موجوداً في المدينة آنذاك ، غير أنه يعلم بشكل مؤكد عن إبحار سفينتين في شهر إبريل عام ١٦٢١م من هذا الحاجز إلى هرمز ، وذلك تنفيذاً لأوامر الحاكم ، ويعلم أن السفينتين قد زودتا بالمؤن وبكل الاحتياجات الضرورية ، وأكثر من ذلك لا يعلم شيئاً .

بالنسبة للنقطة السادسة ، أشار إلى أن ذلك يمكن أن يُستنتج من خلال الوثائق ، ويعلم أن "روي فرير" ، قد هجر أسطوله ، وذهب بنفسه إلى قشم ، وظل في القلعة حتى أخذه الهولنديون أسيراً .

بالنسبة للنقطة السابعة ، أفاد بعلمه بذلك ؛ لأنه معلوم لدى الجميع

أن هناك نقصا كبيراً في عدد الرجال في السفن ، وكان نتيجة ذلك أن بدأ البحث عن الرجال ، في كل مكان وإجبارهم بشكل قانوني على الخدمة في الأسطول ، وتجنيدهم كقوات مقاتلة ، وبالمثل تجنيد المندسين في الأسطول وأكثر من ذلك لا يعلم شيئاً .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال الشاهد صحيح إن قادة تلك السفن كانوا "د . مانويل دى أزفيدو" و"د .جواو دا سيلفيرا" ، وهما قائدان ماهران ، ولهما خبرة عريقة في أعمال الحرب ، وقد خدم "د .مانويل" عدة سنوات في "سيلان" ، وكان القائد في قلعة "شول" .

أما "د .جواو" ، فقد سبق أن أُرسل للجنوب قائداً في إحدى السفن ، وعمل في قبطانية قلعة "ملقا" .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، أفاد بأنه سمع بشكل عام أن "د . مانويل دي أزفيدو" ، قد عاد من هرمز بسبب أن لديه دملاً مفتوحاً "خُراج" ، وإن حياته قد أصبحت في خطر هناك ، وأيضاً سمع أن "د . جواو" قد خدم في قلعة قشم ، وإنه توفي أثناء عمله هناك .

بالنسبة للنقطة الثانية عشرة ، أفاد الشاهد أنه يعلم أن "سيماو دي ميلو" ، قد عمل في العام المنصرم قائداً في "مالبار" ، ولقد تم تعيينه للعودة في نفس السنة لتولي القبطانية نفسها ، لكن تم اختياره من قبل المجلس ، كي يتولى قيادة السفن التي تحمل المساعدات إلى هرمز ، وهذا ما قام به "سيماو دي ميلو" ؛ حيث صدرت الأوامر له كي يسلم "روي فرير" تلك المساعدات ، وقد نفذ هذا الأمر .

بالنسبة للنقطة الثالثة عشرة ، قال الشاهد إنه يعلم بالتأكيد أنه بناء على

أوامر الحاكم أُرسلت سفينتان تحملان المساعدات والرجال إلى قلعة هرمز ، وذلك من قلعة "ديو" بواسطة القائد ومسؤول الخزينة هناك .

أما بالنسبة للنقطة الخامسة عشرة ، فقد ذكر الشاهد أنه يعلم أن الأخبار عن "حصار" قشم ، قد وردت في يوم الثامن من شهر مارس ، وقد أفادت فقط بوقوع قشم تحت الحصار وتعرضها إلى بعض الضغوط .

لقد اجتمع المجلس وقرر إرسال "كونستانتينو دى سا" لمساعدتها ، ويعلم أن "كونستانتينو" غادر في سفينة ومراكب ضخمة ، حيث قيل آنذاك إنه في ظل أحوال الطقس غير المستقرة ليس بمقدور "السانقويسيز" ، والمراكب الصغيرة الإبحار ، وإنه لا سبيل لسفرها إلا إذا تم قطرها بواسطة السفن .

بل حتى إن المراكب الكبيرة ظلت تواجه صعوبات بالغة بسبب هبوب رياح قوية معاكسة ، ويدرك الشاهد ذلك ؛ لأنه غادر في أحد هذه المراكب بصفته قبطاناً مرافقاً للقائد "كونستانتينو دى ايسا" ، وذكر أن سفينة "السانقويل" التي رافقتهم ، قد اضطرت للعودة . أما الأخرى المماثلة التي تم قطرها ، فقد ضاعت بالقرب من الجزيرة العربية بعد أن انفصلت من السفينة التي تقطرها .

بالنسبة للنقطة السادسة عشرة ، أفاد الشاهد بمعرفته بذلك حيث شاهد أن "جوليو مونيز" و"جواو دا كوستا دي منسيس" وهما قائدان في أضخم السفن والمراكب قد عمدا للاحتماء بالموانئ ، حيث اتجه أحدهما إلى "غوا" والآخر إلى "شول" ، بعدما حال دون مواصلتهما للإبحار تقلب الطقس ورداءته .

كذلك كان الحال بالنسبة "للسانقويسيز" ؛ نظراً لصغر حجمها ،

حيث وضحت عدم قدرتها على العبور ، وأنها غير مناسبة لنقل المياه والمؤن والمتطلبات الضرورية .

بالنسبة للنقطة الثامنة عشرة ، قال الشاهد إن ذلك صحيح ، حيث وصلت أخبار ذات صلة بسقوط قشم و"حصار قلعة هرمز في يوم الأربعاء من الأسبوع المقدس . أي عندما أصبح أسطول "كونستانتينو" جاهزاً ، وبناء على هذه الأخبار زيدت التعزيزات والمؤن والمتطلبات المرسلة ، وقد تقرر حينها إرسال "جواو بنتو دي موريس" "Joao Bento de Moris" كأميرال .

عموماً تم تسريع عملية إبحار الأسطول بحيث إنه غادر حاجز "غوا" في يوم الثاني من شهر إبريل ، وهذه حقيقة ، ويدرك أنه من المعلوم أن هرمز قد استسلمت للفرس في الثاني من شهر مايو عام ١٦٢٢م .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة ، قال إنه قد سمع في ذلك الوقت الذي حوصرت فيه القلعة ، أن القلعة قد تم تزويدها بالرجال والمؤن والمعدات العسكرية لأجل الحرب .

بالنسبة للنقطة العشرين ، أفاد الشاهد ، بقوله من المعروف أنه لم تكن هناك أية مقاومة ضد العدو إبان عملية إنزال جنوده في جزيرة هرمز . كما لوحظ أيضاً غياب أية ترتيبات أو إجراءات وقائية ، كالتي تتخذ عادة في أوقات الحرب ، بل على العكس فقد أخليت المدينة من سكانها ، وتم جمعهم داخل القلعة . فشلوا أيضاً في فتح الخندق بالرغم من ذكر الوصية في المقال ، وإن عدم فتح الخندق أدى بشكل كامل إلى ضياع القلعة .

بالنسبة للنقطة الحادية والعشرين ، قال الشاهد من المعروف والمؤكد أن دخول الأعداء الإنجليز والفرس في القلعة ، قد تم عبر البوابات ، وذلك بموجب الاتفاقية التي تمت في هذا الشأن ، وأنهم لم يدخلوا القلعة عبر الفجوات الموجودة في الحيطان .

بالنسبة للنقطة الثالثة والعشرين ، أفاد بأنه قد تحدث مسبقاً عن الأساطيل والمساعدات المرسلة من قبل الحاكم .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للنقطة السادسة من مزاعم الادعاء ، أفاد الشاهد بعلمه بها حيث شهد مغادرة "ديوغو دى سوسا" من هنا مع "كونستانتينو دى سا" ، وعندما وصلوا جميعاً إلى مسقط عمد إلى إرساء السفينة التي أبحر على متنها قائلاً إنه يريد إصلاحها ، وهكذا تخلف عن الركب في مسقط ، بينما غادر "كونستانتينو" إلى هرمز ، وذلك قبل معرفة أخبار سقوط القلعة .

بالنسبة للنقطة السابعة ، قال الشاهد إن ذلك صحيح ، إذ عندما غادر "كونستانتينو" مسقط كان قد التقى في أول يوم في رحلته السفينة التي حملت الرجال من القلعة المحتلة ، ويعلم الشاهد ذلك ؛ لأنه قد رأى ذلك بحكم وجوده مع نفس الفرقة .

كانت المسافة المتبقية للوصول إلى هرمز أكثر من ستين ميلاً ، وإذا ما كان الإبحار جيداً فالرحلة سوف تستغرق حوالي ثمانية أيام للوصول إلى هناك ، وذلك حسبما رواه القادمون من هناك ، إذ إنهم عندما

التقوا بالسفينة كانت قد مضت مدة خمسة عشر يوماً على سقوط واستسلام القلعة .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال الشاهد صحيح أن "كونستانتينو" ظل مبحراً في معظم الوقت مستخدماً الأشرعة الأمامية وهي مطوية ، وكان سيره بطيئاً جداً حيث قضى في "طيوى" ، مدة يومين للتزود بالمياه ، وبسبب هروب طاقم إحدى السفن ، تمكن أحد الشيوخ المحليين من إعادتهم ، كانت هناك سبعة أو ثمانية أيام قضاها ذلك الكابتن في مسقط لإصلاح السفن .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، وفيما يختص باستمرار شكاوى الحاكم واحتجاجه بخصوص النقص في الأموال ؛ لأجل الإنفاق على تلك المساعدات ، يعلم أنه برغم ذلك فقد بذل الحاكم قصارى جهده لتجاوز هذه المشكلة .

لم يزد الشاهد على أقواله تلك ، كما لم توجه له بقية الأسئلة ، وقد وقع عليها مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس لوبو" قمت بكتابة ما ورد ذكره .

"جولياو بيس دي ألتيرو" . "فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

****

في الخامس من شهر أكتوبر عام ١٦٢٤م ، في مدينة "غوا" وفي مقر سكني ، حصلنا على إفادات الشهود الذين مثلوا أمامنا وفيما يلي أسماؤهم وكنياتهم .

أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت ما ورد ذكره :

"ديوغو دي أغويار" "Diogo de Aguiyar" حدودي ، يبلغ من العمر حوالي الأربعين سنة ، حلف بالإنجيل المقدس ، وبخصوص المنفعة لم يقل شيئاً .

رد المدعى عليه

بالنسبة للنقطة الأولى ، أفاد الشاهد بأنه على علم بذلك ؛ نظراً لمشاهدته ووجوده في المدينة في ذلك الوقت ، وأن الحاكم "فيرناو دى البوكيرك" تولى منصب الحاكم في هذه المملكة في الثاني عشر من شهر نوفمبر عام ١٦١٩م ، وحينها كانت مملكة الهند وعائدات مراكز جماركها تعاني من مآزق عديدة ، إذ بلغت قمة التردي والتدهور .

الإيرادات لم تعد كسابق عهدها منذ أيام "كوندي دي رودندو" ، فهناك قصور في النواحي المادية ، بحيث أصبح من الصعوبة بمكان بناء الأساطيل وتجهيزها ؛ لذا تم رهن تلك المراكز في المدينة لمجموعة من المقاولين نظير مبلغ ضخم من المال ، وبالتالي صار أولئك المقاولون يقومون بجمع الأموال بعد أن تولى "فيرناو" الحكم .

بالنسبة للنقطة الثانية ، أفاد الشاهد بصحة ذلك ، وأنه يعلم بحكم مشاهدته أن الحاكم تولى أمر الحكومة في هذه المملكة ، وهي في أمس الحاجة للمال لأجل إعداد وتجهيز جميع الأساطيل في فترة الصيف ، بالإضافة إلى عمليات الترميم ، والإصلاح والصيانة باستثناء أسطول "كانارا" الذي كان تولى "الكوند دي رودندو" آنذاك عملية تجهيزه .

قام الحاكم بإرسال ذلك الأسطول ، وعمل على تجهيز بقية الأساطيل التي تحتاج إليها كتلك الموجودة في "ملبار" و"الشمال" ، ومن ثم أرسل المساعدات إلى "ملقا" وهرمز .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، أقر الشاهد بصحتها ، وأفاد قائلاً إن الحاكم كان في كل سنوات حكمه يهتم بتجهيز جميع الأساطيل العادية في المملكة ، ويولي جل عنايته لكل الأمور الضرورية لإيجاد حكومة صالحة ؛ وذلك بالرغم من عدم وصول أية سفن من البرتغال باستثناء واحدة فقط ، هي سفينة "لويس دي مورا روليم" .

قد أدى ذلك إلى ظهور حاجة الهند لكل المتطلبات الضرورية ، ومع كل ذلك تمكن ذلك الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" من تجهيز الأساطيل دون أن يلجأ إلى فرض أية ضرائب على كاهل عناصر صاحب الجلالة هناك .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، قال الشاهد إن ذلك صحيح ، إذ في العام التالي ، وبعدما جهز الحاكم اثنتين من السفن ؛ لضمهما لأسطول "روي فرير" ، لم تصل السفن من البرتغال .

قد وردت أخبار لهذه المدينة تفيد بوجود العدو في "سورات" ، وهو في طريقه إلى هرمز ، لجلب بضائع الحرير ، ولقد عُلم أن الحاكم لم يكن راغباً في إرسالهم بسبب هذا ؛ حتى لا يتعرضوا إلى أية تحرشات بمقابلة العدو ، ويعتقد الشاهد أنهم كانوا سيواجهون مخاطر إذا ما غادروا في ذلك الوقت بحيث إنهم لن يتمكنوا من الإفلات من العدو .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، أفاد الشاهد أنه يعلم بها بسبب مشاهدته ، إذ

عندما وصلت الرسالة إلى هذه المدينة ، وتبين أن العدو قد أبحر من هرمز ؛ كي يحتمي في "سورات" ، قام بتجهيز سفينتين غادرتا المدينة ، في شهر إبريل عام ١٦٢١م تحملان المساعدات والمؤن للقلعة ، هذا بالإضافة إلى الكثير من الأسلحة ، وهذا ما يعلمه فقط .

أما بالنسبة للنقطة السابعة ، فقد أفاد الشاهد بصحتها وبعلمه بها ، حيث رأى أن الحاكم في سعيه لإمداد السفن والمراكب بالرجال لجأ إلى الاستعانة بالموظفين القانونيين ، الذين جابوا القرى والمساكن بحثاً عن الرجال لتجنيدهم وإرسالهم كقوات تعزيزية ، وفوق هذا أصدر إعلانات عفو عن الهاربين والمسجونين ؛ كي يؤتى بهم من البر ومن السجون لاستخدامهم لذلك الغرض ، وكان ذلك بسبب النقص الكبير في الرجال .

عموماً لم تأت أية سفن إلى المدينة في ذلك العام ، وإنما وصلت في الرابع عشر من شهر ديسمبر سفينة "بنها دا فرانسا" "Benha de Franca" فقط ، وذلك بعد أن هلك معظم ركابها .

الشاهد يعلم أيضاً أنه تم تخصيص أموال اقتطعت من ضريبة الاثنين بالمائة لأجل دعم وإعداد المراكب عالية الجوانب لتأديب الثوار وكبح جماحهم .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال الشاهد إن "د . ديوغو دي سيلفيرا" و"د . مانويل دي ازفيدو" ، واللذان أبحرا كقادة على تلك المراكب هما بالفعل جديران بهذين المنصبين ، ويعلم الشاهد أنه في تلك المناسبة لم يكن قد عثر على من يمكنه سد الشواغر تلك ، ومن في مقدوره بذل الغالي والنفيس في خدمة صاحب الجلالة .

في إطار قبولهما قيادة تلك المراكب تم إسقاط التهم والمخالفات التي ارتكباها ، وصدر الأمر بإبعادهما ونفيهما إلى هرمز ، حيث أبحرا كقائدين على المراكب ، كما تقول المقالة .

بالنسبة للنقطة الحادية عشرة ، أفاد الشاهد بعلمه عنها ، حيث رأى أن الحاكم بمجرد تلقيه أخبار ذهاب "روى فرير" بنفسه إلى قشم لتأسيس قلعة هناك ، وهو ما فعله فيما بعد ، شرع فوراً في إعداد أسطول يعمل بالمجاديف ، ومن ثم عمل على تزويده بالرجال ، كي يرسله له .

بالنسبة للنقطة الثانية عشرة ، أقر الشاهد بعلمه بالأمر ؛ لأنه كان قد رافق حملة المساعدات في السفينة التي قادها "سيماو دي ميلو" بعد أن اختاره المجلس لأجل تنفيذ هذه المهمة .

كان قد عمل في العام المنصرم ، كقائد في "مالبار" واختير في تلك السنة للعمل في نفس المنصب ، ويعلم أن الأمر صدر إليه وفق الأوامر واللوائح بتسليم "روي فرير" تلك المساعدات التي تتكون من عشر سفن مزودة بالعديد من الرجال ، ويعلم أن "سيماو دي ميلو" قد بقي في قلعة هرمز .

بالنسبة للنقطة الثالثة عشرة ، قال الشاهد إنه كان في ذلك الوقت في مسقط ، وقد أبحرت سفينتان بأمر من الحاكم تحملان المؤن والمساعدات من "ديو" إلى القائد "روي فرير" ، وحينها تبين عدم وجود أية ضغوط باستثناء قيام "روي فرير" ببناء القلعة في قشم .

بالنسبة للنقطة الرابعة عشرة ، قال الشاهد إنه يعلم أن الحاكم قد أصدر أمره للكابتن "ديوغو دي سوسا منسيس" لمرافقة "سيماو دي

ميلو" ، وكان هذا النبيل قد عين في قلعة هرمز لتولي الأمر فيها إثر انتهاء مدة "د . فرانسيسكو دي سوسا" الذي كان مريضاً جداً حيث كان ينزف بمعدل مرتين في اليوم .

يعلم أيضاً أنه في اليوم الذي شهد وفاة المدعو "د . فرانسيسكو دي سوسا" فتح نسخة الرسالة التي بعث بها الحاكم ، وتمت تسمية "ديوغو دي سوسا منسيس" في البداية ؛ ولكن نظراً لغيابه فُضت الرسالة الثانية ، وتم اختيار "سيماو دى ميلو" لتولى الحكومة .

بالنسبة للنقطة الخامسة عشرة : أفاد الشاهد بأنه أرسل كلمة للحاكم ، يخبره عن طبيعة الأوضاع الكارثية التي تعيشها قلعة قشم بسبب الحصار ، وكان من الممكن أن تكون الأخبار قد وصلت المدينة حسبما تقول المقالة بشكل أو بآخر .

من خلال خبرته الملاحية العريقة في البحر ، سيما وقد كان أبحر في سفن صاحب الجلالة ، وخدم فيها عدة سنوات ، فإنه يعتقد أن "السانقويسيز" ليست بالمراكب التي بوسعها الإبحار برفقة القائد "كونستانتينو دي سا" ، وكل السفن التي ثبت أنها ذهبت كانت قد واجهت أخطاراً جسيمة وصعوبات في العبور ...

نظراً لقلة المياه فقد اضطر القادة لترك البعض منها في الموانئ ، ولقد بدأ الأمر صعباً بالنسبة "للسانقويسيز" حتى ولو خفضت حمولتها على نقل القليل من الرجال والبحارة أو الجنود ؛ لأنها بالفعل ليست تلك السفينة التي بوسعها أن تنقل أية مؤن غذائية أو مياه .

بالنسبة للاثنتين اللتين تم قطرهما بواسطة إحدى البيناس ، فقد

فقدت إحداهما ، وهي التي انفصلت عن السفينة التي تقوم بسحبها بسبب سوء الطقس ، أما الثانية ، فقد فضلت الرجوع أكثر من الاستمرار في الرحلة ، وذلك بعد أن عبرت الحاجز مباشرة .

بالنسبة للنقطة السادسة عشرة ، قال الشاهد : لقد سبق أن أجبت على ذلك ، حيث أرى أنه من المستحيل أن تبحر مراكب "السانقويسيز" في تلك المناسبة ، وأشار إلى أنه على علم بذلك ؛ لأنه قد رأى في مسقط أن من كانوا على متن تلك السفن ، قد اتجهوا إلى متن أسطول "كونستانتينو دى ايسا" للإبحار معه .

أما "سانشو دي توفار" ، فقد ذهب في إحدى السفن مع بعض الجنود والبحارة ؛ إذ كان عليه أن يأخذهم في إحدى "السانقويسيز" التي كان من المفترض أن يبحر فيها .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة : أقر الشاهد بأنه يعرف أن قلعة هرمز لم تسقط في أيدي الأعداء لأسباب تتصل بنقص في الرجال أو المؤن أو الأسلحة والمراكب أو السفن ؛ لأنها كانت في الواقع تذخر بهذه الأشياء كلها ، ولو كان الحكام ونواب الملوك في الهند ، قد فكروا في إمكانية وقوع القلعة تحت الحصار لعدة سنوات ، وكم من الرجال يجب أن يرسلوا لحمايتها ، فإنه لا يمكنهم مهما فعلوا أن ينجحوا في دعمها وتزويدها بمتطلباتها على نحو أفضل مما حدث ، إذ أرسلت لها المساعدات .

تم تزويدها بالضروريات ساعة حاصرها العدو ، وهو يؤمن بهذا ومن خلال خبرته الطويلة في الهند وبأحوال الحرب ؛ لأن كل شيء

أمكن توفيره في المملكة ، وجدوه في تلك القلعة خاصة قطع المدفعية والأسلحة والسفن وأفضل الرجال وأفضل القادة .

بالنسبة للنقطة العشرين ، قال الشاهد إنه يعلم هذا بشكل مؤكد بحكم أنه كان موجوداً في مسقط في ذلك الوقت عندما كانت السفن تأتي بالرجال من هرمز في كل يوم ، وحينها كان الشاهد يعمل في منصب القائد الميداني والمسؤول عن المحاربين في القلعة ، وقد عمل على الكشف عما يحدث في هرمز ، وعليه فقد علم بشكل موثوق أن العدو قد نزل في قلعة هرمز دون أن يتصدى لهم أي فرد لمنعهم أو حتى ليسألهم ماذا يريدون .

باستثناء خط المقاومة الصغيرة عند ساحة العرض خارج القلعة عندما دخلوا بالفعل المدينة واحتلوها بكاملها .

بالنسبة للنقطة الحادية والعشرين ، قال الشاهد إنه على علم بذلك إذ إن الأمر معلوم لدى الجميع وللأسباب التي ذكرها ، أن قلعة هرمز استسلمت وفق الاتفاقية التي أُبرمت ، وإن العدو دخل القلعة من بواباتها ، بالرغم من أنهم سيطروا على حصن "سانتياغو" إلا أنهم لم يسيطروا على القلعة وكانت هناك دائماً .

المقاومة مستمرة إلى أن تم التوصل للاتفاقية ، والتي بموجبها استسلمت القلعة لسيطرة العدو الذي دخل القلعة من خلال بواباتها .

بالنسبة للنقطة الثانية والعشرين ، قال الشاهد إنه يعلم أن الحاكم كان قد أرسل أربع سفن مع "د . فرانسيسكو" عندما تولى منصبه في قلعة هرمز ، وكان "فرانسيسكو ربيرو" قد ذهب مؤخراً ، ومعه سفينة

"بيناس" وثلاث سفن أخرى والمركبان اللذان أُشير لهما ، وكل هذه التعزيزات كثرت أو قلت قد أرسلت ، وتحدثت عنها تلك المقالة .

بالنسبة للنقطة الثالثة والعشرين ، كان قد سبق أن ذكر أن الحاكم أرسل الأساطيل التي أشارت لها المقالة ، وبالإضافة لذلك أرسل عدة تعزيزات من المؤن والإمدادات من البسكوت واللحوم والأدوية والحلويات .

حسبما ذُكر ، فقد تم تزويد القلعة بكل هذه الأصناف من المؤن ، وكان الحاكم يولي عنايته لهذه الأمور بكل الحرص والجدية ، ولقد سبق أن أمر الشاهد بضرورة إبلاغه من مسقط بأي قصور وإبقائه على علم بما تحتاجه القلعة ، وكذلك المتطلبات التي تحتاجها قلعة مسقط حتى يتمكن من توفير تلك الاحتياجات .

قد بعث برسالة للشاهد ، يأمره بإرسال جميع الناس الذين جاءوا من هرمز للهند ، وذلك حتى لا تكتظ القلعة بالعطالة ، وإذا ما واجه أية صعوبات ، فيمكنه أن يعمل على شراء بعض المؤن التي يحتاجها حيث إنه يتوقع ذلك .

كان الحاكم حريصاً كل الحرص على الاهتمام بهذه الأمور حتى بعدما بلغ من العمر ما بلغ وتدهورت حالته الصحية .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للنقطة السابعة ، قال الشاهد أنه في نفس اليوم كان "كونستانتينو دي سا" قد غادر مسقط بأسطوله عائداً للقلعة مع مجموعة

المنهزمين الذين ألقى بهم الهولنديون خارج هرمز في إحدى السفن ، فبالنسبة "لكونستانتينو" .

فقد كان عليه الاستمرار في الإبحار لمدة خمسة أيام أو أكثر ، كي يصل بسفينته إلى هرمز ؛ لأن القادمين من هرمز كانوا قد قضوا مثل تلك المدة أو يزيد ، هذا إلى جانب الوقت الذي استغرقته عملية الصعود للسفينة بما يقدر بنحو يومين أو ثلاثة أيام .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال الشاهد إنه لا علم له بذلك ، ولكنه يعتقد أن "كونستانتينو دى سا" لم يكن بوسعه قط أن يصل في الوقت المناسب ؛ نظراً للسرعة الهائلة التي استسلمت بها القلعة ؛ لأنه عندما غادر مسقط ، كانت قد انقضت عدة أيام على استسلام القلعة .

لم يذكر الشاهد المزيد ، كما لم توجه له بقية الأسئلة الأخرى ، وقد وقع مع المستجوب . أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت ما ورد ذكره .

"ديوغو دي اغويار" .

"فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

في شهر أكتوبر عام ١٦٢٤م ، في مدينة "غوا" هذه ، وفي مقر إقامتي حصلنا على إفادات الشهود الذين مثلوا أمامنا ، وفيما يلي نورد أسماءهم وكنياتهم :

أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت هذا .

"روي دياس دا كونها" ، أحد نبلاء بلاط صاحب الجلالة ، ومتزوج ومقيم في هذه المدينة ، يبلغ من العمر السادسة والعشرين عاماً ، وقد

حلف بالإنجيل المقدس وبالنسبة للمنفعة ، قال إن هناك صلة قربى ، ولكنه لا يدري تحديداً درجة القربى تلك ، ووعد بأنه سوف يقول الحق .

رد المدعى عليه

بالنسبة لرد المدعى عليه الأول ، قال الشاهد إنه يعلم بذلك من خلاله مشاهدته بحكم وجوده في المدينة حينذاك ، وإن الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" خلف "الكوند دي رودندو" على حاكمية هذه الدولة في الثاني عشر من شهر نوفمبر عام ١٦١٩م . وأقر الشاهد بحقيقة النقص الكبير في المملكة آنذاك ، كما أفاد بعلمه أن عائدات مراكز الجمارك كانت مرهونة بواسطة "الكوند دى رودندو" .

بالنسبة للنقطة الثانية ، قال الشاهد صحيح إنه بالنسبة إلى أسطول "كانارا" ، كان الحاكم عندما تولى الأمر قد قام بإرساله ، ويعلم أيضاً أنه في الصيف التالي كان الحاكم قد جهز أسطولاً "لمالبار" ، وأساطيل أخرى إلى "الشمال" و"راس كومورين" ، وأرسل مساعدات إلى "ملقا" وهرمز ، التي لم تكن قد دخلت حتى ذلك الوقت في حرب ضد الأعداء .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، أفاد الشاهد بأنه رأى المركبين المذكورين حسبما ورد ذكرهما في المقالة ، وقد تم إعدادهما وتجهيزهما لإرسالهما للميناء الذي يمثل وجهتهما ، غير أن الحاكم لم يرسلهما في تلك المناسبة ، وقد تحدث الحاكم مع الشاهد وأخبره أنه لن يرسلهما للأسباب التي ذكرت في المقالة .

بالنسبة للنقطة الخامسة : أقر الشاهد بصحة ، ما ذُكر من أن المركبين

غادرا هذه المدينة في شهر إبريل عام ١٦٢١م يحملان الجنود والمدفعية ، وإنه لا يعلم أي شيء آخر عن حمولة المركبين غير ما ذكره .

بالنسبة للنقطة السابعة ، أشار الشاهد بقوله صحيح إنه لأجل تزويد هذين المركبين بالرجال كان لابد من استنفار الناس في هذه المناطق والضغط عليهم ، ولقد صدر عفو للمجموعات المندسة في البر الرئيس ، وبالمثل صدر العفو أيضاً عن بعض الموجودين في السجون ، وقد فعل كل ذلك لأجل سد النقص في الرجال .

منذ مضي تلك السنة لم تأت أية سفن من البرتغال باستثناء السفينة "بنها دا فرانسا" ، وهذه السفينة كانت قد تأخرت كثيراً ، ووصلت بعدما هلك معظم راكبيها .

بالنسبة للنقطة الثانية عشرة ، أقر الشاهد بعلمه بها ، وقال إنه يدري أن "سيماو دي ميلو" خدم في السنة الماضية كقائد على "مالبار" ، وأعيد تعيينه في نفس المنصب في ذات السنة ، ويعلم أنه قد ذهب إلى هرمز في عشر من السفن تحمل التعزيزات وسفينتين أخريين تحملان المؤن والغذاءات .

بالنسبة للنقطة الثالثة عشرة ، يقول الشاهد إنه عرف ذلك من خلال ما قيل من أن "روي دياس دى سامبايو" قد أرسل سفينتين تحملان الدعم لقلعة هرمز ، وزودهما بمجموعة من الرجال ، لكنه لم يدر ما إذا كان ذلك قد تم بأمر من الحاكم أم لا .

بالنسبة للنقطة الخامسة عشرة ، أفاد الشاهد بعلمه بالأخبار التي وردت في شهر مارس مفيدة أن الأوضاع في قشم ، قد باتت تنذر بكارثة رهيبة ، ويعلم أن "السانقويسيز" هي مراكب يصعب عليها

العبور إلى هرمز في ذلك الوقت في موسم المونسون ، الذي تنشط فيه الرياح العكسية .

الشاهد كان قبطاناً في المركب آنذاك ، ويعلم أن اثنتين من "السانقويسيز" قد لجأتا رغبة في الاحتماء بالساحل ، وقد تحطمت في خليج مصيرة واحدة من الاثنتين اللتين تم قطرهما بعدما انفصلت عن السفينة ، التي تقوم بسحبها .

بالنسبة للنقطة السادسة عشرة ، أشار إلى أنه قد سبق أن ذكر ما يدور من شكوك حول قدرة مراكب "السانقويسيز" على العبور ، وأفاد بأن البعض من الجنود والبحارة انتقلوا منها والتحقوا بالأسطول .

كـــان "سانشـــو دي توفـــار" و"جـــيرونيمو دي فيجويرا" "Jeronimo de Vigueira" قد أبحرا في الأسطول الذي يقوم بنقل الإمدادات حيث تركا مراكب "السانقويسيز" التي كانا يعملان على قيادتها بغية الانضمام للأسطول .

بالنسبة للنقطة السابعة عشرة ، أفاد الشاهد بعلمه أن أسطول "جوليو مونيز" و"جواو دا كوستا دي منسيس" قد بدأ في البحث عن ملجأ آمن بالرغم من احتوائه على مراكب وسفن كبيرة .

بالنسبة للنقطة الثامنة عشرة ، قال الشاهد إن أخبار سقوط قشم ، وحصار قلعة هرمز قد وصلت في هذه المدينة في يوم الأربعاء من الأسبوع المقدس ، وذلك إبان عملية تجهيز وإعداد المزيد من السفن والرجال ، وتم تسريع عملية تجهيز الأسطول ، ويعلم أن تاريخ استسلام قلعة هرمز كان في يوم الثاني أو الثالث من شهر مايو .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة ، أشار الشاهد بقوله إنه قد سمع من البعض أنه وقت سقوط هرمز كانت القلعة مزودة تماماً بالرجال والأسلحة والمؤن .

بالنسبة للنقطة العشرين ، قال الشاهد إنه قد سمع أيضاً أن هناك بعض تراخٍ وإهمال تجاه منع العدو من إنزال قواته في جزيرة هرمز . أما بقية المقالةً ، فإنه لا يعلم عنها شيئاً .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للنقطة السادسة ، قال المتهم صحيح أن "ديوغو دي سوسا" تخلف في مسقط عندما غادر أسطول "كونستانتينو" مدينة مسقط متجهاً إلى هرمز ، لكنه لم يكن على علم بسقوط هرمز ، وقد قرر "ديوغو دي سوسا" البقاء مع المركب الذي قدم فيه ، وعندما سأله الشاهد ما إذا كان يعتزم الذهاب إلى هرمز ، أجابه أنه سوف يصل بعد الأسطول .

بالنسبة للنقطة السابعة ، قال الشاهد إنه في نفس اليوم الذي غادر أسطول "كونستانتينو" قلعة مسقط كان قد التقى "بينانس" ، وهي تحمل مجموعة من الرجال المنهزمين بعد سقوط هرمز ، ولكي يصل أسطول "كونستانتينو" إلى هرمز يتطلب ذلك رحلة عشرة أيام حسب حالة الطقس .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال المتهم في اعتقاده أنه مهما حدث بشأن تسريع إبحار الأسطول ، فإن كل ذلك لن يمكنه من الوصول في وقت مناسب لتقديم المساعدة للقلعة المحاصرة ؛ لأن عملية الاستسلام كانت قد تمت بسرعة .

لم يضف الشاهد شيئاً على أقواله تلك ، كما أنه لم توجه له أسئلة أخرى ، ولقد وضع توقيعه مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس دى لوبو" أمرت بكتابة ما ورد ذكره .

"روي دياس دا كونها" .

"فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

وقد أعلن أنه قد أدلى بهذه الإفادة بعد القسم ، فيما يتعلق بالأمور التي تناولها التحقيق الذي أجرى بخصوص استسلام قلعة هرمز ، وقد كرر أدلته ووقع ثانية ...

أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت ما ورد .

"روي دياس دا كونها" .

"فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

في العاشر من شهر أكتوبر عام ١٦٢٤م في مدينة "غوا" هذه ، وفي مقر إقامتي ، حصلنا على إفادات الشهود الذين مثلوا أمامنا ، وفيما يلي نورد أسماءهم وكنياتهم ،

أنا "ديوغو دياس لوبو" أمرت بكتابة هذا .

"دومينجوس لوبيز دي أزفيدو" "Domingos Lopez de Azevido" ، أرمل مقيم في هذه المدينة بصفته أحد مواطنيها يبلغ من العمر الخمسين عاماً ، وقد حلف بالإنجيل المقدس .

بالنسبة للمنفعة أقر بانتمائه لأسرة المدعى عليه ، وبالطبع أسرة والده الذي خدم معه في فترة حكمه كخادم وسكرتير ، ووعد بأنه سوف يتوخى كل الصدق فيما يسال عنه .

رد المدعى عليه

بالنسبة للنقطة الأولى أقر الشاهد بعلمه بها لأنه قد رأى أن الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" ، قد تولى الأمر في حكومة تلك المملكة في التاريخ الذي ورد في المقالة ، ويعلم الشاهد أنه في ذلك الوقت كانت مملكة الهند ، وكل عائداتها تعيش أوضاعاً صعبة بحيث إن جميع مراكز الجمارك تعاني أزمات مالية حادة ، الأمر الذي جعل القائم بأمر الحكومة .

يقوم برهن جميع عائدات جمارك هذه المدينة لتجار ومقاولين ، مثل "فرانسيسكو تينوكو دي كاركافيلوس" "Francisco Tenoco de Carcavilos" "فالنتيم غارسيا" "Valentim Garcia" و"بارتولوميو سانشيز" "Partholomew Sanchez" الذي تلقى كل عائدات مركز الجمارك حتى شهر فبراير عام ١٦٢٠م .

بالنسبة للنقطة الثانية ، قال الشاهد إنه يعلم بها لأنه عند تولي الحاكم أمر حكومة المملكة كانت جميع الأساطيل العادية في ذلك الصيف تحتاج إلى تكوين وبناء باستثناء أسطول كانارا ، الذي كان يتولى قيادته "غونسالو فاز دي كاستيلو برانكو" ، وبالرغم من جاهزية هذا الأسطول إلا أن الحاكم قام بإرساله .

فوق ذلك يعلم أيضاً أن الحاكم قد قام بتجهيز بقية الأساطيل العادية الأخرى "للشمال" و"ملبار" و"راس كومورين" ، وكان قد أرسل أسطول الشمال في الوقت المشار له في المقالة ، كما أرسل دعماً ومساعدات إلى قلعة "ملقا" ، وقلعة هرمز ، التي كانت حينها ما تزال تنعم بالسلام ، كما سيتبين ذلك في الخطاب الذي أشير له في المقالة .

بالنسبة للنقطة الثالثة أقر الشاهد بعلمه بها ؛ لأنه رأى أن الحاكم في كل سنة من سنوات حكمه كان يقوم بإعداد الأساطيل ، واعترف بأن أساطيل المغامرين قد سببت دماراً كبيراً في أوساط الملباريين .

قد حدث ذلك بالرغم من غياب الأساطيل التي كانت تأتي من البرتغال كما هو معروف ، وحقيقة فالمملكة تعيش ظروفاً صعبة وقاسية ؛ بسبب فشل هذه السفن في الحضور من البرتغال .

بالرغم من ذلك فقد أوفى الحاكم بكل التزاماته دون أن يفشل في إنجاز أي أمر من الأمور التي يوليها اهتمامه الخاص ، ودون أن يلجأ أيضاً إلى فرض أية ضرائب على المواطنين .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، أفاد الشاهد بعلمه بذلك ، وأنه في أواخر شهر سبتمبر وبداية شهر أكتوبر عام ١٦٢٠م ، أرسل الحاكم مركبين للحاجز ورد ذكرها في المقالة ، وكان قد جهزهما جيداً وزودهما بمجموعة من أسلحة المدفعية والذخائر ، والآن ينتظر رفدها بالرجال بعد وصول السفن القادمة من البرتغال وهي بدورها لم تصل .

في نفس الوقت تلقى الحاكم معلومات خاصة ، تفيد أن العدو غادر "سورات" في شهر نوفمبر في طريقه إلى هرمز وسوف تقوم السفن البريطانية بتحميل الحرير من "جاسك" ، وعليه قرر الحاكم عدم إرسال المركبين في موسم المونسون ؛ ذلك لأنه كان على ثقة تامة بأن المركبين سوف يلتقيان بالسفن الإنجليزية ، وسوف يقوم العدو بالاستيلاء عليهما ، ويعلم أن سفن العدو قد اشتبكت ضد أسطول "روي فرير دي أندراد" في شهر ديسمبر في تلك السنة .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، قال الشاهد : بعدما استلم الحاكم الأخبار الخاصة بانسحاب السفن إلى "سورات" قام فوراً بتجهيز وإعداد المركبين وإرسالهما ، وظلا في الحاجز حتى وقت مغادرتهما إلى هرمز في السادس من شهر إبريل عام ١٢١م ، عندما تم تحميلهما بالمواد والمؤن والذخائر وأسلحة المدفعية لأجل دعم أسطول "روى فرير" ، وسوف يتم التعرف على بقية الأخبار من واقع الخطابات .

بالنسبة للنقطة السادسة ، أجاب الشاهد أنه بعد الاطلاع على الرسائل ومحتوياتها أو من النسخات الموجودة لدى أمانة السر ، والتي بموجبها ، أخبر الحاكم "روى فرير" أنه قد بعث إليه الأمر المذكور آنفاً ، وكذلك بقية الأخبار بأن المراكب سوف تصل في موعدها ؛ كي يتمكن من حرب السفن البريطانية في العام التالي .

إن هرمز سوف تسقط دون شك ، هذا أمر معروف تماماً ، ومفهوم لدى الشخصيات العسكرية والحربية في الهند .

بالنسبة للنقطة السابعة ، أقر الشاهد بمعرفته ؛ ذلك لأنه قد رأى الأمر ، ويعلم أيضاً أنه لأجل رفد هذه المراكب بالرجال فقد سعى الحاكم لاستخدام رجال القانون الذين خرجوا في الأقاليم ؛ لاستنهاض الرجال ، كي يلتحقوا بقوات الأسطول .

أمر الحاكم أيضاً بتعميم الإشعارات والإعلان بالعفو عن المندسين في البر الرئيس ، وكذلك العفو عن نزلاء السجون ، بغية سد النقص في الرجال بسبب عدم وصول السفن من البرتغال في تلك السنة ،

باستثناء السفينة "بنها دا فرانسا" التي قدمت في يوم الرابع عشر من شهر ديسمبر ، لكن بعد أن هلكت الغالبية العظمى من رجالها .

عموماً كانت مدينة "غوا" قد ساهمت بتخصيص نسبة اثنين بالمائة من عائدات ضريبة القنصلية الخاصة بسفن الأسطول عالية الجوانب .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال الشاهد إنه يعلم أن "د . جواو دا سيلفيرا" و"د .مانويل دى أزفيدو" هما الشخصان المناسبان لمرافقة تلك المراكب ، وهذا ما فعلاه ، وبسبب ذلك فقد ارتأت إدارة القصر وجوب إصدار عفو عام عنهما ، فيما يختص بالمخالفات والجرائم التي ارتكباها ، وذلك نظير التزامهما بالعمل في هرمز في تلك المناسبة .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، قال الشاهد إنه يعلم بذلك ؛ لأن الأمر معروف لدى الجميع حيث بقي "د . مانويل" مع سفن الأسطول عالية الجوانب .

وإن "روي فرير" قد اتجه بنفسه إلى قشم بينما أصاب المرض "د . جواو دي سيلفيرا" فتدهورت حالته الصحية ، أثناء قيامه بذلك العمل ؛ لأجل إكمال بناء القلعة حتى توفي .

بالنسبة للنقطة العاشرة ، أجاب الشاهد بأنه لم يسمع قط عن وجود خلاف بين "روى فرير" و"د . مانويل" أو "د .جواو" .

بالنسبة للنقطة الحادية عشرة ، قال الشاهد إنه يعلم أن الحاكم عندما سمع بأخبار "روي فرير" ، وشروعه في بناء القلعة في قشم أرسل له أسطولا محملاً بجميع أنواع الأغراض والمساعدات ما أمكنه ذلك .

بالنسبة للنقطة الثانية عشرة ، أفاد الشاهد أنه يعلم أن الحاكم استدعى ، وطلب رأي المجلس بشأن عملية إرسال المساعدات ، وبالفعل تم الاتفاق على ضرورة إرسال المساعدات واختيار "سيماو دي ميلو" لهذه المهمة ، وتحميل المساعدات على متن أسطوله المكون من عشر سفن .

تمثل هذه نصف عدد السفن العشرين التي قام بتجهيزها لدعم أسطول مالبار ، الذي كان قد رشح لقيادته في تلك السنة ، وهو الأسطول الذي سبق أن خدم فيه الصيف الماضي كقائد في "ملبار" .

كما أنه يدرك أنه قد سمع الحاكم يقول في عدة مناسبات أن "سيماو دى ميلو" قد تلقى الأمر الذي أوعز به "لروي فرير" بحيث يترتب عليه أن يعمل كتابع في قلعة هرمز ، ويعلم أنه قد قام بتسليم "روي فرير" تلك المساعدات في قشم .

بالنسبة للنقطة الثالثة عشرة ، أفاد الشاهد بأنه يعرف أن الحاكم كتب للقباطنة في كل القلاع ومدن الشمال يبلغلهم بما يجب عليهم عمله بشأن المساعدة في محنة هرمز ، ويدرك أن "روي دياس دي سامبايو" "Rui Dias de Sampaio" قائد قلعة "ديو" و"جواو فاز كاسكاو" كبير مسؤولي الخزينة كانا قد أرسلا مركباً شراعياً على متنه ستين رجلاً تم دفع أجورهم مقدماً وقد أخبر "روي فرير" عن أمرهم .

بالنسبة للنقطة الرابعة عشرة ، أفاد الشاهد بعلمه بذلك ؛ لأنه شاهد أن "سيماو دي ميلو" عندما كان يستعد للإبحار كان الحاكم قد أرسل في طلب "ديوغو دي سوسا دى منسيس" وهو شخص نبيل ، تم تعيينه خلفًا لـ "د .فرانسيسكو" على حاكمية قلعة هرمز .

وقد أبلغه باسم صاحب الجلالة أنه قد عُين خلفاً لـ "د . فرانسيسكو دي سوسا" ، وإنه يترتب عليه الإبحار في إحدى السفن المرافقة "لسيماو دي ميلو" ، والتي سوف تحمل بعض المتطلبات والأغراض لأجل دعم تلك القلعة .

يعلم أنه منذ صدور أمر الحاكم بعمل ذلك لم ير المدعو "ديوغو دي سوسا" سوى مرة واحدة أو مرتين ، وهو يتحدث إلى الحاكم على متن إحدى السفن التي كان يأمل في السفر على متنها ، لكنه لم يعلم حينها إلى من تؤول هذه السفينة ، وقد أخبره الحاكم أن يجد سفينة ، وإنه سوف يزوده بالأوامر التي يحتاجها . بعد هذا قيل إن "ديوغو دي سوسا" أُصيب بوعكة صحية ، وظل باقياً في تلك المدينة .

ذكر أنه عندما حدثت وفاة "د . فرانسيسكو دى سوسا" ، قائد هرمز ، تم الاطلاع على نسخة الرسالة الأولى وتبين وجود اسم "ديوغو دي سوسا" ؛ ولكن نظراً لتغيبه فقد فتحت الرسالة الثانية ، كي يجدوا فيها اسم "سيماو دى ميلو" معنياً بالتعيين .

بالنسبة للنقطة الخامسة عشرة ، قال الشاهد إن الأخبار والمعلومات التي تلقاها الحاكم في الثامن من شهر مارس أفادت بمحاصرة قشم ، وإثر ذلك دعا الحاكم أعضاء المجلس لعقد جلسة حيث أطلع المجتمعين على ما يجب عليهم إرساله ، وفي جلسة انعقاد ذلك المجلس تم اختيار "كونستانتينو دي إيسا" لهذه المهمة .

يمكن الوقوف على ذلك من خلال القرار الصادر بشأنه ، والذي نص على تكليف "كونستانتينو دى سا" بقيادة السفن .

الشاهد لم يكن يعلم ما إذا كان المجلس قد ناقش موضوع ذهاب سفن "السانقويسيز" أم لا ؛ لأن الشاهد يرى أنه في موسم "المونسون" ذلك يصعب على سفن "السانقويسز" الإبحار إلى هرمز ، وهي تحمل الجنود والبحارة والمؤن الغذائية ، إلا إذا توفرت السفن عالية الجوانب لقطرها .

هو على علم بأمر تلك السفن الأربعة التي رافقت "كونستانتينو دي سا" ، والتي حملت إحداها "دومينجوس فيرنانديز" "Domingos Fernandes" ، واتجهت ، كي تبحث عن ملجأ لها .

بالنسبة للنقطة السادسة عشرة ، قال الشاهد أنه سبق أن ذكر أن أسطول "كونستانتينو دى سا" من مراكب "السانقويسيز" ، تلقى أوامره بالتخلف ، حيث تبين لهم عدم قدرة السفن على الإبحار ، وهذا ما أشير له في سجلات وتقارير المجلس .

قد ذهب في الأسطول الكثير من المحاربين والبحارة بما فيهم "سانشو دي توفار" كقائد لإحدى سفن الأسطول ، و"جيرونيمو دي فيجويرا" كقبطان على سفينة أخرى ، وبالمثل مجموعة من المحاربين والبحارة والقادة الذين رحلوا في سفن "السانقويسز" .

بالنسبة للنقطة السابعة عشرة ، أفاد الشاهد بصحة ما قيل من أن اثنتين من سفن الغاليوت ، التي ورد ذكرها في المقالة قد لجأتا إلى بعض الموانئ ، ومن واقع ذلك يمكن الاستنتاج أن هناك بصيص أمل في ذهاب سفن "السانقويسز" في وقت عجزت فيه السفن القوية عن الذهاب ومقاومة صعوبات البحر في ظل الأحوال الجوية المتقلبة . لقد نفذت منهم المياه ، ولهذا السبب اضطروا للجوء للموانئ .

بالنسبة للنقطة الثامنة عشرة ، قال الشاهد أنه كان يعلم أن أخباراً خاصة قد وردت في يوم الأربعاء من الأسبوع المقدس ، تعلن عن سقوط قشم ، ومحاصرة هرمز ، أي في نفس الوقت المشار له في المقالة- وقت استعداد "كونستانتينو دي ايسا" للمغادرة بأسطوله ، وبسبب هذه الأخبار أضيفت مجموعة من سفن "السانقويسيز" ، ومجموعة من الأفراد المحاربين إلى قوة الأسطول للمعركة .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة ، قال الشاهد أنه سمع أقوالاً عامة ، كما رأى أيضاً أن الحاكم تلقى رسائل من "مانويل بورجيز" "Manuel Borgues" المسؤول الأول عن الخزينة في هرمز ، تفيد بوجود مجموعات كبيرة من الناس تجاوز عددها الألف نسمة في داخل القلعة ، وذلك خلال الأيام التي سبقت عملية استسلام القلعة .

كما وجدت أيضاً كميات وفيرة من الأرز والمؤن الغذائية ، وإلى جانب هذا كان هنالك غياب كامل لأية مراسلات من القائد أو المسؤول الأول عن الخزينة ، تؤكد وجود أي نقص في أي شيء في القلعة .

بالنسبة للنقطة العشرين ، أفاد الشاهد أنه من المعلوم جيداً أنه في قلعة هرمز لم تتخذ أية ترتيبات أو إجراءات لازمة لأجل الدفاع عنها ، وبالمثل لم تكن هناك أية مقاومة أو محاولة لأجل منع العدو من إنزال قوات الفرس في الجزيرة ، كما أنه لم يتم أي تحرك إلى فتح الخندق المائي .

بالنسبة للنقطة الحادية والعشرين ، يفيد الشاهد بأن الكل يعلم جيداً أن العدو قد دخل القلعة بموجب اتفاقية ، أبرمت بين العدو

والمحاصرين داخل القلعة ، وذلك من خلال البوابات التي فتحت أمامهم ، وليس من خلال فتحات الأسوار .

بالنسبة للنقطة الثالثة والعشرين ، أفاد الشاهد بصحتها ، وأكد علمه أن الحاكم أرسل إلى قلعة هرمز الدعم والإمدادات التي ورد ذكرها في المقالة ، وأن كل ما أنفق فيها ، سوف يتم تأكيده من الإفادات .

أنه من خلال مشاهداته ، يؤكد أنه لم يحدث من جانب الحاكم أي تفريط أو إهمال قط ، فيما يخص إرسال أية متطلبات من مؤن وإمدادات وغيرها ، وكان الحاكم يرسل كل ما يطلب منه في أوانه بالرغم من أنه كان معتل الصحة في معظم فترات حكمه ، لكن بالرغم من ذلك ، فإنه شغل نفسه بتلك الأمور دون أن يغفل عنها ، وكان يوليها اهتمامه وعنايته بما تستحق .

لقد استخدم كل تفانيه وكل خبرته المكتسبة في أعمال الحرب في الهند ، ومساعيه الحميدة ، وعلاقاته مع الآخرين في تسيير تلك الأمور وإدارة دفتها كما ينبغي .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للنقطة الأولى مما زعمه ممثل الادعاء قال إن "ديوغو دي سوسا" لم يغادر في تلك المناسبة ، وقد قيل إن مرضه لم يكن خطيراً ، كي يمنعه من الذهاب .

بالنسبة للنقطة الثانية ، قال الشاهد أنه يعلم أن الحاكم لم يساوره أي شك في أن "ديوغو دي سوسا" لن يذهب إلى هرمز في ذلك الوقت ، وأنه لم يعلم بذلك إلى أن غادر "سيماو دي ميلو" .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، قال الشاهد أنه يعلم أن "ديوغو دي سوسا" عندما علم أن "فرانسيسكو دي سوسا" تلقى الشعيرة الأخيرة ، وأنه يحتضر الآن ، ذهب كي يطلب من الحاكم تصديقاً لتفويضه وتأكيده ، وحينها أخبره الحاكم بأنه لا يجب عليه أن يذهب ، وكان ذلك الأمر قد أثار غضبه ؛ لأن الطالب كان قد تجاهل تنفيذ أمر الحاكم عندما أمره بالذهاب .

كان ذلك في أواخر شهر يناير أو شهر فبراير ، وحينها كان "ديوغو دى سوسا" يشغل منصب مستشار مجلس بلدي المدينة لفترة ما بعد إبحار "سيماو دي ميلو" ، وبالرغم من رد الحاكم الذي شابه شيء من الاستياء والغضب ، فإنه عندما تلقى خبر وفاة "د .فرانسيسكو دى سوسا" ، فقد أمره بالذهاب ، كي يتولى قبطانية هرمز ، وبالفعل غادر برفقة "كونستانتينو دى ايسا" .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، قال إنه بسبب تماطل "ديوغو دي سوسا" ، وتعلله بالمرض ، فإنه يفترض أن "ديوغو" لم يكن حريصاً على السفر إلى هرمز ، وقد سمع أيضاً أنه قد طلب من "فيردناند كرون" "Ferdinand Crown" أن يؤجل ذهابه إلى هناك .

بالنسبة للنقطة السادسة ، قال الشاهد إنه يعلم بذلك ، وقد سمع أقوالاً تشير إلى أن "ديوغو دى سوسا" قد تخلف في مسقط ، ولم يرغب في مرافقة "كونستانتينو دى ايسا" إلى هرمز ، وبسبب ذلك ، فعند عودته إلى هذه المدينة أمر الحاكم باعتقاله بواسطة كبير قضاة المحكمة الجنائية .

بالنسبة للنقطة السابعة ، أفاد الشاهد بعلمه بها إذ إنه سمع أن "كونستانتينو دى ايسا" عندما غادر مسقط التقى بعض السفن التي

نقلت مجموعة من الناس ، حسبما ورد ذلك في المقالة ، وإن عملية الذهاب من هناك إلى هرمز تحتاج إلى وقت حسبما ورد في المقالة أيضا .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، أفاد الشاهد أنه يعرف أن عملية الإعداد لإرسال أسطول "كونستانتينو" لا تستغرق الكثير من الوقت ، وفي أحسن الأحوال لابد من مضى ثلاثة أيام على ذلك إذا ما عُمد للإسراع في تجهيز الأسطول .

وحتى بمضي ذلك الوقت ، فإنه من الصعب إنقاذ قلعة هرمز ؛ لأن استسلام القلعة قد تم بسرعة .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، كان الشاهد قد ذكر أن الحاكم اتخذ الإجراءات كافة بكل الجدية ، وبعناية مقدرة قل إن تتوفر في شخص مثله ، تقدم به العمر ، ويشكو من تدهور صحته .

لم يضف الشاهد المزيد ، وقد وقع على أقواله مع المسؤولين .

أنا "ديوغو دياس لوبو" قمت بكتابة ما ورد أعلاه .

"دومينجوس لوبيز دي أزفيدو" .

"فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

*

في السادس عشر من شهر أكتوبر عام ١٦٢٤م ، في مدينة "غوا" هذه ، وفي مقر إقامتي ، حصلنا على إفادات الشهود الذين مثلوا أمامنا ، ونورد فيما يلي أسماءهم وكنياتهم .

أنا "ديوغو دياس" كتبت هذا .

"جواو فاز كاسكاو" ، مقيم في هذه المدينة وأحد مواطنيها ، يبلغ من العمر الخمسين عاماً ، حلف بالإنجيل المقدس ، وبخصوص المنفعة صرح بأنه من حاشية الحاكم الراحل "فيرناو دى البوكيرك" الذي كان قد صحبه معه إلى قلعته في "ملقا" ، حيث منحه القبطانية ، ووكالات سفنه عندما كان حاكماً .

لقد عمل في خدمته كقائد لحرس المملكة ، ووعد بأنه سوف يقول الحق ولا شيء غير الحق .

رد المدعى عليه

بالنسبة للنقطة الأولى ، أفاد الشاهد بصحة ذلك حيث شهد أن "فيرناو دي البوكيرك" صار حاكماً على هذه المملكة في الحادي عشر من شهر نوفمبر عام ١٦١٩م ، وذلك في وقت كانت المملكة في وضع حرج ، تعاني من أزمات حادة ، بحيث إن عائدات مراكز الجمارك لم تكن كما كانت من قبل لأنها قد رهنت بأكملها .

يعلم أن "الكوند دي رودندو" تلقى مبالغ مالية كبيرة من بعض المقاولين ؛ نظير رهنه عائدات الجمارك لهم ، وبالتالي فقد حق لهم وضع أيديهم على جميع عائدات مراكز الجمارك ؛ ليستعيدوا أموالهم بالرغم من الحاجة ؛ لسد بعض القصور ومقابلة بعض المتطلبات بتلك الأموال التي حصلوا عليها .

قد أمر الحاكم بضرورة أن تدفع لهم حقوقهم في الوقت المحدد حسبما وعدهم "الكوند دى رودندو" ؛ وذلك كي يحافظ على هيبة

المملكة ومصداقية الأشخاص الذين وعدوا بذلك ، وحتى لا يتعرض أولئك النفر للإفلاس .

بالنسبة للنقطة الثانية ، ذكر الشاهد أن ذلك صحيح ، وأن الحاكم أرسل أسطول "كانارا" ، الذي كان الحاكم "كوندي دي رودندو" قد أكمل تجهيزه ، وحينها اقتضى الأمر أن تُعد وتُجهز جميع بقية الأساطيل ، وهذا ما أنجزه الحاكم ، حيث جهز أساطيل إلى "مالبار" و"للشمال" و"رأس كومورين" ، وقام بارسالها في مواعيدها .

بالإضافة لذلك أرسل مساعدات إلى هرمز التي كانت حينها تنعم بالسلام ، ويمكن التأكد من ذلك من خلال الرسالة المذكورة ، كما أرسل أيضاً مساعدات إلى "ملقا" .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، أفاد الشاهد ، بأنه يعلم أن الحاكم ، قد ظل يعمل خلال السنوات الباقية من فترة حاكميته في بناء الأساطيل للمملكة ، وبذل كل جهده لخلق حكومة صالحة معافاة ، بالرغم من عدم وصول أية سفن من البرتغال طيلة فترة حكمه .

أنه تمكن من بناء تلك الأساطيل وتجهيزها ، دون أن يلجأ إلى فرض أية جمارك على السكان ، ولم يمارس أية ضغوط على عناصر صاحب الجلالة .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، أفاد الشاهد ، أن الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" كان في مناسبة تعامله مع السفينتين اللتين ورد ذكرهما في المقــالة وفيما يختص بتجهيزهما ، لاحظ الشاهد أن مغادرتهما قد أُجلت .

عندما تحدث إلى الحاكم عن ذلك أجابه مفيداً ، أنه تلقى أخباراً من قائد قلعة "دامان" تفيد بوجود مجموعة من السفن الأوروبية في "سورات" ، ويزعم أن هذه السفن قد توجهت إلى "سورات" ؛ لتحميل شحنات الحرير ، وبالتالي ، فإنه يرى الأصوب ألا يرسل هاتين السفينتين في هذا الوقت ، وذلك للأسباب التي ورد ذكرها في المقالة .

لقد اقتنع الشاهد بهذه الأسباب كما اقتنع الكثير من الناس ممن تداولوا معه هذا الأمر .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، قال الشاهد إن ذلك حدث مؤخراً ؛ إذ عندما تلقى الحاكم أخباراً تفيد أن السفن قد أبحرت إلى "سورات" ، وعادت من هرمز ، شرع فوراً في تجهيز وإعداد السفينتين بحيث غادرتا هذه المدينة في شهر إبريل التالي ، تحملان الكثير من المؤن والمواد والمدفعية لتلك القلاع ، وأيضاً معدات ضرورية لأجل إصلاح أسطول "روي فرير" .

توفر حينذاك متسع من الوقت من حينه ، وحتى شهر ديسمبر موعد وصول السفن من أوروبا ؛ كي يتمكن "روى فرير" من تجهيز ، وإعداد السفينتين لأجل مواجهته العدو إذا ما كان يرغب في ذلك ، حسبما سوف يتبين من خلال الأوامر والخطابات .

بالنسبة للنقطة السادسة ، أفاد الشاهد أنه يمكن التعرف على ذلك من خلال نفس الخطابات والأوامر الصادرة من صاحب الجلالة ومن الحاكم ، فيما يختص بذلك الموضوع .

يعرف أيضاً - وهذا معلوم لدى الجميع - أن "روى فرير" هجر أسطوله على الجوانب ، كي يذهب إلى قشم لبناء قلعة جديدة هناك .

غضب الحاكم كثيراً إثر سماعه هذه الأخبار ، وذكر الشاهد أنه يعتقد أن ذلك كان نتيجة لرغبة "روى فرير" في مواجهة العدو للمرة الثانية ، ومن خلال الرسائل التي بعث بها الحاكم إلى "روى فرير" ، يتبين أنه قد تكهن بوقوع الأضرار والخسائر التي يمكن أن تترتب على ذلك ، وهذا ما حدث بالفعل .

يرى الشاهد أن الاستيلاء على هرمز كان بسبب قيام "روي فرير" ببناء تلك القلعة في قشم ، وهذا ما أثار حفيظة الشاه ، وشجعه على إعلان الحرب ؛ لأنه قبل ذلك كانت الأوضاع آمنة وعلاقات الود والسلام قائمة بين الشاه وبين قلعتنا ، وأبلغ دليل على ذلك تطور التجارة وازدهارها بين الطرفين .

بالنسبة للنقطة السابعة ، قال الشاهد إن ذلك صحيح ، يقر بصحته بحكم رؤيته له من خلال وجوده ؛ إذ إنه لأجل رفد السفن بالرجال اضطر الحاكم للإيعاز لبعض المسؤولين ورجال القانون للبحث عن الرجال لتجنيدهم ، وذلك بسبب النقص الشديد في المحاربين والبحارة والعاملين على السفن .

لذلك أصدر الحاكم إشعارات وبيانات بالعفو عن المندسين في البر الرئيس ، وكذلك العفو عن بعض السجناء إذا ما أتوا للانضمام لقوة الأسطول .

قد حدث ذلك ، بسبب عدم قدوم السفن في تلك السنة من

البرتغال ، باستثناء سفينة واحدة ، وهي "بنها دى فرانسا" ، وحتى هذه وصلت متأخرة جداً ، بعد أن هلك معظم راكبيها .

هذا ولقد ساهمت مدينة "غوا" بأموال مقتطعة من نسبة اثنين بالمائة من ضريبة القنصلية ، وذلك للمساعدة في عملية تجهيز السفن والمراكب ؛ لأن ذلك يمثل الهدف والغاية المنشودة لها منذ البداية .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، أفاد الشاهد أنه يدرك أن "د . جواو دا سيلفيرا" و"د .مانويل دى أزفيدو" ، اللذان أبحرا كقائدين على السفينتين هما الشخصان المناسبان اللذان يمكن أن تُوكل لهما تلك المناصب ، وذلك لما يتحليان به من شجاعة وإقدام وكفاءة في تلك الخدمة ، حيث خدم أحدهما كقبطان في "ديو" و"شول" ، كما خدم الآخر كنائب في قلعة "ملقا" .

في الحقيقة هما شخصان متميزان كما وصفهما الشاهد ، وكان قد صدر عفو عنهما من مجلس القصر عما ارتكباه من مخالفات وجرائم ؛ لقاء التزامهما بالعمل في تلك الظروف في المناصب التي ذكرتها المقالة ، كما سيتبين ذلك من خلال الاستبانة القضائية ورسائل العفو .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، أفاد الشاهد بأنه يعلم أن "د . مانويل دي أزفيدو" قد قدم من هرمز . أما بالنسبة للسبب ، فإن الشاهد لا يدري سوى أنه قد سمع أن المذكور غادر بسبب إصابته بمرض القرحة ، ويعلم الشاهد بأنه يعاني من ذلك ، المرض ، وما عدا ذلك ، فإنه يعلم أن "د . جواو" قد توفي في ذلك الوقت في هرمز بسبب المرض . الذي كان يعاني منه في فترة ذهابه إلى هناك .

بالنسبة للنقطة العاشرة ، ذكر أنه لا علم له بالمشكلة التي حدثت بين "د . مانويل" و"روى فرير" ، ولا يعلم ما إذا كانت هذه المشكلة قد سببت نوعاً من الفرقة بينهما بحيث لم يعدا يتصلان ببعضهما بعضاً ، وأيضاً ما إذا كان ذلك قد أثر على خدمة صاحب الجلالة .

بالنسبة للنقطة الحادية عشرة ، قال الشاهد إنه يعلم أن الحاكم اتخذ أقصى درجات الحذر والاحتراز في تقديم المساعدات والدعم لقلعة هرمز ، بالرغم من انعدام العائدات في المملكة .

هذا وبمجرد علم الحاكم أن "روى فرير" قد هجر سفنه ، وآثر الذهاب بنفسه إلى قشم ، قرر فوراً أن يرسل له المزيد من الدعم والمساعدات ، بالرغم من كل الصعوبات والعوائق التي ألقت بظلالها على طبيعة الأوضاع في المملكة .

عن النقطة الثانية عشرة ، أفاد الشاهد أنه لأجل إرسال المساعدات المذكورة أعلاه ، دعا الحاكم مجلس المملكة للاجتماع ؛ حيث تقرر في الجلسة أن يأخذ "سيماو دي ميلو" تلك المساعدات ، وهو قائد كان في العام الماضي ، قد كشف عن سمات قيادية وخصال جيدة مرضية بصفته قائد "ملبار" ، وقد تم اختياره ؛ كي يكون قائداً في "ملبار" للمرة الثانية ؛ نظراً للسمعة الحسنة التي يتميز بها .

عموماً فالآمال معقودة عليه ، ومتوقع أن يبلى بلاء حسناً في خدمة صاحب الجلالة من خلال قبوله بنقل تلك المساعدات والتعزيزات ، ويُعرف أنه أخذ عشرا من السفن مع بعض التوجيهات ؛ كي يسلمها إلى "روى فرير" حسبما تشير به اللوائح الداخلية .

بالنسبة للنقطة الثانية عشرة ، أفاد بصحتها ، واستطرد بقول إنه عندما كان يشغل وظيفة الرئيس المسؤول عن الخزينة في قلعة "ديو" مع "روي دياس دي سامبايو" كقائد هناك كان قد فرغ من تجهيز سفينتين وستين محارباً من أفضل الجنود ، وبعض المؤن الأخرى التي ذكر أنها قد أرسلت إلى هرمز .

بالنسبة للنقطة الثالثة عشرة ، قال إنه يعرف ذلك ؛ لأنه من المعروف جيداً أن الحاكم أصدر أمره إلى "ديوغو دي سوسا" كي يرافق "سيماو دي ميلو" ، غير أن الأخير لم يذهب معه بحجة أنه مريض ، ويعلم الشاهد أيضاً أنه من المفترض أن يخلف "ديوغو دي سوسا د . فرانسيسكو دى سوسا" على قيادة القلعة المذكورة ؛ لأنه لم يحدث أن عُين في المملكة شخص آخر قبله .

يُعرف أيضاً أن اسمه قد تصدر القائمة الواردة في الرسالة الأولى لخلافة القيادة في القلعة ، ولكن بسبب غيابه ، وتخلفه عن الذهاب إلى هرمز ، فقد تم فتح الرسالة الثانية التي ظهر فيها اسم "سيماو دي ميلو" .

بالنسبة للنقطة الخامسة عشرة ، قال الشاهد إنه يعرف أن المعلومات والأخبار التي تلقاها الحاكم في شهر مارس كانت قد أشارت إلى أن قشم قد أصبحت محاصرة ، وأنها تعاني الآن من ضغوط شديدة .

إثر ذلك دعا الحاكم مجلسه للانعقاد للتشاور فيما يمكن إرساله من مساعدات ، ولأجل تنفيذ هذه المهمة وقع الاختيار على "كونستانتينو دى سا" حسبما يمكن رؤيته من تقارير المجلس ، ويدرك أنه في موسم المونسون ذلك سوف يستحيل على سفن "السانقويسيز" الإبحار بتلك

المساعدات إلى هرمز ، بحكم أنها سفن صغيرة الحجم والسعة ، ومن الصعوبة بمكان استخدامها في الإبحار في موسم المونسون

قد بدأ ذلك جلياً ، عندما أعطيت السفن الأربع إلى "كونستانتينو دى سا" للإبحار بها في المضيق ، فما كان من إحداها إلا أن لجأت سريعاً لأحد الموانئ ، أما البقية ، فإنها لم تتمكن من العبور إلا بعدما تم قطرها .

قال إن أحداها قد لجأت للميناء ، وهذا ما كتبته .

بالنسبة للنقطة السادسة عشرة ، قال إنه يعتقد أنه طالما اقتضت الضرورة إرسال تلك المساعدات وتحميلها إلا في مراكب "السانقويسيز" ، فمن الأفضل ألا ترسل قط ؛ لأنه متأكد من ضياعها إذا ما تم ذلك ؛ لأن سفن "السانقويسيز" تلك ليست لها القدرة على عبور الخليج (بحر العرب) .

قال إنه يعلم أن الحاكم قد أمر سفن "السانقويسيز" التي عبرت الحاجز ، كي تعود للداخل حتى يتمكن الرجال من الذهاب بصحبة المساعدات ، إذ إن ذلك سوف يكلف القليل من الأموال بالنسبة للحاكم ، ولن تترتب عليه ضغوط كبيرة في ظل العائدات الضئيلة لمراكز الجمارك ، وذلك إذا ما اقتنع بجدوى إبحار سفن "السانقويسيز" بتلك المساعدات .

يعلم أن ثلاثة قباطنة في سفن "السانقويسيز" ، وهم "سانشو دي توفار" ، و"أنطونيو كارترو" و"جيرونيمو دى فيغويرا" ، قد أبحروا مع التعزيزات كقباطنة في قيادة السفن الأخرى . أيضاً كان العديد من جنود "السانقويسيز" ، قد ذهبوا مع تلك المساعدات ولولاهم لصعبت عملية إرسال المساعدات ، بالسرعة المطلوبة .

بالنسبة للنقطة السابعة عشرة ، قال الشاهد إنه سبق أن ذكر ذلك ، ويعلم أن اثنتين من سفن أسطول "كونستانتينو دى ايسا" قد لجأت للاحتماء بأحد الموانئ ، وهي السفينة التي كان يقودها "جوليو مونيز" ، والأخرى بقيادة "جواو دا كوستا دي منسيس" . بالرغم من أنها سفن قوية قادرة على حمل ونقل البضائع إلا أنها لم تستطع مقاومة مياه البحر وأمواجه العالية ؛ بسبب هبوب رياح "الويسترليز" التي تصبح نشطة في هذا الوقت .

من هذا يتضح لنا أنه يستحيل على سفن "السانقويسيز" أن تتمكن من العبور ، إذا ما حُملت بالمؤن والرجال والذخائر والمتطلبات الأخرى .

بالنسبة للنقطة الثامنة عشرة ، أفاد الشاهد بمعرفته بالأخبار التي أشارت إلى تعرض قلعة هرمز للحصار والاستيلاء على قلعة قشم ، حيث وردت هذه الأخبار للمدينة في شهر مارس ، وذلك وقت تجهيز وإعداد أسطول "كونستانتينو دى ايسا" المكلف بنقل المساعدات .

بموجب تلك الأخبار تمت إضافة سفن أخرى ومجموعات من الرجال لمزيد من التعزيز ، كما رفدت هذه المساعدات أيضاً بمجموعة من القيادات الحربية ، حيث تم ذلك بشكل عاجل وسريع ، إذ إن الشاهد كان قد أرسل عدة مرات من جانب الحاكم لمقابلة كبير مسؤولي الخزينة ، وحثه على الإسراع في تجهيز الأسطول درءاً للأخطار التي ربما يمكن أن تحدث بسبب تأخير وصول هذه المساعدات .

يدرك أن المساعدات قد أعدت وجهزت ؛ لإرسالها بالسرعة الممكنة دون إضاعة أي وقت ودون أية أخطاء أو إهمال من أي فرد ،

ويُعرف جيداً في هذه المدينة أن القلعة قد استسلمت في يوم الثالث من شهر مايو .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة ، أقر الشاهد بعلمه بها بحكم أنها معروفة للجميع حيث إن قلعة هرمز لم تسقط بسبب أي نقص في الرجال أو الذخيرة أو المؤن ، وقد ثبت وجود أكثر من ألف جندي من البرتغاليين للذود عنها ، بالإضافة إلى كميات وفيرة من المؤن ، وكان من الممكن للقلعة أن تصمد في وجه الأعداء حتى وصول الإمدادات ، بل أكثر من ذلك بعد وصولها ، وهذا أمر معروف تماماً .

بالنسبة للنقطة العشرين ، قال الشاهد من المعروف أن هناك احتجاج عام بأن عملية قيام العدو بإنزال قواته ، كان يمكن معارضتها قبل دخوله المدينة ، وحتى بعد انسحاب رجالنا إلى داخل القلعة ، وكان من الممكن أن يصار إلى فتح الخندق وفق وصية "أفونصو البوكيرك" . كان ذلك فوق بوابة القلعة .

حيث نص الأمر أنه في حالة تعرض القلعة للهجوم والضغط ، فيجب أن يتم فتح الخندق ، حتى يكون الجميع في سلام ، ويعتقد أنه لو تم ذلك فربما كان مفيداً جداً ، ولما تمكن العدو من تدمير أسوار القلعة .

بالنسبة للنقطة الحادية والعشرين أفاد الشاهد بمعرفته بها ؛ بسبب ما يعرف بشكل عام من أن الفرس والإنجليز تمكنوا من دخول قلعة هرمز من خلال بواباتها التي فتحها رجالها أمام الأعداء بموجب اتفاقية تمت بين الطرفين ، وليس من خلال الفتحات في الأسوار كما حدث بالنسبة للقلاع الأخرى التي تم اجتياحها بقوة السلاح .

بالنسبة للنقطة الثانية والعشرين ، قال الشاهد إنه قد سبق أن تحدث عن التعزيزات وعدد الرجال وتكلفة ما أنفق عليهم ، بحيث يمكن التأكد من ذلك من خلال بيانات اللائحة العامة في الخزينة .

بالنسبة للنقطة الثالثة والعشرين ، قال إنه تحدث عنها من قبل وبالإضافة إلى الجيش الذي أُرسل كقوات تعزيزية تم إرسال كميات وفيرة من المؤن والأرز والبسكوت واللحوم والخمر والأجبان والأدوية ، والكثير من المؤن الأخرى ، التي أمكن إرسالها كمساعدات مماثلة . عموماً لم يحدث أي تراخٍ أو إهمال فيما يتعلق بالترتيبات التي اتخذها الحاكم .

بالرغم من حالته الصحية وتقدمه في العمر ، إلا أنه لم يضيع ساعة واحدة فيما يتعلق باتخاذه الأوامر اللازمة والعاجلة لإرسال المساعدات للقلعة المذكورة بالوسائل الممكنة .

يدرك الشاهد كل هذا ؛ لأنه قد رأى ذلك بأم عينه أثناء وجوده في معظم الأحيان . أما بالنسبة لما نُسب للحاكم من لوم أو تقريع ، فإنه يؤمن أن الحاكم كان يتصرف بكل الحكمة بدافع حماسه الكبير ؛ لخدمة صاحب الجلالة ، مؤدياً واجبه بنكران ذات وعلى نحو يتوافق مع أوامر ، وتوجيهات الملك ، والتنسيق مع مقررات مجلس الحرب في الدولة وقرارات المجالس الأخرى .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للنقطة الأولى من مزاعم الادعاء كان قد بين كل ما يعرفه عن ذلك . بالنسبة للنقطة الثانية ، أفاد الشاهد أنه يعلم أن الحاكم قد

أمر "ديوغو دي سوسا" بالإبحار برفقة "سيماو دي ميلو" ، وأنه قد شاهد الحاكم ، وهو في حالة غضب شديد إزاء تصرف "ديوغو دي سوسا" الذي تخلف عن الذهاب إلى هرمز ، كما أمره بذلك ، وصرح بأنه سوف يكتب لصاحب الجلالة بشأنه .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، أفاد بقوله إنه عندما ذهب "ديوغو دي سوسا" لمقابلة الحاكم ، كي يطلب منه أن يرسله إلى هرمز كان ذلك في شهر يناير ، وكان الشاهد غائباً ، وعند عودته ، رأى ذلك حيث أرسل الحاكم "ديوغو دي سوسا" ، إلى هرمز ، كي يتولى أمر القبطانية هناك بعد وفاة "د . فرانسيسكو دي سوسا" وقد منحه كل الصلاحيات والسلطات والأوامر القضائية التي منحت لمن كانوا قبله من القادة .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، أشار إلى أنه لا يعرف شيئاً عن المقالة لأنه لم يكن حاضراً في ذلك الوقت . بالنسبة للنقطة الخامسة ، وهو ما يمكن رؤيته من خلال الأمر القضائي ، أشار الشاهد بأنه سمع بمحتويات المقالة المذكورة .

بالنسبة للنقطة السادسة ، أقر الشاهد ، بأنه قد سمع بشكل عام من أهالي هذه المدينة الذين قدموا من هرمز أنه بمجرد وصول "ديوغو دي سوسا" في مسقط برفقة "كونستانتينو دى ايسا" كان قد أوقف سفينة فوق إشارة المد الأعلى ، وعندما شرع "كونستانتينو دى ايسا" في الإبحار إلى هرمز تخلف "ديوغو دى سوسا" حيث بقي في مسقط بسفينته ولم يرافقه في رحلته تلك .

بالنسبة للنقطة السابعة ، قال الشاهد أنه معروف لدى الجميع أنه

عندما غادر "كونستانتينو" مدينة مسقط كان قد التقى بمجموعة من القادمين في سفينة بيناس بعد استسلام قلعة هرمز ، ومن ذلك المرسى تستغرق الرحلة مدة ستة أو سبعة أيام للوصول إلى هرمز حسبما ورد ذكره في المقالة ؛ حيث إن مسافة الرحلة تقدر بحوالي ستين ميلاً ، وتستغرق الرحلة تلك المدة للوصول ، بالإضافة للوقت المستهلك في النزول للسفينة .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، أفاد الشاهد بقوله إنه في ظل الأسباب الواردة أعلاه والسرعة التي جُهز بها أسطول المساعدات ، فحسب اعتقاده يتعذر وصوله في وقت يمكن أن يكون ذا فائدة في الحصار بسبب ضيق الوقت قبل إعلان الاستسلام بالرغم من أن الأسطول ، قد تم تجهيزه بكل السرعة الممكنة .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، أفاد بأنه قد سبق أن تطرق لها .

اكتفى الشاهد بذلك ، ومن ثم وضع توقيعه مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس دى لوبو" كتبت هذا .

"جواو فاز كاسكاو" .

"فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

"دومنقوس مونتيرو" ، حدودي ، يبلغ من العمر حوالي السبعة والعشرين عاماً ، وقد حلف بالإنجيل المقدس ، وبالنسبة للمنفعة لم يقل الشاهد شيئاً .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، قال الشاهد إنه عندما كان في هرمز ، سمع

بوجود سفينتين ، قام الحاكم بتجهيزهما ؛ لأجل "روي فرير" ، وأنه يعلم أنهما لم تبحرا ، ولكنه لا يعرف السبب في ذلك .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، قال الشاهد إنه يعرف ذلك بحكم مشاهدته وذهابه في تلك السفن ، حيث إنه بعد عودة سفن الإنجليز وإبحارها من هرمز إلى "سورات" ، أمر الحاكم "فيرناو دى البوكيرك" فوراً بتجهيز السفن ، ومن ثم أرسلها إلى "روي فرير" في هرمز في السادس من شهر إبريل عام ١٦٢١م ، محملة بالمعدات العسكرية والأسلحة الحربية وغيرها من الألواح الخشبية والفؤوس والمجارف لأجل القلعة .

أيضاً لأجل صيانة أسطول "روي فرير" ، حيث يعتقد الشاهد أنه كان بوسعه الإفادة من السفينتين والسفن الأخرى لمواجهة للإنجليز ، وحربهم في شهر ديسمبر القادم من عام ١٦٢١م .

بالنسبة للنقطة السادسة ، صرح الشاهد بأنه يمكن تبين ذلك من خلال الأوامر التي تضمنتها الرسائل ، وهو يعلم فقط أن "روى فرير" ، قد ترك السفن ، وتوجه إلى قشم لبناء القلعة ، وقد تحدث عن البقية .

بالنسبة للنقطة السابعة ، قال الشاهد إنه يعرف ذلك بحكم مشاهدته إذ إنه لأجل رفد تلك السفن بالمحاربين لجأ الحاكم لاستخدام رجال القانون ، الذين جابوا القرى يحثون الرجال على الانضمام للأسطول .

كما أصدر بيانات بالعفو عن الكثيرين من المندسين وإحضارهم من البر ، والحال نفسه بالنسبة للسجناء ، كي يأتوا للانضمام لأسطول التعزيزات ؛ وذلك بسبب النقص في عدد الرجال ؛ لأنه في تلك

السنة لم تأت أية سفن من البرتغال سوى سفينة "بنها دى فرانسا" التي وصلت متأخرة في شهر ديسمبر ، بعدما هلك معظم ركابها .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال الشاهد بالفعل كان "د .جواو دي سيلفيرا" و"د .مانويل دي أزفيدو" ، وهما من أكفأ القادة الذين يستحقون أن توكل لهم قيادة تلك السفن ، وهذا ما تم بالفعل بسبب شجاعتهم وتفانيهم في إنجاز العديد من الخدمات ، بل إنهما جديران بالتعيين في أرفع المناصب القيادية ، وصدر بحقهما عفو عن الجرائم والمخالفات التي سبق أن نُسبت لهما ، وتم نفيهما إلى هرمز ، والذهاب في السفن التي تحمل التعزيزات كما تقول المقالة .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، قال الشاهد إنه يعلم أن "د . مانويل دي أزفيدو" غادر مسقط ، بسبب أن المرض قد بات يهدد حياته ، وبسبب شدة الحرارة في البلاد . بالنسبة للنقطة العاشرة ، قال الشاهد أنه يعرف أن "د. مانويل دي أزفيدو" كان على علاقة طيبة مع "روى فرير" عندما كان في هرمز ، وأنه غادر هرمز ، فقط للأسباب المشار لها أعلاه في المقالة .

بالنسبة للنقطة الرابعة عشرة ، يعلم الشاهد عندما كان في هرمز أثناء وفاة "د . فرانسيسكو دي سوسا" تم فتح الرسالة الأولى حيث وجد اسم "ديوغو دي سوسا دي منسيس" ؛ ونظراً لغيابه فقد تم فتحت الرسالة الثانية التي ورد فيها اسم "سيماو دي ميلو" .

بالنسبة للنقطة السابعة عشرة ، قال الشاهد أن سفن "السانقويسيز" لم يكن في مقدورها الإبحار إلى هرمز في فترة مونسون شهر إبريل بالمؤن والرجال ، وقد لجأت سفن "جوليو مونيز" و"فيرناو دا كوستا دي

منسيس" "Fernao da Costa de Meneses" في أسطول "كونستانتينو دي سا" للاحتماء بالميناء بالرغم من أنها سفن كبيرة وقوية .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة ، أفاد الشاهد بعلمه بها بحكم رؤيته ، ووجوده آنذاك في هرمز ، ويقر أن تلك القلعة لم تسقط بسبب وجود أي نقص في الجنود أو المدفعية أو المؤن ؛ لأنه عندما تم الاستيلاء عليها كان بداخلها حوالي خمسمائة أو ستمائة رجل ، يقومون بنقل الموتى والمرضى وحتى الأحياء ، كما ثبت أيضاً وجود كميات وفيرة من المؤن والغذاءات .

بالنسبة للنقطة العشرين ، قال الشاهد إنه يعرف أن العدو قام بإنزال قواته دون أن يواجه بأية مقاومة كما كان ينبغي ، كما إن الخندق لم يتم فتحه ، وبالمثل لم تتخذ الترتيبات الضرورية كما جرت العادة في مثل مواقف الحصار تلك ، ويعتقد الشاهد أنه لو حدث ذلك فربما لم يتمكن العدو من الاستيلاء على القلعة ، الشاهد لم يعلم شيئاً عن الكلام المنقوش .

بالنسبة للنقطة الثانية والعشرين ، قال الشاهد صحيح إن الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" أرسل أربع سفن إلى قلعة هرمز ، محملة بالمحاربين برفقة "د . فرانسيسكو دي سوسا" ، وأرسل أيضاً مع "فرانسيسكو ريبيرو" سفينة "بيناس" وثلاث سفن أخرى محملة بالرجال والمؤن ، حدث أن فُقدت واحدة منها ، وتعرض لذكر السفينتين الأخريين ، ويمكن الاطلاع على النفقات من خلال الوثائق .

بالنسبة للنقطة الثالثة والعشرين ، أفاد بأنه يعلم أن "سيماو دى ميلو" أبحر للقلعة بعشر سفن ، وأن "كونستانتينو دى سا" قد أبحر من

هنا في ثلاث عشرة سفينة ، وعندما وصل إلى مسقط في طريقه إلى هرمز قابل مجموعة من الناس قادمين بعد سقوط القلعة .

من "ديو" تحركت سفينتان محملتان بالرجال والمؤن ، وقد عُثر على كميات وفيرة من المؤن في القلعة ، كما سبق أن ذكر ذلك .

أما بالنسبة لبقية ما ورد في المقال فقد ذكر ما يعلمه .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للنقطة السابعة ، أفاد الشاهد بعلمه بذلك ؛ لأنه كثيراً ما كان يبحر على طول ذلك الساحل ، ولأجل أن يتمكن "كونستانتينو دى سا" من الذهاب من مسقط إلى هرمز في فترة المونسون ، فإنه يحتاج إلى ثمانية أيام ، قبل أن يلتقوا بسفينة "كونستانتينو دى سا" التي غادرت مسقط ، وقد مضت حوالي ستة أو سبعة أيام على استسلام القلعة قبل مغادرتهم ، إنه يعرف ذلك بحكم وجوده هناك .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، أفاد بأنه قد ذكر كل ما يعرفه .

لم يزد الشاهد على ذلك كما لم توجه له أسئلة أخرى .

قد وقع الشاهد مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت هذا .

"دومينجوس مونتيرو" .

"فرانسيسكو رودريغير بيريرا" .

في التاسع عشر من شهر أكتوبر عام ١٦٢٤م ، في مدينة "غوا" هذه

وفي مقر إقامتي ، حصلنا على إفادات الشهود الذين مثلوا أمامنا ، وفيما يلي أسماءهم وكنياتهم :

أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت هذا . "فرانسيسكو دي سوسا دي كاسترو" . أحد النبلاء في بلاط صاحب الجلالة ، متزوج ومقيم في هذه المدينة ، يبلغ من العمر الستة والعشرين عاماً ، وقد حلف بالإنجيل المقدس ، بالنسبة للمنفعة ، يقول إنه ابن العم الثاني لزوجة "جورج دي البوكيرك" وإنه سوف يقول الحق .

رد المدعى عليه

بالنسبة للنقطة الثانية ، أفاد الشاهد بصحتها مبرراً ذلك بحكم وجوده ، وقد رأى أن الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" عندما تولى حاكمية المملكة كانت الأساطيل تحتاج بالفعل لعمليات البناء والتجهيز ، والإعداد باستثناء أسطول كانارا ، الذي كان جاهزاً ، وكان الحاكم قد أرسله .

يعلم الشاهد أن الحاكم قام بتجهيز أساطيل "الشمال" ، وأساطيل "مالبار" ، و"كيب كومورين" ، وأرسل كافة المساعدات إلى قلعة "ملقا" ، وقلعة هرمز ، التي كانت آنذاك في آمان تام .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، أفاد الشاهد بقوله إنه في بقية سنين حاكميته وبالرغم من عدم وصول أية سفن من البرتغال ، كان الحاكم قد تمكن من إعداد الأساطيل الضرورية للمملكة ، ولم يحدث قط أن لجأ إلى فرض ضرائب أو مارس أية ضغوط على عناصر صاحب الجلالة بأي شكل من الأشكال .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، أفاد الشاهد بصحتها ، وقال إنه يعلم أن الحاكم كانت له في العام التالي ، سفينتان عمل على تجهيزهما ؛ كي يرسلهما إلى "روي فرير" ، وكان بوده أن يفعل ذلك ، لكنه لم يرسلهما ؛ إذ ساد اعتقاد بأنهما سوف تواجهان أخطاراً جمة وسوف يعمل العدو على الاستيلاء عليهما ، لأسباب ذكرت في المقالة ، وقد سمع الشاهد تلك الأسباب التي صرح بها الحاكم ؛ ونظراً لهذه لم يعمل الحاكم على إرسال السفينتين إياهما .

بالنسبة للنقطة السادسة ، أفاد الشاهد بمعرفة ذلك ؛ لأنه معلوم أن "روي فرير" غادر السفن متجهاً إلى قشم ؛ لبناء القلعة التي ظل الحاكم يحتج دائماً بشأنها ، ولذلك كان قد وبخه بشدة على تصرفه ذلك ، وكتب له رسائل عدة ، كان الشاهد قد اطلع عليها .

الشاهد نفى علمه ببقية ما ورد في المقالة .

بالنسبة للنقطة السابعة ، أفاد الشاهد بصحتها ، وقال في ضوء حاجة الحاكم الماسة للجنود والبحارة ، فقد لجأ لاستخدام رجال القانون الذين خرجوا للبحث عن الرجال وجابوا المدن والقرى ، وأصدر الحاكم إشعاراً بالعفو عن المندسين والهاربين في البر ، وإلى نزلاء السجون ، شريطة الحضور للانضمام للأسطول .

قد حدث ذلك بسبب عدم قدوم السفن من البرتغال في ذلك العام باستثناء سفينة "بنها دا فرانسا" التي وصلت في الرابع عشر من شهر ديسمبر بعد أن هلك معظم ركابها .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال الشاهد إن ذلك صحيح ، وإن قائدي

السفينتين "د . مانويل دى أزفيدو" و"د .جواو دا سيلفيرا" باعتبارهما الرجلين المناسبين لتولي هذين المنصبين ، قد أثبتا جدارتيهما في مهام قيادية في خدمة صاحب الجلالة ، وبسبب قبولهما بتولي قيادة السفينتين ، فقد صدر العفو عنهما عن الجرائم والمخالفات المنسوبة لهما وفق ما أشار إليه العفو الصادر بحقهما .

بالنسبة للنقطة الحادية عشرة ، أفاد الشاهد بصحتها وذكر أن الحاكم بمجرد علمه أن "روي فرير" تخلى عن السفن ، واتجه لبناء القلعة في قشم ، عمل فوراً على إرسال مساعدات له في الأسطول البرتغالي .

بالنسبة للنقطة الثانية عشرة ، أفاد الشاهد بمعرفته أن الحاكم دعا لاجتماع المجلس لمناقشة موضوع المساعدات ، وتم الاتفاق على إرسالها واختيار "سيماو دي ميلو بيريرا" قائداً على السفن التي ستحمل تلك المساعدات .

كان "سيماو" قد عمل في السنة الماضية قائداً في "مالبار" ، وتم اختياره في تلك السنة لتولي نفس المنصب .

ذكر الشاهد إنه يعلم أن "سيماو" تلقى الأمر لأخذ المساعدات التي اشتملت على عشر سفن ، كي يسلمها إلى "روى فرير" ، كما قام بتنفيذ كل ما أمر به الحاكم . بالنسبة للنقطة الثالثة عشرة ، أفاد الشاهد أنه يعلم أن هناك سفينتين أخريين أبحرتا من "ديو" ، تحملان مجموعة من الرجال والمؤن لأجل القلعة المذكورة .

بالنسبة للنقطة الرابعة عشرة ، قال الشاهد إنه يعلم بأمر الحاكم الذي صدر "لديوغو دى سوسا دي منسيس" بمرافقة "سيماو دى ميلو"

الذي أُعطى تلك المساعدات للقلعة والذهاب ؛ كي يتولى أمر القلعة بعد "د . فرانسيسكو دي سوسا" ، ولم يعرف قط في الهند من تم تعيينه في القلعة بأفضلية على "ديوغو دي سوسا" .

يعلم أن "ديوغو دي سوسا" لم يذهب بسبب المرض ، وعلم أنه لظروف وفاة "د . فرانسيسكو دي سوسا" ، فقد تم فتح الرسالة في هرمز ، ووجد اسم "ديوغو دى سوسا" في الرسالة الأولى ، لكن في ظل غيابه في ذلك الوقت ، فقد تم فتح الرسالة الثانية ، ووجد اسم "سيماو دى ميلو" كخليفة .

بالنسبة للنقطة الخامسة عشرة ، قال الشاهد إنه يعلم أن الحاكم تلقى في شهر مارس أخباراً ، تفيد أن قشم تعاني من ضغط شديد ، وعليه قرر في المجلس ضرورة إرسال مساعدة إلى "روي فرير" ، وقد تم اختيار "كونستانتينو دى ايسا" ؛ لأخذ المساعدات تلك .

يعلم أنه لو كان تقرر إرسال مراكب "السانقويسيز" في ذلك الوقت ، وأنها لواجهت هذه المراكب خطورة بالغة ، ولاستحال وصولها إلى وجهتها ؛ لأن مراكب الغاليوت التي أرسلت وبالرغم من قوتها إلا أنها واجهت صعوبات جمة ، فبالنسبة لسفن "السانقويسيز" الأربع التي أرسلت مجتمعة عادت اثنتان منها على الفور ، ولم تتمكن البقية من العبور إلا بعدما تم قطرها بواسطة "البيناس" ، ولولا الأخيرة هذه لما تمت تلك الرحلة .

بالنسبة للنقطة الثامنة عشرة ، قال الشاهد إنه سبق أن تحدث عنها ، ولا علم له بما دار في المجلس .

على العموم أُعيدت "السانقويسيز" إلى داخل الحاجز حيث انتقل الكثير في الرجال ممن كانوا على متنها إلى أسطول "كونستانتينو دي سا" .

أما "سانشو دي توفار" و"جيرونيمو دي فيجويرا" اللذان يفترض أنهما قباطنة في سفن "السانقويسيز" ، فقد انتقلا لقيادة السفينتين في أسطول "روي فرير" ، وأخذا كل الجنود ، والبحارة الذين كانوا على متن سفن "السانقويسيز" .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة ، أفاد الشاهد بعلمه بذلك ؛ لأنه كان قد رافق المجموعة تلك وتبين استحالة إبحار "السانقويسيز" في ذلك الوقت ، وأن اثنتين من سفن أسطول "كونستانتينو" قد لجأتا للسند بقصد الحماية ، ويعتقد أن إحداهما هي سفينة "جوليو مونيز" والأخرى هي سفينة "جواو دا كوستا دى منسيس" في "الشمال" ، ولم تتمكنا من العبور بسبب رداءة الطقس . أما "السانقويسيز" ، فإن عودتهما باتت أمراً مؤكداً جداً .

بالنسبة للنقطة الثامنة عشرة ، أفاد الشاهد بصحتها إذ أن أخبار سقوط قشم ، وحصار قلعة هرمز ، قد وردت في هذه المدينة في الثالث والعشرين من شهر مارس ، أي وقت إعداد وتجهيز أسطول "كونستانتينو دي سا" .

في ظل هذه الأخبار تم رفد الأسطول ، بمزيد من السفن والمحاربين مثل القائد "بنتو دي موريس" و"condestable mor" ، ورافق ذلك تسريع شديد في تجهيز الأسطول لكن برغم ذلك لم يغادر هذا

الأسطول إلا بعد مضي تسعة أيام من وصول الأخبار في الثاني من شهر إبريل . في الحقيقة من المعلوم أن قلعة هرمز قد استسلمت للأعداء للإنجليز والفرس في الثاني أو الثالث أو الرابع من شهر مايو .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة ، قال الشاهد إن ذلك أمر معلوم لدى الجميع ، وقد سمع بشكل عام من كل شخص قدم من هناك أن القلعة قد استسلمت للأعداء ، ولكن لم يكن ذلك بسبب نقص في المؤن أو المحاربين ، إذ تبين أن كل شيء كان موجوداً داخل القلعة .

بالنسبة للنقطة العشرين ، قال الشاهد إنه سمع أن العدو عندما قام بإنزال قواته في قلعة هرمز لم يواجه أية مقاومة دفاعاً عن القلعة ، وبالمثل لم تكن هناك أية متاريس أو خنادق أو أية عوائق لصد العدو .

وإنه يعلم أيضاً من الأسباب المعلومة لدى الجميع أن خندق القلعة لم يُفتح قط ، وأنه يوجد في المدخل نقش يمثل وصية "أفونصو دي البوكيرك" حسبما وصفته المقالة .

بالنسبة للنقطة الحادية والعشرين ، يقول إنه يعلم ذلك كأمر معلوم ، فالإنجليز والفرس لم يدخلوا القلعة عنوة بقوة السلاح ، وإنما دخلوها من بوابات القلعة التي فتحت أمامهم .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للنقطة الثانية ، قال الشاهد إنه سبق أن ذكر أن القائد أمر "ديوغو دي سوسا" كي يرافق "سيماو" وإنه لا يعرف شيئاً عن البقية .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، قال الشاهد إنه يعرف أن "ديوغو دى

سوسا" تلقى استبانة قضائية من الحاكم بحيث لا يُجبر على تولي أمر قلعة هرمز إلا بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ويشير للاستبانة القضائية .

بالنسبة للنقطة السادسة ، أشار الشاهد بقوله إن "كونستانتينو دى ايسا" عندما غادر مسقط ؛ متجهاً إلى هرمز دون أن يعلم بأخبار سقوط هرمز تخلف "ديوغو دي سوسا" في مسقط بحجة القيام ، بإصلاح سفينته التي كانت تعاني من أضرار أصابتها بسبب رداءة الأحوال الجوية ، وحاجة تلك السفينة إلى الصيانة ، وأنه على علم بذلك لأنه كان قد أبحر في تلك السفينة .

بالنسبة للنقطة السابعة ، أفاد الشاهد أنه في نفس اليوم الذي أبحر "كونستانتينو" من هرمز ، وبعد أن قطع مسافة قصيرة نوعاً ما عند جزيرة "فكتوريا" كان قد التقى سفينة بيناس ، وهي تحمل مجموعة من الرجال العائدين بعد استسلام قلعة هرمز .

هو على علم بذلك إذ يعرف أن الرحلة من مسقط إلى هرمز تستغرق حوالي ستة أو سبعة أيام ، ويعلم أنه قد استغرقت ذلك الوقت بالإضافة إلى الزمن الذي تستغرقه في صعود الركاب في السفن .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، ذكر الشاهد أن كل العجلة الممكنة اتخذت من طرف الحاكم لإعداد وتجهيز الأسطول ، وأن "كونستانتينو دى سا" مكث ثمانية أيام في مسقط ، وأنه لو لم يفعل ذلك لما تمكن أيضاً من الوصول إلى هرمز في الوقت المناسب لتقديم أية مساعدة .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، قال الشاهد صحيح إن الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" كان واعياً جداً في اتخاذ الإجراءات بخصوص المساعدات

والمؤن ، وإرسالها إلى جميع قلاع المملكة ، وأيضاً بشأن إعداد وتجهيز الأساطيل ، وكان يؤدى واجبه بكل كفاءة واقتدار قل أن تتوفر في حاكم في مثل عمره

في ظروف شهدت معاناة الخزينة الملكية من الفقر والإفلاس بالرغم من حاجتها الماسة للكثير من الضروريات ، وهي بلا حول ولا قوة . اكتفى الشاهد بهذه الأقوال ولم يزد على ذلك ، ومن ثم وضع توقيعه مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت هذا .

"فرانسيسكو دي سوسا دي كاسترو" .

"فرانسيسكو رودريغير بيريرا" .

*

"جاسبار بيريرا" "Gaspar Perriera" ، أحد النبلاء في بلاط صاحب الجلالة حدودي ويبلغ من العمر الثالثة والستين عاماً حلف بالإنجيل المقدس . أما بخصوص المنفعة فلم يقل شيئاً .

رد المدعى عليه

بالنسبة للنقطة الخامسة ، قال الشاهد إن الحاكم أرسل في شهر إبريل عام ١٦٢١م سفينتين غاليوت كمساعدة "لروي فرير" بعد تزويدهما بالمحاربين والأسلحة والذخائر .

بالنسبة للنقطة السادسة ، قال الشاهد إن الحاكم قد تحدث في تلك المناسبة أو بعدها بقليل مع الشاهد ، وكان مستاءً من تصرف "روي

فرير" ، وقد ذكر أنه كتب إليه يبلغه بضرورة مغادرة قلعة قشم في الوقت الراهن ؛ لأن ذلك ليس بالوقت المناسب ؛ كي يكون موجوداً هناك ، وأبلغه أنه لن يتمكن من مساعدته بأي شيء .

من المؤكد أن الشاه سوف يعترض على ذلك ، وأنه نتيجة ذلك لن ترد أية عائدات إلى مركز الجمارك هناك ، وبدون ذلك ، فإن كل شيء سوف يندر وجوده .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال الشاهد إن "د .جواو دى سيلفيرا" و"د . مانويل دى أزفيدو" قد توليا قيادة السفينتين ، وإنهما بالفعل من القادة الذين كشفوا عن قدرات قيادية معتبرة في خدمة صاحب الجلالة في جميع المناصب التي أسندت لهما .

يعلم أنهما قد أُدينا ببعض التهم ، وقد تم إرسالهما للعمل في ذلك المضيق حيث سيجدان كل الاحترام ، ويمكن أن يلاحظ ذلك من خلال العفو الذي ذُكر في المقالة .

بالنسبة للنقطة الثانية عشرة ، قال الشاهد إنه يعرف أن "سيماو دى ميلو" قد اختير في المجلس ؛ كي ينقل تلك التعزيزات إلى هرمز ، وفي العام الماضي كان المذكور "سيماو" قد عمل قائداً في أسطول "ملبار" ، وقد قيل إنه تم اختياره ثانية للذهاب إلى "مالبار" في نفس ذلك العام ، ويعرف أن "سيماو دى ميلو" ، قد أبحر في عشر من السفن محملة بالمحاربين والمؤن ، كي يسلمها إلى "روي فرير" .

بالنسبة للنقطة الرابعة عشرة ، قال الشاهد إنه يعلم أن الحاكم أمر "ديوغو دى سوسا" بمرافقة "سيماو دي ميلو" ، ووجهه بأن يتخذ

الإجراءات اللازمة في تلك القلعة فيما يختص بعملية الدفاع عن القلعة ، خاصة وهو الشخص الذي سوف يورثها ، ويعلم إنه لم يذهب إلى هناك متعللاً بالمرض .

الشاهد أفاد بعدم علمه عن بقية ما ورد في المقالة .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة ، قال إنه سمع بشكل عام ، وهذا أمر معلوم لدى الجميع ، إن قلعة هرمز لم تسقط بسبب القصور أو النقص في الأسلحة والذخيرة أو الجنود أو الإمدادات ؛ إذ إنه في ذلك الوقت تم تزويدها بكل شيء من المتطلبات .

بالنسبة للنقطة الحادية والعشرين ، أفاد بمعرفته بذلك قائلاً إنه من المعروف للجميع أن الفرس والإنجليز عندما احتلوا أحد حصون القلعة كانوا قد دخلوا من خلال بواباتها ، وذلك بموجب اتفاقية تمت مع المحاصَرين ودون أية مقاومة .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للنقطة الأولى ، أفاد الشاهد أنه قد ذكر كل ما يعرفه .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، قال الشاهد إنه يعلم بذلك إذ إنه سمع ذلك من "ديوغو دى سوسا" نفسه ، والحاكم وبعض الأعضاء في المجلس ، وعندما ذهب "ديوغو دى سوسا" ؛ كي يطلب من الحاكم أن يرسله إلى هرمز ، بعدما وردت أخبار من "شول" تفيد بوفاة "د . فرانسيسكو" وأن "ديوغو دي سوسا" ، أنه لا يحب بدوره أن يذهب إلى هناك .

ولا يجب أن تؤول إليه ؛ إذ إنه كان قد رفض الذهاب إليها من قبل

عندما أمره الحاكم ، ويعلم الشاهد أن الحاكم كان قد أرسل مؤخراً "ديوغو دي سوسا" للعمل في القلعة .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، قال الشاهد إنه سمع بما أشارت له المقالة ، غير أنه لا يعلم ما إذا كان ذلك مؤكداً .

بالنسبة للنقطة السادسة ، ذكر أنه قد سمع بذلك عندما كان الكابتن "كونستانتينو دى سا" مبحراً في طريقه من مسقط إلى هرمز ، وقبل أن تُعرف أخبار سقوط القلعة كان "ديوغو دى سوسا" قد تخلف في مسقط ، مشيراً إلى حاجة سفينته للصيانة وعمليات الإصلاح .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، أكد الشاهد صحتها ، وأشار إلى أن الحاكم اتخذ كل الإجراءات الضرورية ؛ لأجل خلق حكومة سليمة صالحة وفق ما تسمح به الإمكانات ومصادر الدخل في المملكة ، ووفق ما تسمح به حالته الصحية ، خاصة وقد تقدم به العمر ، وعلى كل فهو قد أنجز الكثير بل أكثر مما كان متوقعاً من حاكم في مثل عمره .

لم يزد الشاهد على ذلك ، ومن ثم وضع توقيعه مع المستجوب .

أنا "ديوغو دياس دى لوبو" قمت بكتابة ما ذُكر .

"جاسبار فرانسيسكو" " Gaspar Francisco" .

"فرانسيسكو رودريغيز" .

الالتماس

من "جورجي دي البوكيرك" .

في الثالث والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٢٤م ، وفي مدينة "غوا" هذه أنه في ظل الحاجة للحصول على إفادة أمانة السر في القضية التي رفعت ضده بواسطة وكيل السلطة الملكية ، فيما يتعلق بفقدان قلعة هرمز ، فإنه يقدم التماساً لسعادتكم ؛ كي تصدروا الأمر للأمانة لإعطاء الإفادة في القضية المذكورة ، وكل ما يعلمه عن المقالات التي سوف ستكون مجال التحقيق ، وتزويده بكل ما يمكن أن يكون دليلاً مفيداً في القضية ، وذلك كي تأخذ العدالة مجراها .

التنفيذ

يمكـــن للســـيد "أفـــونـــسو رودريـغـــيز دي جـــيفـــارا" "Afonso Roderigues de Givara" ، أمين هذه المملكة ، أن يشهد فيما ذكره مقدم الالتماس .

"غوا" الثامن والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٦٢٤م- الكونت "أفونصو رودريغيز دي جيفارا" ، أمين السر في هذه المملكة ، يبلغ من العمر الحادي والخمسين عاماً ، حلف على الإنجيل المقدس ، وفيما يتعلق بالمنفعة لم يذكر الشاهد أي شيء .

رد المدعى عليه

بالنسبة لأولى النقاط المثارة ، أفاد الشاهد أنه يعلم أن الحاكم "فيرناو دى البوكيرك" تولى أمر حاكمية هذه المملكة في الوقت الذي ورد ذكره ، وفي ذلك الوقت كانت مصادر المملكة قد بلغت درجة كبيرة من التدهور والانحطاط ، فمركز جمارك هذه المدينة قد تم رهنه لمجموعة من التجار

ورجال الأعمال في فترة حكم "الكوند دي رودندو" ، وذلك لقاء قرض مالي كبير .

بالنسبة للنقطة الثانية ، أقر الشاهد بعلمه أن الحاكم قام في تلك السنة بإرسال مجموعة الأساطيل التي جرت العادة لإرسالها سنوياً ، ويمكن التأكد من أن البقية سوف يتم التثبت منها من واقع بيانات لائحة السجل .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، قال الشاهد إنه علم بها وبالرغم من غياب سفن البرتغال عن مسرح الأحداث إلا أن الحاكم تمكن من تكوين وتجهيز الأساطيل العادية في المملكة دون اللجوء إلى فرض أية رسوم على الأهالي ؛ لأجل الإنفاق على تلك الأساطيل .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، قال الشاهد إنه يعلم فقط أنه لو سمح لتلك السفن بالإبحار في ذلك الوقت الذي أشارت له المقالة لكانت قد تعرضت لأخطار جمة ؛ لأنها كانت ستلتقي حتماً بسفن العدو الموجودة حينها في سورات .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، أقر الشاهد بأنه عرف ذلك مؤخراً إذ في موسم المونسون التالي قرر الحاكم إرسال سفينتين ، وبالفعل قام بتنفيذ ذلك في شهر إبريل عام ١٦٢١م ، حيث حملت السفينتان أسلحة جيدة من قطع المدفعية تتكون من خمسة وستين مدفع من النحاس ، وآليات عسكرية أخرى ، ومجموعة ضخمة من المؤن والغذاءات لأجل القلعة ، هذا بالإضافة إلى كميات وفيرة من الأخشاب والمواد الأخرى التي تستخدم في عمليات

الإصلاح والصيانة ، وبالفعل قصد بتلك المواد إجراء صيانة لأسـطول "روي فرير" ، وذلك بعد الضرر الذي أصابه في اشتباكه ضد الهولنديين .

أما بالنسبة للنقاط الأخرى ، فإنه لم يذكر شيئاً .

بالنسبة للنقطة السادسة ، قال الشاهد إنه يعلم أن الحاكم ضمّن أمره "لروي فرير" في رسالة حملتها له تلك السفن أبلغه فيها أنه لا يجب عليه العمل على مساعدة قشم ، مبيناً له أن هذا الأمر ينطوى على سلبيات كبيرة ، وقد بين له مدى حجم الخطر الذي يحيط "بهرمز" ، وبالرغم من أن "روي فرير" ذكر أن بحوزته أمراً من قبل جلالته ببناء القلعة في قشم إلا أن نفس هذا الأمر تضمن أيضاً شرط اختيار الوقت المناسب لإنجاز العمل .

يعتقد الشاهد أن خسارة قلعة هرمز ، قد نتجت بسبب بناء القلعة في قشم ، وانهماك "روى فرير" في عمل تلك القلعة ، وتخليه عن سفنه ، وهذا هو الأمر الذي كان الحاكم قد حذره من الخوض فيه ، عموماً كل ذلك يمكن التأكد منه من خلال الأوامر التي أشار لها .

بالنسبة للنقطة السابعة ، قال الشاهد صحيح إنه لأجل رفد السفن بالمحاربين ، لجأ الحاكم إلى استخدام رجال القانون ، كي يضغطوا على أهالي المدن للموافقة على الانضمام كجنود محاربين وبحارة للأسطول ؛ وذلك نظراً للنقص الكبير وحاجة الأسطول لطاقاتهم ، إذ في تلك السنة لم تصل أية سفن من البرتغال سوى سفينة "بنها دا فرانسا" في يوم الرابع عشر من شهر ديسمبر ، غير أنها وصلت متأخرة جداً بعد أن هلك معظم من فيها من الركاب .

يعلم أيضاً عن صدور إشعارات بالعفو عن المندسين الموجودين في البر لأجل إحضارهم للانضمام لتلك السفن .

بالنسبة للنقطة الثامنة ، قال الشاهد عن كل من "د . جواو دا سيلفيرا" و"د . مانويل دى أزفيدو" اللذين تم اختيارهما قائدين في تلك السفن أنهما شخصان جديران بمثل تلك المناصب القيادية ، وإن "د. مانويل" سبق بالفعل أن تقلد مناصب قيادية عليا في الحرب ، وقد صدر بحقهما عفو من مجلس القصر عن مخالفات سابقة نسبت لهما ؛ وذلك لأجل الخدمة في تلك المناسبة في تلك المناصب .

بالنسبة للنقطة التاسعة ، أفاد الشاهد أنه يعلم أن "د . مانويل دي أزفيدو" قد غادر هرمز بسبب إصابته بمرض بات يهدد حياته حسبما رُوي .

بالنسبة للنقطة الحادية عشرة ، أقر الشاهد بصحتها وأشار إلى أن الحاكم بمجرد أن علم ، أن "روي فرير" ، قد هجر السفن وآثر العمل في بناء قلعة قشم سارع فوراً بإرسال دعم له بواسطة المراكب العاملة بالتجديف .

بالنسبة للنقطة الثانية عشرة ، ذكر الشاهد أن المجلس عقد اجتماعاً بشأن إرسال المساعدات وتم الاتفاق على إيجابية إرسالها ؛ حيث اختير لتنفيذ هذه المهمة القائد "سيماو دى ميلو بيريرا" ، وقد خدم هذا القائد في قلعة "مالبار" في العام الماضي ، ومن ثم أعيد تعيينه في نفس منصب القائد في نفس العام .

بالتالي أبحر في عشر سفنه مزودة بكل ما يلزم من المؤن والرجال والأسلحة ؛ كي يسلم هذه المساعدات إلى "روي فرير" .

بالإضافة إلى ذلك تقرر بقاءه في هرمز في منصب مساعد . بالنسبة للنقطة الثالثة عشرة ، أقر الشاهد بأنه يعلم أن الحاكم كتب إلى جميع القادة في المدن وفي "الشمال" بضرورة تقديم المساعدات إلى هرمز ما أمكنهم ذلك ، وبموجب ذلك غادرت من "ديو" سفينتان محملتان بالجنود إلى هرمز .

بالنسبة للنقطة الرابعة عشرة ، أفاد الشاهد بعلمه أن الحاكم أمر "ديوغو دي سوسا دي منسيس" بمرافقة "سيماو دى ميلو" كي يساعده في أمور القلعة ، وأن يكون ماثلاً لأنه قد تم تعيينه في منصب الحاكمية بعد "د . فرانسيسكو دى سوسا" إذ إنه الشخص الثاني في الهند الذي يتم تعيينه على حاكمية تلك القلعة .

إلا أن "ديوغو دى سوسا" تخلف عن الذهاب متعللاً بالمرض ، ولقد عُرف كما يعرفه هو أيضاً ، عند فتح الرسالة الأولى في هرمز ، وردت تسمية "ديوغو دي سوسا" لأن الحاكم قد أمر بذلك ؛ لكن نظراً لعدم وجوده هناك وقتها ، فقد تم فتح الرسالة الثانية التي حملت اسم "سيماو دى ميلو" ، وبالتالي أصبح الأخير خلفاً للراحل "د . فرانسيسكو دى سوسا" .

بالنسبة للنقطة الخامسة عشرة ، قال الشاهد إنه فيما يختص بالمقالة وانعقاد المجلس بذلك الخصوص ، فإن قرارات ورؤى المجلس سوف تثبتها الوثائق التي لم يعد يتذكرها الآن .

عموماً الشاهد يعلم أنه في هذا الوقت ليس بمقدور سفن "السانقويسيز" في ظل هذه المونسون أن تتمكن من القيام بالرحلة ، وعبور الخليج سيما في موسم رياح الويسترليز التي تنشط في هذه

الظروف بقوة ؛ إذ إنها سفن لا تقوى على حمل المؤن والإبحار لأكثر من أيام قليلة . أما بالنسبة للسفن الأربع التي أرسلت ، فإن اثنتين منها قد عادتا بمجرد عبورهما الحاجز بالرغم من أنها حملت القليل من الجنود والمؤن .

بالنسبة للنقطة السادسة عشرة ، ذكر الشاهد إنه تحدث عنها مسبقاً بما يعلمه ويجب الرجوع إلى سجلات المجلس وتقاريره في ذلك الشأن .

يعلم أنه قد صرف النظر عن سفن "السانقويسيز" ، وتم نقل العديد ممن كانوا على متنها إلى أسطول "كونستانتينو دي ايسا" . كما إن قادة سفن "السانقويسيز" تحولوا أيضاً إلى ذلك الأسطول للذهاب إلى هرمز .

بالنسبة للنقطة السابعة عشرة ، أفاد بصحتها وقال إن السفينتين في أسطول "كونستانتينو دى ايسا" الوارد ذكرهما في المقال قد عجزتا عن الإبحار .

بالنسبة للنقطة الثامنة عشرة ، أفاد الشاهد أن التجهيزات والترتيبات الخاصة بأسطول "كونستانتينو" قطعت شوطاً بعيداً خاصة بعد وصول أخبار سقوط قلعة قشم ، ويعتقد أن ذلك كان في أحد أيام الأسبوع المقدس ، وفي ظل هذه الأخبار تم تسريع العمل في إعداد الأسطول ، وتم رفده بمزيد من الشخصيات العسكرية البارزة وفق قرار من المجلس .

قد غادر الأسطول في الثاني من شهر إبريل بعد تجاوزه صعوبات جمة من نقص في عدد البحارة وقصور في بعض الأشياء الأخرى .

بالنسبة للنقطة التاسعة عشرة ، قال الشاهد إنه بشكل عام يُعرف

في هذه المدينة أن سقوط هرمز لم يكن بسبب نقص في الرجال ؛ لأنها بالفعل زودت بعدد كبير منهم وبمتطلبات وفيرة لأجل الدفاع عنها .

بالنسبة للنقطة العشرين ، قال الشاهد إنه بشكل عام يُعرف في هذه المدينة أن العدو قام بإنزال قواته في جزيرة هرمز ؛ لأنه لم يجد من يوقفه عند حده أو منع ذلك الإنزال ، وقد عرف أيضاً أنه لم يتم إلى اتخاذ أية إجراءات وقائية كما يحدث في حالات الحرب ، وبالمثل لم يعمد إلى فتح خندق القلعة بالرغم من وجود العديدين ممن يتذكرون ذلك ، ويُصرحون أنه إذا ما كان قد فتح ذلك الخندق ؛ فإن الحصار سوف يستمر لمدة أطول من ذلك .

بالنسبة للنقطة الحادية والعشرين ، من المعروف تماماً أن الفرس والإنجليز دخلوا قلعة هرمز بموجب اتفاقية أُبرمت بين الطرفين ، ودخلوا عن طريق بوابات القلعة وليس من خلال فتحات الأسوار . بالنسبة للنقطة الثانية والعشرين ، السجلات العامة كفيلة بتأكيد ذلك .

بالنسبة للنقطة الثانية والعشرين ، يقول الشاهد هذه النقطة تؤكدها الوثائق إذ من خلالها سوف يتبين للجميع ما تم إرساله من أساطيل ومؤن وإمدادات ، وهو يعلم أنها كثيرة ومتعددة ، وإن الحاكم لم يدخر جهداً في إنجازها بدافع حماسه لخدمة صاحب الجلالة .

لم يحدث أي إهمال أو تقصير من جانبه ، كما أنه لم يفشل قط في الاستجابة لأي شيء طلب منه لأجل خدمة صاحب الجلالة ، وقد لوحظ جدية الحاكم في الوفاء بالتزاماته ، وقد فعل كل ما طلب منه وأكثر بالرغم من تدهور حالته الصحية وتقدمه في العمر .

الرد على مزاعم الادعاء

بالنسبة للنقطة الأولى للادعاء ، أشار الشاهد بأنه سبق أن ذكر أن الحاكم أمر "ديوغو دى سوسا" بالذهاب إلى هرمز برفقة "سيماو دي ميلو" ، ويعلم أنه من خلال تصرفه أن "ديوغو دى سوسا" لا يرغب في الذهاب في ذلك الوقت .

يعرف أن صاحب الجلالة يحظر خلافة أي قائد للآخر ، وبالمثل إعطاء أية رسالة له لعمل ذلك إلا بعد أن يكمل مدة حاكميته المقررة بثلاث سنوات .

ولقد أصر "ديوغو دي سوسا" على الحاكم ألا يعطيه رسالة كي يخلف "د . فرانسيسكو" الذي لم تنقض على مدة حاكميته آنذاك أكثر من عام ونصف في قلعة هرمز .

بالإضافة لذلك ذهب "ديوغو دي سوسا" ؛ كي يخبر "فيرديناند كرون" ، وهذا ما قاله الأخير للشاهد بصفته وكيل ومستشار "د . فرانسيسكو" أن الحاكم يضغط عليه ، كي يذهب إلى هرمز كي يخلف "د . فرانسيسكو" في قبطانية تلك القلعة ، وقد خشي على نفسه مما يخالج نفوس الناس هناك من عدم الرضا والشك بحيث يصبح "ديوغو" الحاكم التالي ، ويفعل "فردناند" ما يحلو له في ذلك الأمر .

لقد أجاب "فرديناند كرون" على ذلك إنه لا يوجد ما يبرر عدم موافقته على الذهاب إلى هرمز ؛ لأن "د .فرانسيسكو" سوف يكون سعيداً جداً بوجود العديد من النبلاء مثله في القلعة في مثل ذلك

الوقت لمساعدته في تذليل المشاكل التي تواجهه ، وعندما رأى الشاهد محاولات "ديوغو دي سوسا" لمعالجة هذه الأمور استنتج عدم رغبته في الذهاب لتقديم لمساعدة لتلك القلعة ، بالرغم من كونه الشخص الأكثر التزاماً عن غيره لفعل ذلك في كل أنحاء المملكة .

بالنسبة للنقطة الثانية ، قال الشاهد صحيح إن الحاكم أرسل احتجاجاً لصاحب الجلالة بشأن عدم ذهاب "ديوغو دى سوسا" لمساعدة قلعة هرمز ؛ تنفيذاً لأوامره ، وقد أقر جلالته ذلك الاحتجاج .

بالنسبة للنقطة الثالثة ، قال الشاهد صحيح إن الحاكم عندما تلقى أخبار وفاة "فرانسيسكو دي سوسا" ، عمل فوراً على منح "ديوغو دي سوسا" كل الصلاحيات والأوامر القضائية ؛ كي يتولى قبطانية هرمز بالرغم مما قاله قبل وفاة "د .فرانسيسكو" .

بالنسبة للنقطة الرابعة ، كان الشاهد قد تحدث عنها سابقاً .

بالنسبة للنقطة الخامسة ، أفاد بعلمه أن "ديوغو دى سوسا" قدم الالتماس المذكور ، وما ورد في المقالة سوف يتم الاطلاع عليه من خلال الالتماس والاستنابة القضائية .

بالنسبة للنقطة السادسة ، من المعروف أن "ديوغو دي سوسا" عندما ذهب برفقة "كونستانتينو دى ايسا" ، وغادر "كونستانتينو" مسقط متجهاً إلى هرمز تخلف "ديوغو" عن هذه الرحلة ، وبقي في مسقط مع سفينته وأبحر "كونستانتينو" وحده ، ويأتي هذا مناقضاً للعرض الذي قدمه في التماسه المذكور في المقالة والذي صدر بموجبه الأمر القضائي .

بالنسبة للنقطة السابعة ، كان الموجودون هناك قد تحدثوا عنها .
بالنسبة للنقطة الثامنة ، أشار بقوله إنه قد تحدث بشأنها مسبقاً .
بالنسبة للنقطة التاسعة ، أشار إنه تحدث عنها قبل ذلك .
اكتفى الشاهد بهذا القدر ، ومن ثم وقع على أقواله مع المستجوب .
أنا "ديوغو دياس لوبو" كتبت ذلك .
"افونسو رودريغيز دي جيفارا" .
"فرانسيسكو رودريغيز بيريرا" .

الالتماس

الالتماس الذي قدم بواسطة "جورجي دى البوكيرك" لقد أثار كل من "جورجي دى البوكيرك" وورثة آخرون للراحل "فيرناو دي البوكيرك" قضية خلافية في محكمة القضايا مع وكيل السلطة بخصوص خسائر مالية مُطالب بها من مال المتوفى .

حيث قيل إنه قد ثبت أن الخزينة الملكية تحملت هذا العبء في شكل معدات أرسلتها إلى هرمز ، وكان السبب في ذلك المذكور "فيرناو دي البوكيرك" الذي حكم فيما بعد هذه المملكة ، وكانت القضية على وشك التسجيل لأجل المزيد من البراهين والأدلة عندما ظهرت رغبة جلالته لمعرفة تفاصيل القضية وقضايا مدينة أخرى .

بالإشارة إلى تقرير الإقامة بالنسبة للحاكم المذكور لا يستبعد وجود تحامل من جانب المحققين الذين تناولوا هذا الأمر الذي أعد ؛ كي يرسل إلى صاحب الجلالة في البرتغال فيما يتعلق بالمحاكمة .

بما أنه من مصلحة المتوسلين الذين ضُمنت شكوكهم في ملفات أرسلت لجلالته للمصادقة عليها بخصوص ما زُعم بشكل أساسي في هذه القضية ، فإنه يطلب من سيادتكم التكرم بإصدار أمر إلى كاتب هذه القضية ؛ كي يصدر نسخة من الإجراء ومن جميع وثائق الإثبات والشهادات ذات الصلة ؛ كي يتم إرسالها جميعاً للبرتغال وبالمثل إرسال الملفات الخاصة بتلك الشكوك بواسطة أمر سيادتكم ، وسوف يعتبر ذلك من تفضلكم .

التنفيذ

أمر سعادة قاضي القضاة في المملكة بإصدار نسخة من محاضر وتقارير محكمة الفصل في القضايا ، كي تضاف إلى الوثائق الخاصة بالطعن ؛ كي تُرسل جميعها إلى صاحب الجلالة .

"غوا" ، الرابع عشر من شهر يناير عام ١٦٢٥م . "كوندي" .

تنفيذ أمر قاضي القضاة

يجب أن يقوم الكاتب "ديوغو دياس لوبو" بعمل نسختين من هذه الوثائق ، وذلك وفقاً لما ورد في مرسوم سعادة اللورد نائب الملك .

"غوا" ، الخامس عشر من شهر يناير عام ١٦٢٥م . "بنتو" .

الالتماس

الالتماس المقدم من "جورجي دي البوكيرك"

يطلب الملتمس "جورجي دي البوكيرك" من سيادتكم عمل خمس

نسخات من محاضر القضية ، وضرورة نسخ ، وإرفاق الافادات التي تم تقديمها بحكم صلتها بنفس الموضوع .

التنفيذ .

يجب أن يتم تنفيذ كل ما يطلبه الملتمس .

"غوا" ، الثالث والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٥م . "بنتو" .

الالتماس

الالتماس المقدم من "جورجي دي البوكيرك"

من أجل مصلحة "جورجي دي البوكيرك" ، وقضيته العادلة ؛ ولكي يدافع عن نفسه في الدعوى المقامة ضده بواسطة وكيل السلطة الملكية في محكمة القضاء فيما يتعلق بالخسائر التي وقعت على كاهل هذه المملكة من جراء سقوط قلعة هرمز إبان فترة حكم والده الراحل "فيرناو دي البوكيرك" يطلب إفادة من أمانه السر عن القرار الصادر في المجلس .

عندما تم اختيار "سيماو دى ميلو" للذهاب لمساعدة "روي فرير" في هرمز الذي كان محاصراً في قشم ، ونسخة أخرى من رسالة الحاكم التي رشح .

بين اسم الشخص الذي سيخلف "د . فرانسيسكو" ونسخة أخرى من القرار المتخذ من المجلس الموقر في الثامن أو التاسع من شهر مارس عندما وردت أخبار تعرض "روى فرير" للحصار والضغط في قشم ووفاة المدعو "د .فرانسيسكو" ، والتي بموجبها تم اختيار "كونستانتيو دي سا" ؛ نورونها لأجل نقل تلك التعزيزات حسبما ورد الأمر .

بالمثل فعندما بدأ في إعداد وتجهيز السفن ، وردت في يوم الأربعاء من الأسبوع المقدس الموافق الثالث والعشرين من شهر مارس ، أخبار استسلام قشم بموجب اتفاقية ، أبرمت بواسطة "روى فرير" نفسه بصفته أسيراً ، واستمرار هرمز تحت الحصار ، وقد كان الحاكم المذكور أي والده آنذاك في حالة من الوهن والتردد ، بحيث إنه اقترح أن ينقل المساعدات بنفسه شخصياً ، إذا ما رأى المجلس أنها غير لازمة .

هو يناشد سيادتكم أن تتفضلوا بإصدار الأمر لأجل استخراج نسخة من كل هذا ، وتسليمها له ، مصدقة من السكرتير المذكور ، بشكل يجعلها مقبولة ومعتمدة ، وسوف يعتبر هذا بمثابة تفضل وإحسان من قبلكم .

باعتبار ضرورة هذا الأمر لأجل الدفاع عنه ، يجب على أمين السر في المملكة أن يعطيه النسخ التي طلبها .

"غوا" ، الخامس والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٢٤م .

"الكوند" .

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)

صدرت رسالة من نائب الملك إلى "د . غونسالو دا سيلفيرا" ، قائد السفن في البصرة ، من "بانجيم" "Banjim" في الرابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٢٤م ، بشأن جيوش الشاه والأتراك : [٣٧]

مضت عدة أيام منذ أن تلقيت رسالة منك ، ولكنني عرفت من رسالة مرسلة من "روي فرير" بتاريخ الأول من شهر سبتمبر أنك بحالة جيدة ، وإنني سعيد بذلك ؛ لأنني متأكد من أنك في تلك الحالة تكون قد أديت خدمة صاحب الجلالة .

أرجو إفادتي تفصيليا عما يحدث هناك والأنباء المتوفرة هناك عن "بابل" وجيوش الأتراك ، والشاه .

إذا كان بمقدوري أن أفعل أي شيء لك ، فيمكنك أن تتأكد من أنني سأفعله بكل سرور .

(٣٧) رقم الوثيقة والهامش.

من "بانجيم" ، الرابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٢٤م . "الكونت الأميرال" : "فرانسيسكو دا غاما"

وفي العام نفسه (١٦٢٤م)
جاءت أحداث كتاب ضياع هرمز ، للكاتب "لوتشيانو كورديرو" "Luciano Cordeiro" ، وفقاً لتقارير ومعلومات وثائقية ، بتاريخ عام ١٦٢٤م : (٣٨)

مقدمة :

معروفة هي الطريقة التي أدت للفوز "بهرمز" ، على الأقل بالنسبة للدارسين أو من اطلعوا على أحداث وتاريخ البرتغاليين في آسيا ، وحتى هؤلاء فهم قلة وبشكل عام لا يعرفون إلا القليل .

الرواية قد حكاها "غويس" "Goues" ، "باروس" "Barros" و"جاسبار كوريا" "Gaspar Correia" ، ومن المفيد قراءتها جميعاً خاصة الأخيرة ، فالمؤرخ الشهير البارز والفاتح رجل الدولة ، الذي سماه الكاتب الإنجليزي بقيصر الشرق قد أصبح في لحظة تجلٍ من صناع التاريخ . إن "افونسو دي البوكيرك" نفسه ، لم يرو سوى القليل ، فقد كان يستعمل

(٣٨) رقم الوثيقة والهامش.

القلم كما يستعمل السيف بسرعة وببساطة تامة بحيث يعول كثيراً على البينة والشاهد في إنجازاته .

لقد قال بنفسه "إن الهند هي التي سوف تتحدث عني" ، فلو لم يحدث الفوز "بهرمز" لكانت إمبراطورية البرتغاليين الشرقية قد فشلت منذ مولدها ، وبفشلها سوف ينهار كل شيء .

فئة قليلة فقط تعلم كيف سقطت هرمز ، وهذا أمر له أهميته البالغة ، ويمكن أن يقال إن أهميته تزداد أكثر كمعرفة ووعي ؛ لأن هرمز التي تم الفوز بها ؛ نتيجة عبقرية أحد الرجال قد سقطت بسبب التهاون والضعف المميت والفساد في طبيعة الكائن البشري .

لقد تم الفوز بها عندما حمل المنتصرون والغزاة حبها في قلوبهم وعلى أسنة رماحهم ؛ لأجل تحقيق رغبة الوطن في السيادة والاستقلال ، لكنها سقطت عندما فسدت الأعمال وفسدت القلوب ، ولم يعد في النفوس من شيء سوى الاهتمام بالسلطة ، والثروة والمجد ، وفرض الهيمنة الأجنبية ، ضد الأنانية المفرطة والخيانة المستفحلة ، وعليه يبدو من الأهمية بمكان أن نتعلم المزيد والمزيد عن هذا الأمر .

العبرة تؤخذ بأسباب الحذر أكثر من النصر ، وفي هذا الوقت الذي يشهد ، للأسف ، انحطاط وفساد أخلاق البرتغاليين ، لابد من الحاجة إلى رسالة تذكير بالعصر الذي شهد سقوط هرمز ، وهو عصر الغموض والإبهام والذل ، وأيضاً ذلك النصر الذي شهد الفوز "بهرمز" ، وهو عصر رائع مفعم بالبساطة والثقة .

إلى جانب بعض الكتب التي تروي باختصار قصة سقوط هرمز ،

فإن هناك كتاباً آخر قدم تقريراً عظيماً ، وهو كتاب ضم بين صفحاته شهادة وإفادة أحد الشهود المعاصرين بشكل حقيقي وموثوق به ، وهو كتاب يمكن من خلاله أن يستشعر ويكتشف المرء صدى الفاجعة بكل صراحة ووضوح .

تعكس صفحاته الومضات العنيفة الأخيرة لبطولة البرتغاليين ، التي وصمت بالخزي والعار في جميع الاتجاهات في العالم الشرقي من خلال الأحداث التي اتسمت بالطمع والنهب بوحشية والممارسات الشائنة من قبل الجنود ووكلاء الشركات ، كان ذلك هو الجزء الأخير من ملحمة عظيمة فريدة في نوعها لم يحلم بها "هومر" قط ، لكنها ألهمت "كاموس" .

لكن في عصرنا الحالي لا أحد يقبل على قراءة هذا الكتاب ، فلربما قرأه القليلون ولم يسمع عنه الكثيرون ، ويبدو في بعض الأحيان أنه قد كتب بالدم ، وأحياناً أخرى بالنكد وسوء الطبع واليأس والغضب الذي كان قبل مضي سنوات قليلة ، قد استشرى في الخليج الفارسي وبحر العرب بالدم والعار .

كان له هذا العنوان الرنان ، القديم والمتعمق الذي يتجاوز النمط التقليدي للسرد الأدبي الأنيق :

ملاحظات القبطان العظيم "روي فرير دى أندراد" التي تضمنت إنجازاته المحكي عنها من عام ١٦١٩م ، عندما غادر هذه المملكة بصفته قائداً في بحر هرمز و"الساحل الفارسي" و"الجزيرة العربية" ، حتى وفاته .

من يقرأ هذه الأحداث في أيامنا هذه؟

كان ذلك هو الكتاب الذي كتبه "بول كروسبيل" "Paul Crospiel" "اعتماداً على تقارير ومعلومات وثائقية حقيقية" ، ويعرف "كروسبيل" بأنه بائع كتب عادي ، تمكن من نشر الكتاب منذ قرنين ونصف من الزمان ، وذلك عندما كانت البرتغال القديمة قد شهدت ولادة عصر جديد في التاريخ ، وذلك إشهار لم يكن ذا منشأ رفيع ، فالكاتب له شهرته وصيته الذائع .

يبدو أن الكتاب قد كتب بترو وتباحث آنذاك ، قُصد منه إحياء المعنويات وتوجيه النظام والحكم من خلال تقديم نماذج للنتائج المأساوية في إطار غياب مناقب ومزايا كانت في ذلك الوقت أكثر من ضرورية .

هذا سبب تقديمي له في طبعة جديدة سهلة القراءة في أيامنا الهزيلة المستضعفة هذه ، وعلى وجه الخصوص لمن ينعمون باجترار ذكرى أيامهم الماضية .

قد شاءت الأقدار أن أحصل عن سبيل الصدفة المحضة على مجموعة من الأوراق القديمة ، كانت قد أودعت كضمان لتسديد دين ما لدى أحد الباعة في محل تجاري ، وذلك بواسطة أحد الزبائن ، والذي توفي فيما بعد ، ولقاء القليل من العملة النقدية أصبحت أملك أروع ، وأفضل الكتب القديمة ، الذي ضم سجلاً صيغت فيه أسباب ضياع هرمز ، وسقوطها بشكل دراماتيكي ، وورد الحديث فيه عن الأحداث بشكل مباشر .

ربما كان الكتاب يمثل قرار اتهام ودفاع بشكل قانوني ، وإن الأسلوب الذي صيغ به يبعث على الملل ، وهو أسلوب خلا من جواهر الأدب

وأية تحديات تاريخية يمكن للقارئ توقعها غير أن هذا لا يعني أنه في نفس الوقت ليس ذي قيمة أدبية وتاريخية ووثيقة نقدية فريدة ذات أهمية بالغة .

تاريخ المنشأ كان أمراً هاماً ومشوقاً ، فعندما سقطت هرمز في عام ١٦٢٢م ، كان يحكم الهند "فيرناو دى البوكيرك" ، وكان قد وصل إلى سدة الحكم بعد وفاة "الكوند دى ردوندو" إثر انتظار وصول نائب الملك التالي الذي يفترض أن يحل محله .

كان ذلك الحاكم المؤقت مريضاً تقدم به العمر ، ولم يكتب له أن يعيش طويلاً بعد المحنة التي أُجري بشأنها تحقيق قُدم بموجبه تقرير خطي ، لكن عندما وصل التقرير للبرتغال كان قد اختفى بكل هدوء ، وسط ركام الوثائق في أرشيفات "مدريد" ، ولم يتبق منه سوى قصاصات مختصرة لا يمكن أن يعول عليها كمرجعية معتبرة .

لم تحتج الحكومة المركزية على الحاكم العجوز إبان السنوات القليلة الباقية من حياته ، ولقد ظلت مسؤولياته وذكراه باقية لم يعتد عليها أحد ، وكان من المفروض أن يتم التحقيق مع البعض آنذاك ، ولكن لم يحدث شيئ من هذا القبيل ، ولم يواجه أي شخص منهم أية تهمة رسمية .

عموماً ، في أحد الأيام ، وكان ذلك يوم التاسع عشر من شهر فبراير عام ١٦٢٤م بعد مرور عامين ، قدم مسؤول دولة صاحب الجلالة ، ووكيل خزينته في "غوا" لنائب الملك الجديد ، "كوند دى فيديغويرا" ومجلس الخزينة طلباً مفاده ضرورة استدعاء "جورج دى البوكيرك" ،

ابن ووريث الحاكم الراحل ؛ كي يتم استجوابه فيما يتعلق بالخسائر والأضرار التي طالت الخزينة الملكية .

نتيجة استيلاء العدو على قلعة هرمز ، وكان هذا الطلب الغريب يقوم على "اللوم الموجه للحاكم الراحل نتيجة التحري والتحقيق الذي أجري بعد سقوط القلعة المذكورة" .

في ظل الأسلوب الإنشائي والصيغة التي حرر بها الطلب وغزارة الروتين وافق سعادة نائب الملك ، ومنح المجلس تفويضاً باستدعاء المدعو "جورج دى البوكيرك" ، والطلب منه بالإنابة عن والده أن يدفع نظير ما فعله البعض عندما تخلوا عن القلعة للبريطانيين وللفرس ، أن يدفع عن الأضرار التي طالت هرمز ، والدمار الذي لحق بها ، فقط استجابة لما أصاب خزينة الإسبان من ارتباك .

استجابة لمحاولاتهم للابتزاز ، أن يدفع ويجيب عن كل ذلك في الوقت الذي لا يمكن أن يلام على أي عمل حدث سواء بطريق مباشر أم غير مباشر نتيجة تلك المحنة ، بل وليس له يد في ذلك سوى أنه ابن الرجل الذي كان يحكم البلاد عند حدوث تلك المحنة .

حقيقة الأمر يبدو مستهجناً وسخيفاً يحمل من الغرابة ما يجعله صعب الفهم وصعب التخيل . على كل حال لقد تعودنا على سخف القوانين القديمة ، ولكن كان ذاك الأمر من الخطورة بحيث إنه أشبه بالحكم بالموت على أحد الأبرياء .

كان "جورج دى البوكيرك" يعلم بهذا ، ويدرك أن بلاد الهند مليئة بالمحامين الذين بوسعهم تعقيد أكثر الأمور بساطة في العالم بأسره ،

ولقد سعى لاختيار أفضلهم للدفاع عنه ، وإنقاذه من مخالب التاج الملكي ووكيل الخزينة .

بعد مضى ثلاثة أيام على الاجتماع معه شخصياً في منزله ، أي في اليوم الثاني من شهر مارس ، قام بتوقيع أمر رسمي ، عين بموجبه المحامي "مانويل دا فيجا" ، كي يتولى الدفاع عنه في البلاط ، وكان أول شيء نصح به "فيجا" هو عملية نشر الاستدعاء ، وذلك كي يدفع بالوكيل الملكي للتوضيح وتضخيم القضية بإعلان الاتهام ، وهو أسلوب أراد منه أن يكشف مدى قوة الخصم .

بعد مضي عشرين يوماً كشف بكل وضوح ، أن ضياع هرمز وسقوطها يعزى لتصرف "فيرناو دى البوكيرك" بسبب عدم قيامه بإرسال الأسلحة والإمدادات ، أو ربما كان قد أرسلها بشكل متأخر بعد فوات الأوان ، كما أنه أساء الاختيار فيما يتعلق بالقادة المناط بهم التنفيذ .

بما أن "فيرناو دى البوكيرك" قد توفي ، وأن "جورج دى البوكيرك" هو ابنه ، ووريثه الشرعي ، وفق ما أشار به "مرقيلهاو الشهير" ، فلا شك في أن الالتزام بدفع التعويض عن الأضرار التي لحقت بخزينة صاحب الجلالة وعناصره ، وهو ما سوف يعمل على تسويته بموجب منطوق الحكم ، سوف يلقى على عاتق ابنه . أما موضوع التهديد فيما يختص بعدم التسوية ، فسوف يكون ذلك موضوع وثيقة أخرى مثيرة للاهتمام .

بالنسبة للمارسة المحترفة ، فقد تولى المحامى "فيجا" دراسة هذه القضية بكل الحذر والجدية ، وتمكن بذكائه ومهارته تفنيد الألفاظ الواردة في الدعوة بما تتطلبه من دقة وانتباه ، وبالتالي تبين له أن التهمة

الموجهة ليست سوى ضرباً من الحماقة ، وأن القضية تتناقض مع أي عمل يمكن أن يقبله العقل السليم .

إذا ما كان "ميرقالهو" يعتقد أن "فيرناو دى البوكيرك" مذنبٌ ، فلماذا لم يقم بمحاسبته على ذلك العمل قبل وفاته؟ أضف لذلك ، أنه في غياب استدعائه للمساءلة ، فليس هناك من دليل قاطع يثبت أنه قد كسب من وراء سقوط هرمز التي انتقلت لوريثه بعد ذلك ، الأمر الذي استنكره "ميرقالهو" ، فالقضية التي قدمها تعتبر بمثابة عمل جنائي وعقوبي .

الأعمال العقوبية والجنائية في نظر القانون لا يمكن أن تنقل للورثة إلا عندما يكون الخلاف مع المتوفي ، وهذا ما لم يحدث قط إذا ما عدنا بذاكرتنا للماضي لتذكر ما حدث . هذا بالإضافة إلى حقيقة أن "جورج دى البوكيرك" لم يتلق أية مكاسب ، أياً كان نوعها من ضياع هرمز .

باختصار ، تمكن ذلك المحامي من خلال استخدام تكنيك قانوني من إزالة ذلك العبء بكل بساطة ، ووصفه فيما يعرف بعدم الاختصاص . عموماً لم يرد الوكيل ، وانتقل الموضوع إلى المحكمة العليا في "غوا" حيث لم يجد هناك أي قبول في إطار القضية ، غير أن رفض قضاة المحكمة العليا جاء بصفة الوعد بالنظر فيه واعتباره ، حيث صدر الأمر بضرورة حث المتهم على عمل تفنيد رسمي للتهمة .

هكذا فقد أتوا بعمل قانوني عادل تماماً دون أن يقصدوا ذلك .

التهمة تحولت إلى إجراء كامل ، وأصبحت بمثابة إعادة اعتبار بلغ حد الروعة بحق الحاكم الراحل ، ورواية حقيقية تشرح بوضوح سقوط هرمز من مصادرها الأصلية ، المتمثلة في الشهود الذين عملوا على

تأييد وتكملة تقارير بعضهم البعض ، وبوثائق أعطت انطباعاً مباشراً حياً لا يرقى له الشك .

تم عمل خمس نسخ من ذلك التقرير الذي لم تعد توجد منه الآن أية نسخة أصلية ، وكانت إحدى النسخ ، هي حزمة الأوراق التي تمكنت بالصدفة المحضة وحسن الحظ من إنقاذها من المحل التجاري ، ووضعها في أرشيف الجمعية الجغرافية . هي ووثائق قديمة كنت قد عثرت عليها في تلك المناسبة ، هذا بالإضافة إلى أعمال نادرة من أعمال "بول كريسبيل" ، وبالمثل القليل من التحقيقات التي تكمل تلك الأوراق .

الرواية المأساوية والتوجيهات التثقيفية قد ضمنت بشكل كاف في سياق نكبات ومجد البرتغال الوطن .

خلال هذا النزاع القضائي العجيب ، فيما يتعلق بذكرى "فيرناو دى البوكيرك" ، كان ابنه قد فاز بحكم قضائي عادل ، وكان التقرير الخاص بمحاكمته قد أرسل للبرتغال للفصل فيه بحكم قاطع ونهائي ، ولكن يبدو أنه لم يفكر فيه أحد قط ، فقد تحول الدفاع إلى الاتهام .

هكذا تم بوضوح تحرير ذكرى "فيرناو دى البوكيرك" من كل هجوم سخيف من قبل وكيل التاج ، وكل المؤامرات الجبانة والحاقدة التي أثارها من يقفون خلفها ، ومقابل ذلك لم يتم فقط استدعاء مقدمي الاتهام ، وإنما أيضاً مجلس التاج الإسباني الضعيف المغتصب للاستجواب حول قضية سقوط هرمز ، وذلك ليس أمام قضاة "غوا" وإنما أمام محكمة التاريخ .

عاد "جورج دى البوكيرك" إلى البرتغال ، وكان موجوداً إبان الثورة

الوطنية عام ١٦٤٠م ، وبدلاً من الدمار وعملية مصادرة ممتلكاته التي كان يطالب بها المدعو "ميرقلهو" ، كان أول من نودي عليه لأجل أن يكون مستشاراً بحرياً "كونسيلهو الترامارينو" "Concilho Altramarino" يجب ألا يلتبس على القارئ اسم ذلك الشرير "جونتا الترامارينو" في القرن التاسع عشر .

وذلك للاشتراك والتعاون من واقع خبرته والإفادة من رجاحة عقله ، واحترازه وتفانيه في العمل لأجل المحافظة على مستعمرات إمبراطورية البرتغال" .

لقد توفي في عام ١٦٤٤م أو بعده بقليل ، حيث توجد وثيقة تشير إلى أنه وزميله في المجلس "جورج دي كاستيلو" "George de Castelo" كانا قد طالبا باستلام إصداره قضائية لأجل صرف معاشيهما بما يعادل مبلغ ثلاثمائة ألف "ريس" .

لم يعرف الكثير عن نشاطاته في الهند أكثر مما كشفته وثيقتان وردتا في مجموعة الجمعية الجغرافية ، وعند سقوط هرمز ، ووفاة والده كان قائداً في "سيلان" ، وتشير إحدى الوثائق إلى أنه وفقاً للتقاليد المتبعة ، وبرغم أنه كان ما يزال شاباً عندما كان يحكم تلك المنطقة ، فقد كان يتسم بالاستقامة والعدل ، واعتبر واحداً من أفضل القادة تم تعيينه حاكمًا على تلك الجزيرة .

أما الوثيقة الأخرى فقد قمت بتدوينها ونسخها ؛ لأنها تجسد نموذجاً لأسوأ نوع من أنواع الوقائع في مجال الخداع الإداري والتآمر الذي تسبب في انهيار مملكة الهند ، إذ إنها تصور القائد الشاب في وضع

مخادع ؛ محاولاً منع قواته من التمرد بسبب عدم تسليمهم أجورهم ، ويقاوم بشكل مليئ بالغطرسة تمرد وعصيان مسؤول الخزينة الذي أنكر دخله الزهيد ورفض سداده .

الفصل الأول : تجارة الحرير

كشفت نتائج الاتحاد الذي تم بين إسبانيا والبرتغال عن آثار مهينة لحقت بالدور الذي لعبته البرتغال في مسيرة تاريخها ، إذ أصبحت الدولة نهباً لغارات واعتداءات غاشمة في آن واحد من قبل جميع الشعوب التي اكتوت بنيران ظلم الإسبان ، وعانت من غرورهم المفرط وجنوحهم ؛ لفرض هيمنتهم وتنفيذ نواياهم المدمرة .

هي حقيقة لم تؤد فقط لإعاقة ، وتعطيل النهج السياسي الذي ظل البرتغاليون يتخذونه منذ أمد طويل في الانعزال المنهجي عن المنافسات والطموحات التي شغلت القوى الأوروبية فقط ، وإنما أدت بشكل مفاجئ إلى اندفاع البرتغاليين للانشغال على نطاق واسع بكشوفاتهم ، وتوسعهم في موجودات إمبراطورية "شارلس الخامس" المتنازع عليها التي ثبت أن رجال الدولة في "قشتالة" لم يعودوا قادرين على الاستمرار في المحافظة عليها .

عندما تمكن الإسبان من تدمير "انتويرب" السوق التجارية في "الشمال" التي كانت البرتغال قد اهتمت بشأنها بشكل خاص لإثراء تجارتها الشرقية ، اضطر تجارها الأثرياء من ذوي النفوذ للجوء في "امستردام" ، الأمر الذي جعلهم يتخلون عن محاولاتهم لفتح الطريق التجاري على طول السواحل الشمالية إلى أوروبا وآسيا ، والذي كان

مقترحاً من قبل البعض لأجل السفن البرتغالية ، وليس لصالح الأسطول البابوي في عام ١٤٩٢م .

بشكل جريء تم إرسال الأساطيل إلى رأس الرجاء الصالح كما تم تنظيم وتوحيد مشاريع جميع المقاطعات المتعاضدة الخاصة بالشركات الشرقية ، بحيث تمكن قائد المملكة في عام ١٦٠٢م من دمجها ، وتوحيدها كي تصبح قوة محاربة ذات فعالية كبيرة .

هكذا عندما لاحظ البريطانيون خيبة أمل كبيرة في محاولاتهم لإيجاد طريق عبور في الشمال الغربي والشمال الشرقي ، وأن إدراكهم وعلمهم بعدم وجود خطة لفتح طريق نحو الشرق عبر روسيا قد أدى إلى تشجيعهم ، معتمدين على نجاح حملات الهولنديين .

قد سارعوا بإرسال مغامريهم في فترة يقظة الأساطيل البرتغالية بشكل حيي في بداية الأمر ، وبعدها بجهود جريئة وحثيثة ، بحيث اتخذ دورهم شكلاً من التحركات القوية المنظمة ، أصبحت خلال سنوات قليلة ، بفضل مساعدة سياسات حمقاء من جانب حكومة "مدريد" تشكل خطراً حقيقياً عليها .

يمكن القول إنه حينما شهد القرن السادس عشر قيام إمبراطورية البرتغال الشرقية ، كان فجر القرن السابع عشر قد شهد عزم وثبات مكتشفي الهند وأمريكا مفيدين بفرحة الانتصار على الوحدة الأيبيرية (القوقازية) ، بينما شرعت الإمبراطورية البريطانية في الهند في تكوين شركة من تجار لندن .

كان هذا الحلف خليفة كاثي المعبر في الشمال الشرقي وتركيا

والشركات الهاربة ، التي حاولت عبثا الاستمرار بالرغم من انتشار الوكلاء والمتآمرين على طول الطريق إلى حلب وبغداد .

غير أن القادة البرتغاليين عمدوا بتعقل وحكمة إلى إغلاق الطرق على البحر الأحمر وجانب الخليج الفارسي .

هناك حلقة من الوقائع الصغيرة ظلت حتى اليوم مجهولة لدى الكتاب البرتغاليين ، بالرغم من أهميتها كفأل حسن بشر بميلاد هذا المشروع الشهير بعد طول فترة حضانة جديرة بالانتباه بحيث إنها حفزت ، وأثارت طمع عامة الناس وأقنعت حكومة "اليزابيث" بمنح البراءة الملكية في الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر من عام ١٦٠٠م ، مما عزز قوة الشركة الجديدة للقيام بحملة قوية حاسمة .

في عام ١٥٩٢م كانت هناك ستة من مراكب القراصنة البريطانيين قد فاجأت اثنتين من السفن البرتغالية على مبعدة من شاطئ الأزور ؛ هما "مادري دى ديوس" و"سانتا كروز" ، وكانت هاتان السفينتان هما الوحيدتان اللتان عادتا سالمتين من ضمن أسطول مكون من خمس سفن غادرت "غوا" في العاشر من شهر يناير مع الحاكم "مانويل دي سوسا كوتينهو" "Manuel de Susa Coutinho" .

بعد عملية مطاردة طويلة واشتباك استقر رأي قبطان "سانتا كروز" على التوقف وإشعال النار في سفينته في جزيرة "فلورس" في التاسع من شهر يوليو ، غير أن الأخرى "مادري دى ديوس" تم القبض عليها في التاسع عشر من شهر أغسطس بعد مقاومة عنيفة .

كانت البضائع التي تحملها غالية ، اشتملت على الحرير والعاج

وبعض السلع الأخرى من آسيا ، لكن أكثر من ذلك كان ذلك العهد الذي كشفت عنه الوثائق التي وجدت إذ إنها أنعشت روح المغامرة والدعاية للمؤسسة الشرقية ، (السجل الشهير) أو دفتر الحكومة وتجارة البرتغاليين في شرق الإنديز الذي ضم ذكرى مؤسسي شركة لندن والهند الشرقية إلى الملكة "اليزابيث" في عام ١٥٩٩م والتي تم تأسيسها .

بشكل رسمي عندما أصبحت الشركة متعاضدة ؛ فإن المغامرات سمح بها لملاحقة الأساطيل الإسبانية والبرتغالية ، وكذلك بدأوا في سك العملات المعدنية لتعزيز حملاتهم إلى الشرق .

قبل مضي عدة سنوات ، أي في عام ١٥٨٧م ، كانت هناك سفينة برتغالية قد استولى عليها أسطول (دريك) بعيداً عن الأزور ، وكانت تلك السفينة "إس فيلبي" أولى السفن العائدة من الأنديز التي استولى عليها البريطانيون ، وكشف سجل هذه السفينة عن الكثير من المعلومات القيمة لمصلحة التجارة الهندية الأمر الذي دفع البريطانيين للتفكير بشكل جاد لإقامة قنوات اتصال مباشر مع الهند .

كان الأمر بمثابة توافق طريف أن تكون هذه السفينة ، هي السفينة الأولى للبرتغاليين التي تحمل اسم الملك الإسباني ، وكانت في طريق العودة بمفردها من الهند ، تحت قيادة "جواو تريغويروس" "Joao Trigoueros" ، وهي تحمل شحنة من البضائع الثمينة إلى جانب بضائع سفينة أخرى هي "إس لورنسو" "S . Lorenco" التي تركت في موزمبيق بسبب إدانتها .

بسبب ما تتطلبه المصلحة والخدمة الملكية ، كانت هناك بعض

المعوقات في السنوات الأولى التي واجهها المغامرون الشرقيون ، إذ كان التردد والتشكك وأيضاً في تراجع العاصمة التي لم تستجب بشكل جيد للمطالب الموجهة لها ، الأمر الذي أدى إلى تقييد اشتراكها كي تكون مختصة فقط بالحملات الانفرادية إلى جانب مساندة خاصة لتغطية النفقات ومواجهة الأخطار وتحصيل الإيرادات .

كانت تلك هي فترة التتلمذ والتلقين من خلال رحلات منفصلة كتلك التي تمت إلى "لانكستر" و"ميدلتونز" شهدت إحداهما مشاركة أضخم سفينة ، تم بناؤها في بريطانيا وهي "تريدرس انكريز" حمولة ألف ومائة طناً من كيلنجز إلى نيوبورتز في عام ١٦١٢م .

بالرغم من أن الفترة كانت قصيرة إلا أنها تعتبر فترة نشاط مكثف ، كانت حصيلتها اثنتي عشرة حملة في عدة سنوات ، وبرأس مال لم يتجاوز أربعمائة وأربعة وستين ألفاً ومائتين وأربعة وثمانين جنيهاً إسترلينياً وحققت أرباحاً بلغت نسبتها مائة وثمانية وثلاثين بالمائة في كل حملة .

لكن بالرغم من أن تلك الرحلات الأولية لم يكن لها أي أثر باقٍ في بنية الاقتصاد البريطاني ، من حيث التجارة والسلطة ، إلا أنها نشطت وانتعشت بشكل ملحوظ بموجب تسخير رأس مال مشترك ؛ لأجل تنظيم تلك الرحلات .

كانت الحملات تجهز وتمول بموجب حساب رأس مال مشترك عام ، والثاني في عام ١٦١٧م حيث تم افتتاحه بقائمة اكتتاب بلغ مليون وخمسمائة ألف جنيه إسترليني لم يقتصر على مشاركة رجال الأعمال والتجار فقط ، وإنما الدوقات والفرسان وأساتذة

القـــانون والأطباء والسيدات والأرامل والفتيات وفئات أخرى من العامة .

في الفترة ما بين عام ١٦٠٠م وعام ١٦١٧م أبحرت ست وثمانون سفينة متجهة للهند ، وكانت مجموعة الست وثلاثين سفينة التي عادت مبدلة مليونين جنيه إسترليني ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألفا ومائتين وثمانية وثمانين جنيهاً ، قد أنفقت على الشحنات المحولة .

قد تم ضرب مليون جنيه إسترليني ، ثم استيرادها لأجل تلك المضاربة البحرية ، وكان ذلك عاملاً مختلفاً له الكثير من الأهمية لم يوضع في الحسبان ، وباختصار لم يكن ذلك بسبب التجارة وحدها وإنما أيضاً بسبب النفوذ السياسي أو الهيمنة البريطانية في الشرق التي كانت نوعاً ما أقل تأميناً وترسخاً ، بينما ظلت قوتها البحرية تكتسب وتحقق نسبة معتبرة جديدة .

بينما ظلت هيبة سيادة البرتغاليين قيد التحدي الجريء ، وعرضة للهجوم المستمر في البحار وعلى طول سواحل قارة آسيا ، بدأت هذه السيادة تضعف تدريجياً ؛ نظراً للنشاطات المستمرة والمؤامرات الدبلوماسية التي يحيكها الوكلاء البريطانيون والهولنديون والحكام الوطنيون ، وفي عام ١٦٠٣م منح البريطانيون عدة امتيازات "لأشين" .

في عام ١٦٠٤م أرسل "جيمس الأول" خطاباً إلى ملوك "بانتان" و"تيدور" بواسطة واحد من "ميدلتونز" ، والذي عينه للقيام برحلة منفصلة ثانية ، وفي عام ١٦١٥م كان ملك البرتغال يتبادل الرسائل والمعلومات مع كبير المغول عن طريق (استيل) ، وفي عام ١٦١٦م ،

كان قد خاطبه "السامورين" ، وكانت الجهود التي بذلت لأجل تحويل مسار التجارة مع الشرق ؛ كي تمر عبر سوريا وفارس مثمرة تماماً ولم تهدر قط .

على الرغم من أن مصالح نشر النصرانية ما تزال مطلوبة ، وإن كانت بشكل متقطع في أوروبا إلا أن بريطانيا في إطار علاقاتها الحميدة مع الأتراك تمكنت من إيجاد وزير في القسطنطينية ، وقنصل في حلب ، والمناطق الأخرى ، وفي عام ١٦١٢م وصل السير "أنطوني شيرلي" "Antony Chirley" ، الذي كان قد غادر مع شقيقه "روبرت" "Robert Chirley" في عام ١٥٩٨م ، ووصل إلى لندن كسفير للشاه عباس ملك فارس .

في نفس ذلك العام أرسل عائداً بواسطة "جيمس الأول" ، وربما غادر ، وهو يحمل معه الموافقة على الحملة التي سوف تتولى طرد البرتغاليين من الخليج الفارسي .

في عام ١٦١٤م ، كان "ريتشارد استيل" "Richard Steel" وهو مغامر ذكي ، في طريقه إلى حلب للحصول على دين ما ، وملاحقة أحد المستدينين الهاربين عبر فارس ، حيث وصل إلى "سورات" ، وهناك تمكن من إبهار وشد انتباه وكلاء الشركة البريطانية من واقع ما روى لهم عن سهولة ممارسة التجارة وعائداتها في تلك البلاد ، ومن ثم تمكن من إقناعهم بغية إرساله مع وكيل آخر لأجل عمل دراسة للمنطقة في الساحل ، واختيار نقطة أو موقع للدخول .

لقد وقع اختيارهم على "جاسك" التي تقع على بعد تسعين

ميلاً مـــن قلعـــة هرمز العظيمة . بعدها توجه إلى أصفهان للتشاور مع "شيرلي" ، ومن ثم غادر إلى بريطانيا ؛ كي يقدم مشورته إلى هيئة المديرين في الشركة .

في السنة التالية غادرت إحدى السفن مدينة "سورات" ، حيث قامت بمحاولة تكللت بالنجاح لإيجاد محطة تجارية في "جاسك" ، وقد توجه اثنان من الوكلاء التجاريين إلى "موغستان" "Mogustan" لأجل ترتيب الروابط والصلات التجارية هناك مع أصفهان ، وقد كان أحدهما ويدعى "باركر" "Parker" قد نجح في إبرام اتفاقية رسمية مع الشاه ، بالإضافة إلى حصوله على بعض الامتيازات الأخرى .

في ذلك الوقت كانت التجارة مع فارس قد ارتكزت أساساً على بضائع الحرير ، وكانت بمثابة الحافز للشعوب الأوروبية لاكتشاف الشرق .

عندما قام أحد أعضاء الشركة من البريطانيين بعمل دراسة لتلك الاستكشافات في عام ١٦٢١م لم تتجاوز كمية الحرير الخام الذي تحصل عليه أوروبا من الأقاليم الفارسية الثُمن أو مليون جنيه إسترليني من قيمة الكمية التي تنتجها منطقة جنوب آسيا .

بينما كان شاه فارس (عباس) يميل كثيراً نحو البريطانيين ، ويفضلهم عن غيرهم ، فقد فكر في الاستفادة منهم لتحقيق أهدافه الخاصة ، وفي الشرق بكامله لم يكن البريطانيون فقط هم المستغلون من جانب الحكام الوطنيين ، وإنما كان هناك الهولنديون وسلسلة من المغامرين من مختلف الأنحاء ممن جابوا المناطق من رأس الرجاء الصالح يتم استغلالهم .

كان من المعروف أن البربر والأهالي والكفرة يدركون تماماً حجم

الضعف وعدم الولاء والنفاق الكامن في نفوس الطامعين من الغرب بحيث إنه يؤلب بعضهم على بعض ، ويتآمرون جميعهم ضد الذين فتحوا الطريق ، ونثروا بذور حضارة عظيمة ، يفخر كل فرد من الغزاة بالانتساب إليها ويعتبرون أنفسهم أبناء وأحفاد بناة تلك الحضارة .

في عام ١٦١٧م ، إثر استلام الرسائل من "جيمس الأول" ، وبعد منح البريطانيين كل ما يمكن أن يكون حافزاً لهم ؛ لفتح شهيتهم لإنجازات ومكاسب جديدة ، قرر الشاه أن يكشف لهم عن غاياته وأهدافه من استعادة هرمز التي يعرفها البرتغاليون تماماً ، مراهناً على تقديمهم المساعدة له .

البريطانيون وكمثلهم الهولنديين باعتبارهم الند المغامر في استثمار الشرق لم يفعلوا شيئاً سوى تقليد البرتغاليين ، ولكن بشكل مغاير هام ، وهو اختلاف جوهري يتمثل في هيمنة البرتغاليين ، وتفوقهم في النزاهة التي يشهد لهم بها تاريخهم العريق .

بينما تشكل إنجازات البرتغاليين وجهودهم سياسة الدولة الواحدة والجنس الواحد والمذهب الواحد ، أي باختصار حضارة بالكامل ، فإن إنجازات أولئك ليست سوى سياسة التجار وأفراد مغامرين ، والمجموعات المتاجرة تعمل جميعها كأدوات تسيطر عليها ظاهرة (الأنا) ليس لها من هاجس غير البحث عن مصالحها الشخصية ، وتحقيق المكاسب الفردية والاستحواذ .

بالرغم من إنقاذ أوروبا أو النصرانية من الغزو الظافر من قبل الأتراك ، وذلك من خلال إضعافهم ومهاجمتهم من الخلف ، وهذا عمل ظل

محط اهتمام البرتغاليين حتى أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ، فقد انتهزوا فرصة استمرار الحرب الشعواء والعداوات التي استشرت بين مختلف البلدان والطوائف الإسلامية ، فسعوا إلى تحذير وحض شاه فارس لبذل كل جهوده لمعادة الأتراك في المناطق التي تلتقى فيها السيادتان معاً حيث تم توجيه نائب الملك في الهند بموجب رسالة السابع من شهر مارس عام ١٥٩٦م مشاراً فيها للتوجيهات السابقة ، كما تم إرسال وفد للشاه من قبل الملك "سيباستياو" "Sebastiao" .

في شواطئ بحر قزوين تلقى الشاه عباس خطاب جلالة الملك ، حيث كان قد ذهب لاستقبال مبعوث سري مرسل من قبل القائد في هرمز .

لقد بدا الشاه مسروراً ومتعاطفاً للحد الذي جعله يعلن أنه سوف يرسل سفيراً خاصاً آخر ، فعلاقات البرتغاليين الدبلوماسية ظلت مستمرة ردحاً من الزمان مع الصوفي ، أي منذ أيام "افونصو دى البوكيرك" .

بعد أن أمن الشاه عباس موقفه ، وتقلد الحكم ، كتب إلى نائب الملك في الهند أنه علم إبان فترة سلفه ، بأنه لم يتم استقبال السفير البرتغالي كما ينبغي ، وهذا أمر أحزنه كثيراً ، ولكنه شخصياً يطلب التجاوز عن الخطأ الفادح الذي ارتكبه سلفه ، ويرغب في استمرار علاقة الصداقة والسلام مع البرتغاليين .

عليه ، فإنه يرسل سفيره حسين على بك ، ولقد تم استقبال هذا المبعوث المتميز بواسطة "ماتياس دى البوكيرك" في العاشر من شهر يناير عام ١٥٩٤م . خطاب ودي آخر تم تسليمه في "غوا" بتاريخ الثالث

والعشرين من شهر أكتوبر من نفس العام بواسطة مبعوث فارسي/ "والى بك"/ كلف بتقديم نفسه إلى جلالة ملك البرتغال و

...... نص مفقود

حقيقة كانت الرهبنة الأوغسطينية بمثابة مستعمرة استراتيجية سياسية .

في الثامن من شهر يناير من عام ١٦٠٩م

أرسل المجلس البلدي في "غوا" الرسالة التالية .

"كانت الأخبار التي وردت بشأن قيام الإمبراطور بإبرام اتفاقية سلام مع الأتراك ، قد أثارت استياء وغضب الشاه ، ومن ثم كشف عن نواياه فيما يتعلق بقلعة هرمز . كانت تلك من الأمور التي شغلت انتباهه على مر الزمن غير أن هذه المناسبة دفعته للإفصاح أكثر عن مكنونات نفسه ونواياه ، ويقولون إن تلك هي قضية الهولنديين في أخذ سفنهم إلى هرمز ؛ لأنه إذا ما حدث هذا الأمر فلا شك على الإطلاق في سقوط القلعة .

هذا أمر قريب المنال حتى ولو لم يتجه أولئك الثوار للمنطقة للعمل على تدميرها ، إذ منذ عدة سنوات لم يكن بالقلعة سوى اثني عشر مدفعاً فقط ، والآن ربما أصبح العدد أقل من ذلك . كما أن عدد الجنود لم يتجاوز قط الأربعمائة جندي ، وهذا ما تؤكده لائحة الأجور هناك .

أما في الوقت الراهن ، فإن عددهم تضاءل حتى أصبح أقل من مائة وخمسين جندياً ، وتعتبر هذه إحدى غلطات وزراء صاحب الجلالة والمحاسبين الذين من خلال سعيهم لزيادة إيرادات الخزينة ، وهو أمر

يجدون في تحقيقه من خلال عملهم على سن قوانين جديدة ، وبذلك يعرضون قلعة سعادتكم لأخطار مميتة كما يبدو الآن ، وبالتالي لابد لكم من إرسال أساطيل ضخمة لمساعدتها" .

بالتحديد فعند وصول السفير الفارسي ، ومن خلال وعوده الميمونة التي تبدو أنها سوف تبدد كل الشكوك والبلابل المزعجة ، تم إرسال توجيهات رسمية من "لشبونه" بتاريخ الحادي والثلاثين من شهر يناير عام ١٦١٢م ، تنص على ضرورة تطبيق فوري للأمر الصادر في عام ١٦١٠م بحيث يجب أن يصار إلى إيجاد "حامية عسكرية ثابتة من خمسمائة جندي من أكفأ الجنود .

هذا بالإضافة إلى مجموعة من الضباط والقباطنة يقل أو يكثر عددهم وفقاً للاستخدامات ومتطلبات الحماية في تلك المملكة ، وبالإضافة أيضاً لمجموعة الخمسمائة جندي ... يجب أن تزود القلعة بمائتي جندي ، يظلون بالقلعة بصفة دائمة طالما كانت هناك احتمالات لقيام الشاه بمحاولات عدوانية ضد القلعة" .

كانت الصفقات التجارية في خيول فارس وتركمان ، والتي كانت تمثل العصب الرئيس في تجارة البرتغاليين في هرمز ، قد تدهورت ؛ نظراً لظروف خاصة ، وبالتالي استبدلت سريعاً بتجارة الأقمشة الحريرية ، وهذه بضائع سهلة النقل ، نفيسة وجذابة ، وكانت عمليات نقل الإنتاج الضخم من الحرير بشكل أساسي في الأقاليم الشمالية من فارس ، حيث تنمو الأشجار الأرجوانية الداكنة بكثافة .

قد هجرت الطريق الشمالي الذي أصبح مهدداً من قبل الأتراك ، لتعبر

البلاد ، حيث ظل الأمن يسود بشكل تدريجي ، ومن ثم عبر المخارج نحو المحيط الهندي . أما الساحل فقد كان يسيطر عليه البرتغاليون الذين يحتفظون بقوات حراسة عند مدخل الخليج الفارسي تم وضعهم هناك بواسطة العبقري "البوكيرك" في ظل اهتمامه بمجد هرمز القديمة .

أما هرمز تلك الجزيرة الكلسية القاحلة ، مدينة المغامرات ، فيمكن أن تكون الحارس الوحيد في المنطقة التجارية والتابع المخلص العامل بجد لمدينة "غوا" باعتبارها الملكية المفضلة ، ممثل السلطة البرتغالية ومستودع إمبراطورية البرتغاليين الشرقية .

أما رجال "فيليب الثاني" ، فإنهم لم يروا وسيلة أفضل من تنظيم تجارة الحرير في فارس عبر إصدار الأمر لسفينتين للإبحار من "غوا" إلى هرمز لتحمل من هناك إلى "غوا" بشكل منظم شحنات الحرير والتجار أو الأفراد ، الذين أتوا به من فارس ، ومن "غوا" سوف يتم نقله للبرتغال ، وسوف يتم استيفاء خمسة "لارينات" عن شحن بالتين ، وهذه سيتم تسجيلها في هرمز .

لا يبدو أن هناك رسوماً كثيرة سيتم استيفاؤها في البرتغال ، فالرسوم العامة هي سبعة بالمائة بالإضافة إلى ثلاثة بالمائة "كونسلادو" "Consulado" أي عشرة بالمائة بمثابة رسوم استيراد ذلك الحرير بمواصفاته تلك من حيث الطول والنعومة توضع عليه دمغه يبلغ سعرها عشرين "ريلزاً" على الراحل حوالي تسعين "ريساً" برتغالياً .

كما أن أجرة النقل من هرمز إلى "الشبونه" تكلف مائة "ريلز" لقاء البالة الواحدة بالرغم من أن أجرة نقل البضائع الأخرى ستمائة

"ريلز" . كانت تلك هي الشروط التي وضعت حسب التوجيهات الصادرة من "لشبونه" في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٦١١م ، وقد حملها "مطران سيرين" الذي عين كسفير ، من "غوا" للشاه لأجل اعتمادها وتوثيقها .

بموجب الأمر القضائي الصادر في الرابع من شهر فبراير عام ١٦١٣م ، قـــام ســـعادة نائـــب الملك "د . جيرونيمو" بإجازة واعتماد التوجيهات التالية للمطران :

الذي شرع في الترتيب للذهاب مع وفد صاحب الجلالة ؛ ليخبرني أنه إذا ما وافق الشاه ، فلسوف يخطرني لأنه أرسل إلى قلعة هرمز مجموعة السفن التي تقوم بنقل الحرير وبقية السلع الأخرى التي تجلب إلى هذه المدينة .

لكن احترازاً وتحسباً في ظل الثقة البسيطة في نتائج المفاوضات قام في اليوم التالي بإرسال أمر قضائي آخر ينص على :

ضرورة الإذعان للتوجيهات الصادرة في إطار مراعاة مصلحة خدمة صاحب الجلالة الملك ؛ ولأجل المحافظة على أمن وسلامة قلعة هرمز ، وفي نفس الوقت زيادة عدد جنود الحامية العسكرية في القلعة إلى سبعمائة جندي ، يتم دفع أجورهم بشكل منتظم ، ويعمل على تدريبهم بشكل مستمر .

حقيقة لا أعلم ما إذا كان قد تم الحصول على إقرار بالموافقة ، وأغلب ظني أنه لم يتم . على كل ، بينما كان رجال الدولة الإسبان يحسبون بكل سرور الفوائد العظيمة التي سوف تعود عليهم من

رسوم الدمغة ، بحيث إن هذه الفكرة الرائعة جعلت الفرس غير راغبين في الإبحار لأنه أصبح بوسعهم الحصول على الفوائد من خلال تقديم عروض النقل إلى "غوا" .

أما الوكلاء البريطانيون ، فقد حاولوا تحويل القوافل نحو ساحل المحيط ؛ كي تقوم سفن الشركة بتحميل البضائع التي جلبت إلى هناك وسوف يدفعون لهم دون أن يحاولوا الحصول منهم على مبلغ الخمس لارينز للتسجيل ، وذلك لأجل السلامة وحماية الرسوم الملكية .

عموماً كان شاقاً جداً ذلك الألم الذي أصاب الشرفاء وذوي الأيادي النظيفة من المسؤولين في الهند الذين كانوا على علم بتلك الممارسات من واقع خبراتهم ، وهم يئنون تحسراً وعلى مرأى منهم رجال الدولة الإسبان المنظرون يديرون تلك الأمور دون دراية ودون معرفة بجميع الأعمال وشؤون المهجر وسياسات عصابات القصر .

الفصل الثاني : حراسة بحر العرب

في شهر إبريل من عام ١٦١٩م عبر أسطول مكون من سفينتين وثلاثة مراكب منطقة حدود حاجز "تاقوس" ، وكان مجهزاً بمائة وثمانية وسبعين مدفعاً وعلى متنه أكثر من ألفي جندي ، ومجموعة من البحارة ، وكان هذا الأسطول من نوع الأساطيل المخصصة للإبحار في أعالي البحار بلغة البحرية في ذلك الوقت ، حيث قررت الحكومة الإسبانية إرساله ، كي يتبنى حراسة معظم السواحل المهملة في فارس والجزيرة العربية .

هكذا لم يعد هناك أي توهم بخصوص نوايا الشاه التي تمثل خطراً حقيقياً يهدد المستعمرات ، والوجود البرتغالي في تلك المنطقة ، ولقد

لوحظ أنه بسبب القصور في ربط المستعمرات البرتغالية مع بعضها البعض ، وضعف عمليات الحراسة بدأ التسرب في الموارد الخاصة بهم ، وبالمثل تضاءلت حركة تجارتهم .

قبل عدة شهور ماضية وفي فورة الحماس للأفكار والأخبار التي جاء بها "رتشارد استيل" أمكن في لندن بدء تمويل جولة برأس مال مشترك ، وبالفعل تم تجهيز أسطول قوامه أربع من السفن تحت قيادة الكابتن "شيلنق" يلازمه الشهير "وليام بافن" من المعبر الشمالي الشرقي كقبطان .

في شهر فبراير أبحرت هذه السفن حيث كلفت بنقل أول شحنة من الحرير ترسل عبر ذلك المسار الجديد في "جاسك" عند مدخل الخليج الفارسي .

لأجل وقف هذا المشروع الغض اعتزم البرتغاليون تسيير حملة لأجل احتلال قشم بالقرب من هرمز ، وذلك في محاولة منهم لتأمين سلامة الخليج والقلعة . أما صناع السياسة الوقحون في مدريد ، فقد تصوروا أنهم يقومون بتدارك وتصحيح أعمال "أفونسو دي البوكيرك" التي عجزوا عن المحافظة عليها والتقيد بها .

كانت أساطيل أعالي البحار المخصصة للقتال وتحقيق الأغراض السياسية قد مثلت التطور الطبيعي الذي ارتبط باقتصاد البرتغاليين ومعدات الملاحة ، وذلك من خلال التوسع عبر الأطلسي والحاجة إلى حراسة دائمة ؛ لأجل الدفاع وتعزيز مناطق سيطرتهم البعيدة وتجارتهم ، ويبدو بكل الوضوح أن هذا التطور قد بدأ متزامناً مع حركة التمدد عبر

المحيطات ، وعُزز بشكل قوي من خلال المنافسة البحرية من قبل بعض الأمم الأوروبية الأخرى .

عندما شرع البرتغاليون في توطيد نفوذهم لأول مرة في الشرق ، كانت القوى البحرية للمسلمين الذين حاولوا عن طريق استخدامها خلق نزاع بينهم وبين الهند ، وحاولوا أيضاً من خلال مخططات بارعة محاصرة البحار .

كي تضطر حركة التجارة مع آسيا لاتباع طريق رأس الرجاء الصالح تحت العلم البرتغالي ، الأمر الذي جعل توسع وتمدد ملاحة البرتغاليين برغم حتميتها تبدو بطيئة وتدريجية ، واتخذت شكل مزيج من القتال وصراع القوى السياسية والأساطيل كسلاح بحري بصفته مؤسسة حربية استثنائية في المناقشات والحروب .

بعد مرور أربعة أيام على مغادرة ذلك الأسطول في الأول من شهر إبريل ، وبشكل مستقل ، غادر أسطول الهند التقليدي السنوي "لشبونه" ، مكوناً من أربع سفن ، وهي "بوانوفا" وهذه تحمل على متنها القائد "د . فرانسيسكو داليما" ، و"سانتا تريزا" بقيادة القبطان "فرانسيسكو ربيرا" والسفينة "بارايزو" بقيادة القبطان "روك دى فوريس" .

كانت هذه قد عادت للميناء بعد مضي أيام قليلة بصاري مكسور ، وأخيراً السفينة (قويا) بقيادة القبطان "جيرونيمو كوريا بيكسوتو" "Jeronimo Correia Pixoto" ، وسوف تقضي هذه السفينة موسم الشتاء في موزمبيق .

عودة للأسطول الأول تم تعيين "روي فيرير دى أندريد" قائداً لهذا الأسطول ، وفي ضوء المهمة التي أنيطت به ، تم تعيينه قائداً عاماً للقوات العسكرية . هذا وقد استقل السفينة "سان بيدرو" "Sao Pedro" التي زودت بأربعة وستين مدفعاً وستمائة جندي . كما تم تعيين "د . جواو دي الميدا" "Joao de Almeida" وكنيته" زيريتا" أميرالاً للأسطول ، وقد استقل الأخير السفينة الأخرى "اس مارتنهو" وتحمل هذه ثمانية وأربعين مدفعاً .

أما سفن الاوركا الثلاثة "كونسيكاو" "Consicao" ، و"سنهورا دو بابلو" "Senhora de Pablo" و"سان أنطونيو" "San Antonio" ، فقد زودت كل منها باثني وعشرين مدفعاً وتم تعيين القباطنة التالية أسماؤهم ، كي يتولوا قيادتها وهم على التوالي حسب ترتيب السفن الوارد أعلاه : "بدرو دى مسكويتا قوديس" ، "فرانسيسكو دى ميلو" و"بالتازار دي شافيز" .

وبعد مضي أيام قليلة من رحيلهم هبث عاصفة هوجاء ؛ تسببت في انفصال السفينة "اس مارتنهو" "S . Martinho" و"الأوركا بوبلو" عن بقية سفن الأسطول .

من الوثائق التي أمكن إنقاذها والاحتفاظ بها لأرشيف الجمعية الجغرافية على النحو الذي تم ذكره ، هناك واحدة بالغة الأهمية تضمنت بياناً بخدمة أحد أبناء النبلاء في السفينة "إس مارتنهو" وتقرير عن الصعوبات التي واجهتها تلك السفينة .

أما هذا المدعو "د . غونسالو دا سيلفيرا" ، فهو مغامر شاب كان

في طريقه للهند للحصول على امتيازات ، والمزيد من العطايا والهبات لإنقاذ مجده وكرامته من الفقر ، وذلك لضمان مائتي "كروزادوس" كمعاش عند وصوله إلى هناك .

بعد أن مرض الأميرال وتوفي ، شرع المسؤولون والضباط القادة في السفينة بموجب اللوائح القانونية في العمل لاختيار قائد جديد ، وبالفعل استقر رأيهم على اختيار "سيلفيرا" لتولي القيادة في السفينة .

كان الوضع حرجاً لأن السفينة لم تفقد قائدها ، فحسب بل فقدت أيضاً دفتها . كان "غونسالو دا سيلفيرا" رجلاً شجاعاً وذكياً ، شُهد له بالجرأة والإقدام على مر السنين ، كما كان قائداً ملهماً واثقاً من نفسه ، وله سمات القائد المحنك الذي بوسعه أن يزرع الثقة في نفس كل فرد من جنوده ، وذلك من خلال شخصيته التي يغلب عليها كرم طبيعي وصفاء نفس أبية .

بالتالي كان يعمل على تنفيذ مهام ذلك المنصب غير المتوقع والصعب في نفس الوقت بشجاعة نادرة ، وبالفعل واصلت السفينة "اس مارتنهو" رحلتها باستخدام مجداف طويل ، حتى وصلت واستدارت حول الرأس ثم اتجهت للرسو في أعماق اثني عشر قدماً بكل تؤدة وتمهل ، غير أن معظم الرجال الذين كانوا برفقته قد هلكوا بسبب التعب والمرض الذي أصابهم .

لم تكن السفينة "إس مارتنهو" سفينة جديدة ، وكانت قد قامت برحلتها للهند في عام ١٥٩٩م ، وهي سفينة ذات حمولة ألف طن ، كان لها شرف نقل "دوق مادينا سدونيا" ((مشكوك فيه)) مع مائة

وسبعة وسبعين بحارا وستمائة جندي ، ونفس مجموعة المدافع البالغ عددها ستة وأربعين مدفعاً متسببة في كارثة الأسطول الحصين .

كانت السفينة "اس مارتنهو" في رحلتها الشاقة تلك قد التقت السفينة "أوركاس بوبيولو" والسفينة "كونسيكاو" ، وطلبت منهما ألا تتخليا عنها ، وكانت السفينتان تأملان في الوصول إلى "ممبسا" بالرغم من رداءة الطقس .

غير أن "بوبيولو" تحطمت بعد أن انجرفت في المياه الضحلة على بعد اثني عشر ميلاً من جزر كورمروس ، لكن تمكن قبطان "كورمروس" "Cormros" "فرانسيسكو فيريرا" من إنقاذ الرجال والذخيرة وجزء من مدفعية السفينة حيث ساعده في ذلك القبطان "فيليب دا فونسيكا" "Philippe da Vonsica" ، الذي كان بعد وصوله إلى موزمبيق ، قد أُرسل في مركب "بانقايو" إلى هناك بواسطة "روى فيرير" .

أما السفن الثلاثة الأخرى ، فقد تمكنت من توقيت وصولها مع بعضها البعض ، وفي صبيحة يوم هادئ أبصروا أسطولاً ضخماً في الأفق ، وسارع "روي فرير" بتخفيض الأشرعة ؛ لكي يتبين بوضوح ما سيحدث .

عموماً قامت القوة المشبوهة بإرسال زورق حربي يرفع علماً أحمر للاقتراب من سفن البرتغاليين ، ولقد أكد تهديده لتلك السفن بإطلاق قذيفة تحذير سرعان ما رد القائد على هذا النوع من الجبروت بإطلاق قذيفة زنة أربعة وعشرين رطلاً اخترقت الزورق وأصابت خمسة من رجاله ، واضطر المركب لإسقاط الشراع واللجوء للمباحثة .

عموماً تبين أنهم ليسوا أعداء ، وإنما أسطول إسباني من أمريكا ومن غرب الأنديز ، وكان من الطبيعي ألا يشعر أي أحد من "ساو بدرو" "Sao Pedro" بالأسف تجاه الخطأ الذي تسبب في موت "خمسة من الرجال" ، ولم تمض إلا فترة قصيرة حتى كان هناك الاختيار بين القشتاليين الذي جروا العار للبرتغاليين في أوروبا وبين الإنجليز أو الهولنديين الذين أصبحوا يمثلون كابوساً لهم في الهند .

بعد ذلك قام كل أسطول بتحية الآخر وسار كل منهما في سبيله ، وبما أن سفن "الأوكرا" كانت خفيفة نوعاً ما فقد أبحرتا بشكل جيد ، وبعد عبورها الخط حصلت كل منها على الإذن بالمرور ، وبالتالي سرعان ما اختفت عن الأنظار .

قبل الوصول إلى الرأس كانت السفينة "ساو بدرو" قد التقت السفينة "بوانوفا" "Boanova" التي غادرت "لشبونه" بعدها بعد مرور أربعة أيام ؛ حيث كانت متجهة للهند بقيادة "د . فرانسيكو دي ليما" . هذا وقد طلب "روي فرير" أن يمده ببعض الرجال الأصحاء بدلاً من البعض من رجاله الذين أعياهم التعب .

وبلغ بهم المرض أشده ، خاصة وهو يخشى أن يواجه عدواً ، ربما يكون أقوى منه ، وبالفعل تلقى تعزيزات بلغ عدد الرجال فيها ستين رجلاً ، وقد كتبت رسالة إلى "د . فرانسيسكو" ، كي يسلمها إلى "كوندي دى ردوندو" حاكم "غوا" .

عند وصوله إلى الرأس كانت هناك سفينة هولندية تحمل أربعة وأربعين مدفعاً ، وعليه فقد شرع الجانبان في إطلاق نيران أسلحتهما

حتى فقدت السفينة الهولندية صاريها الأمامي ، وعارضة الشراع الرئيس ، ولقد قضى الجانبان الليل بكامله في الاستعداد وتجديد القتال في اليوم التالي ، ولكن عند بزوغ الفجر لم يكن هناك من شيء سوى الجثث الطافية ، وبقايا الحطام في المكان الذي شوهدت فيه سفن العدو في الليلة الماضية ، ويبدو أن السفينة قد غرقت .

مرة أخرى واجهت السفينة "ساو بدرو" عاصفة بالقرب من "أنقوشاس" ، وقد تمكنت من الوصول إلى موزمبيق في الثامن عشر من شهر سبتمبر ، وهناك وجدت السفينة "اس مارتنهو" ، وسرعان ما انضمت إليهما السفينة "سانتو أنطونيو" التي قضت خمسة عشر يوماً معطلة في موقع ما في "مدغشقر" ، ولكنها جاهدت حتى تمكنت من تحرير نفسها بعدما تعرضت للكثير من الأضرار .

وكالعادة كانت موزمبيق تفتقر للمؤن والغذاء ، وقد ترك هناك حوالي أربعمائة من رجال الحملة ، بعضهم مات بسبب المرض ، والآخر بسبب نقص المؤن والغذاء والاحتياجات الأخرى .

على متن السفينة "اس مارتنهو" قدم "غونسالو دا سيلفيرا" الكثير من المساعدات للجنود على حسابه الخاص ، وعندما أقيم مزاد خاص بموجودات وأغراض الأميرال الراحل قام بشراء كميات كبيرة من الملابس ؛ لتقديمها للفئة التي لا تملك ما تستر به نفسها .

أما "روي فرير" ، فقد صمم من جانبه على بيع الفضة الخاصة به وبعض الأغراض الأخرى ، وأخذ قرضاً على حسابه الخاص ؛ كي يرسل سفينة إلى "مدغشقر" إلى "أس لورينسو" حتى تتمكن من

الحصول على المؤن الغذائية والأطعمة ؛ لأن السفينة "أس مارتنهو" كانت في حاجة إلى إصلاح دفتها .

قام بإبلاغ مسؤولي الميناء بضرورة تركيب دفة أخرى في الحال دون تأخير . كما أثني موافقاً على قبطانية "غونسالو دا سيلفيرا" ، وقدم له توجيهات عملية مفصلة ، وأعطاه تفويضاً لبيع بعض براميل الخمور الخاصة بالبرتغاليين التي ينقلها ؛ لأنه لا يتوقع أن يجد شيئا غير البخل من قبل المسؤولين في القلعة . بعد ذلك أبحر إلى "ممبسا" ، وحثه على محاولة الانضمام إليه عاجلاً هناك ، أو في مناطق حراسة المضيق .

كان القائد رجلاً قوياً وحيوياً لا رغبة له في ترك الأمور للصدف والتوقعات ، ومن الصعب على المرء أن يشير إلى أن "روي فرير" ليس ملاحاً ماهراً ، بل أكثر من ذلك بالرغم من أنه ما يزال شاباً لم يبلغ الثلاثين من عمره بعد عندما وصل إلى الرأس قائداً لأسطول ضخم ، تمكن به من خلق رعب في جميع البحار وسواحل الشرق .

قد ترك انطباعاً حسناً عن مدى ما يتمتع به من صفات قيادية وجرأة استثنائية وجهد جبار ، وكأنه الشبح الصاعق للشخصية العظيمة "افونصو دى البوكيرك" . أحياناً لا يكون التاريخ هو من يثير إعجابنا بما فيه من حيوية ونشاط .

أحياناً تدهشنا قوة التحمل ، القوة العضلية والذكاء والمرونة التي هي سمة من سمات الأجيال السابقة ، فتوقعات معدل حياة الأفراد كما يخبرنا الإحصائيون قد ارتفعت نوعاً ما ، غير أن حياة الفرد تتقلص طبيعياً في امتدادها ، وتزداد في حماستها وشدتها .

هذا ودون الرغبة في مخالفة أولئك السادة في ملاحظة للمعدلات سلبياتها ، وأنها ربما تكون صحيحة أو غير صحيحة إلا أنها توضح تلك الظاهرة .

غادر "روي فرير" موزمبيق في الثالث من شهر مارس عام ١٦٢٠م ، وقضى ثلاثة أيام فقط في "ممبسا" قبل أن ينطلق مبحراً إلى مدخل البحر الأحمر حيث أرسل اثنتين من سفن "الاوركا" كفرقة متقدمة ، وهناك انضمت إليه السفينة "إس بدرو" ، وبقية سفن الأسطول التي تقدمت للإبحار في مياه بلدان المسلمين للقيام بعملية التطواف والحراسة .

في "طيوي" تمكنوا من التزود بالمياه ، وذلك بعد أن قضوا ثلاثة أيام دون أن توزع عليهم مياهاً على متن الأسطول ، وفي طريقهم تمكنوا من الاستيلاء على مركب ضخم تابع للبربر (المسلمين) ، وكان مسلحاً بثلاثة مدافع وقذائف المنجنيق ، غير أنهم أصيبوا بأضرار بليغة وفي ظل النقص الذريع الذي ما زال ماثلاً ، أصدر "روي فرير" أمراً بالإبحار إلى مسقط ، ومن هناك إلى هرمز .

على مبعدة من "طرم باغ" أي حوالي ميل واحد من وجهتهم أمر "روي فرير" بالتوقف رغبة في فض النزاع ، وإخفاء حالتهم المزرية التي تبعث على الأسى ، وفي العشرين من شهر يونيو تمكن الأسطول من الرسو بعد رحلة استمرت أكثر من ثلاثة شهور بعد أن غادر موزمبيق ، وأربعة عشر شهراً بعد مغادرته "لشبونه" .

كانت هرمز تحكم بواسطة أحد القادة من ذوي الخبرة ، وهو الكابتن الموقر "د . فرانسيسكو دى سوسا" ، غير أنه أصبح عجوزاً ومريضاً ،

ولقد حضر إلى السفينة مع كبير مسؤولي الخزينة "مانويل بورجيز" ؛ كي يحصل على بعض المال بعد أن ساءت أحوال الجنود بسبب نقص المال خاصة .

قد كانوا يعانون الجوع والمرض ، وبالتالي فقد أعطيا خمسة وأربعين بطاكس فوراً ووعداً بأنهما سوف يتلقيان ستة بطاكس أخرى عند وصول الأسطول إلى هرمز التي تمثل وجهته الآن ، ولكن ستكون هناك فترة استراحة قصيرة ؛ نظراً لحدوث واقعة مؤسفة أربكته نوعاً ما .

في إطار رد فعل يتسم بعدم المبالاة لتجاوز المشكلات والمخاطر التي مرت ، كان بعض جنود الحملة قد أبدوا عدم المراعاة وعصيان الأوامر ، وعندما تكرر ذلك كانوا قد لجأوا للاحتماء من تدخل السلطات بمنزل "غونسالو دا سيلفيرا" الذي استمر في حمايتهم والإنفاق عليهم من حسابه الخاص ، وعندما أمره "روي فرير" بتسليم تلك المجموعة أعلن له رفضه .

حينها توجه القائد إلى المنزل ، وشب النزاع بينهما ، وأمر بأن توضع الغلال في أيدي الأميرال ، ويبدو أن نظام مدرسة "افونصو دى البوكيرك" الذي كان ناجحاً في الاستيلاء على المقدرات الهندية ما يزال لحسن الحظ باقياً في الذاكرة حتى الآن . كان على ذلك الشاب المغامر بعد أن تجاوز بمعاناة تلك المعاملة القاسية أن يتذكر فقط أن يصحح خطأه بإنجاز جديد وبسالة أفضل عن تصديه لحماية المتمردين .

أما عملية وضعه في السجن ، فسوف تكلفه أقل من عدم السماح له بمرافقة "روي فرير" في مشروع المخاطرة القادمة ، فالقائد كان يرغب

فـي الاستمرار لأجل احتلال جزيرة قشم بشكل عاجل ، وبناء قلعة في تلك الجزيرة التي تمد هرمز ، وتزودها بالكثير من الاحتياجات اللازمة والمؤن .

كان القائد العجوز في هرمز قد أدرك أن هذا الأمر سوف يعطي الفرس ذريعة لمقاطعة حتمية ، ومن ثم أقنع "روي فرير" بأنه يجب عليهم بداية أن يبلغوا حاكم الهند بموجب المراكب التي تستخدم في النقل ، والتي يفترض أن تبحر في شهر أغسطس بمراسلة رسمية إلى "غوا" عن وصول الأسطول ، وعن شؤون وأوضاع المملكة في الجانب الفارسي .

إلى حين استلام الرد ، يترتب عليه أن يأخذ حملة بحرية إلى "رأس جاسك" لأجل إعاقة محاولات البريطانيين ؛ لتصدير الحرير من ذلك الميناء ، ولقد كان قد تم شرح الأمر مسبقاً أن هذا النشاط يمثل خسارة حقيقية ملموسة لتجارة البرتغاليين ، وأضراراً بليغة بعائدات مملكة الهند بشكل عام ، وهرمز بشكل خاص .

كانت الحملة قد جُهزت ونظمت بشيء من السرعة ، ومؤخراً كان "جواو بورالهو" "Joao Boralho" قد وصل قادماً من أوروبا ويقود سفينة "أوكر" ، وقد طلب منه "روي فرير" أن يقود السفينة "اس مارتنهو" بدلاً من "غونسالو دا سيليفرا" .

تقرر أن يتولى "فرانسيسكو ربيرا" قائد المركب الشراعي ، الذي كان حاكم الحصن قد أرسله في الآونة الأخيرة لأجل تعزيز تلك الحامية قيادة سفينة "الأوكرا" التي لم يبق عليها سوى أربعة مدافع فقط بعد أن تخلفت وتفككت أجزاؤها .

كانت هذه السفينة ، "اس لورينسو" ، بما تحمل من أسلحة تبلغ أربعة وعشرين مدفعاً ، قد تم تضمينها في الحملة التي يتولى قيادها "بالتازار دي شافيز" ، هذا إلى جانب السفينة "نوسا سينهورا دا كونسيكاو" "Nosa Senhora de Consicao " ، والتي يتولى قيادتها القبطان "بدرو دى مسكويتا" ، والتي جلبت معها من البرتغال واحد وعشرين مدفعاً .

أما السفينة "إس بدرو" ، فهي ما زالت موجودة بصفتها سفينة العلم المزودة بأربعة وستين مدفعاً ويبلغ عدد بحارتها مائتي بحار ، كما تحمل من الجنود حوالي أربعمائة جندي مدرب ومحارب ، وكذلك كانت السفينة "اس مارتنهو" بصفتها سفينة الأميرال وهذه تحمل على متنها مائة وعشرين بحاراً .

أما عدد الجنود التي تحملهم فيبلغ مائتين وخمسين جندياً ، ويبدو أن الأسطول قد زاد حجمه بعد إضافة ثلاثة مراكب "غاليوت" بقيادة كل من "فرانسيسكو دى بريتو" ، و"أنطونيو ليناو" و"فرانسيسكو دا كامارا" .

لقد تم تكليف أول هؤلاء القباطنة بمسؤولية هذا النوع من المراكب الخاصة بعمليات النقل ، كما كانت هناك أيضاً خمسة مراكب من أخف أنواع مراكب العرب ، التي يتم استخدامها لنقل السلع والبضائع في الساحل ، وأيضاً في مهام الاستطلاع والاستكشاف ، ونقل الأخبار والرسائل .

جميع هذه الأسماء لابد من أن تترك بصماتها ، وآثارها في ذاكرة التاريخ ، وربما كان هناك الكثيرون ممن يجب أن يتم ضمهم ، وباختصار ضمت الحملة ألف جندي من ذوي الخبرة والتجربة في مثل تلك

العمليات ، هذا بغض النظر عن البحارة وبعض المغامرين الذين رغبوا في المشاركة والإبحار على نفقتهم الخاصة .

في الخامس عشر من شهر نوفمبر أبحر الأسطول ، ومن ثم تمكن الرسو على مبعدة من "جاسك" مقابل أحد المساجد ، وذلك في أعماق تقدر بحوالي عشرين قامة ، ولقد توقف بشكل مستعرض في مواجهة القرية ، وكانت المدافع المنصوبة على جانب السفن كفيلة بتدمير القرية وتسويتها بالأرض .

لقد بدأ "روي فرير" عمله بإرسال رسالة "للسند" و"غوادور" وكلاهما ميناءين تحت نفوذ البرتغاليين ، وذلك بغية تحذير سفن التجارة ، كي تتجه إلى هرمز عن طريق مسقط ؛ وذلك تفادياً لمواجهة البريطانيين الذين يقومون بتطهير وتنظيف الساحل .

بعدها كان ينتظرهم بهدوء كامل . بعد أن قام بإنزال اثنين من جواسيسه ، كي يستكشف الوقت الذي يتوقع قيامهم بجمع بضائع الحرير الذي يجلب إلى هناك بواسطة طرق التجارة الجديدة التي تستخدم تحت التجربة . على كل يبدو أن عامل البريطانيين آنذاك ، هو المدعو "إدوارد منوكس" ، وهو من أكثر الوكلاء نشاطاً وخبرة ، كان قد عاد من أصفهان رأساً أو مع أولى القوافل التجارية التي شرعت في نقل الحرير ، ولقد اكتشف وجود الجواسيس البرتغاليين .

من ثم وجه إليهم دعوة لزيارته في منزله حيث أحسن معاملتهم ، وأرسلهم إلى القائد "روي فرير" ومعهم من الهدايا ما يلي : ست أبقار ، وخمسة شياه (خرفان) ، ومائة دجاجة وحزمة من الحرير بداخلها قبعة

فارسية فخمة ، لها قمة مخروطية الشكل من المخمل الأخضر أشبه بقبعات شخصية النتجان مطرزة بخيوط ذهبية ، ومبطنة بالفرو ، وذلك كهدية منه لسعادته ، وعلى كل حال لم تكن تلك الهدايا من النوع العادي على الإطلاق ، وإنما هدايا فاخرة تثير الدهشة .

سوف يكون من السهل جداً على "روي فرير" أن يقوم بانزال مجموعة صغيرة من رجاله ؛ يمكنهم القيام بتدمير تلك المحطة الابتدائية بالكامل ، ومن ثم الاستيلاء على جميع البضائع التي تم تجهيزها لأجل السفن البريطانية المفترض وصولها قريباً .

كان ذلك سيكون أسرع تصرف ، التصرف البريطاني الأول الذي يمكن أن يقال إنه تصرف عملي . عموماً كان "مونكس" بما له من أعذار يعقد عليها الآمال ، ويعول كثيراً على شهامة وفروسية القبطان البرتغالي من واقع ما يتمتع به من كرم تقليدي ، أو بالأحرى سماحة فطرية وطبيعية متأصلة في نفوس البرتغاليين بشكل عام ، ربما كانت تمثل سر عظمتهم وعظمة قوتهم وبالمثل نقطة ضعفهم الكبرى .

قبل "روي فرير" تلك الهدية ، ورد عليه بهدية من عنده أرفق معها رسالة ظل المؤرخ المعاصر مخلصاً لها بصفة دائمة ، وهناك بعض الحالات تؤكد أن ترجمتها كانت على النحو التالي :

"مما لا شك فيه أن سمعة سيادتك كجندي ، وشهرتك في جميع مناطق العالم لا تقل عن تلك المنتشرة في الهند . أما كمحارب فليس لي إلا أن أضعك في محل القائد العظيم . أناشد سعادتك أن تحرص

على وضع هذه القبعة على رأسك ساعة مواجهة أسطولنا ، وذلك حتى يتمكن قائد قواتي من تمييزك كأعظم القادة الذين يحارب ضدهم" .

بعد أن ترك الوكيل البريطاني ، وأغفل أمره مع شحناته من الحرير ، عمل "روي فرير" على إرسال بعض الوجبات المنعشة من أوروبا ، وبالمثل قبعة بيضاء من "سيلان" زُينت حوافها السفلى بالذهب ، كما زُينت بشريط من الماس ، أضف لذلك وجود بعض الريش و"ابزيم" فضي اللون ، وفي الحقيقة كانت القبعة تبدو بمثابة عمل إبداعي عظيم ، يشهد ببراعة الصانع ، وإتقانه صناعتها بحرفية ومهارة عالية .

لقد أرفق مع تلك الهدية الخطاب التالي :

"إنني أقدر فضل سيادتكم ، وتكرمكم بقبول الهدية المرسلة لسيادتكم شريطة أنه عندما نلتقي أن يتكرم القائد – الذي أنتظر قدومه في هذا الميناء – بوضع هذه القبعة على رأسه" .

هكذا يبدو أننا مقدمون بالفعل على مشاهدة واحدة من أبرز المساجلات المرعبة المسبوقة ، بعملية تبادل التفاخر بالبسالة ، على النحو الذي وصفته الكتب القديمة التي ذخرت بالحديث عن النبالة والفروسية .

الفصل الثالث : معركة جاسك

في نهاية أحد أيام شهر ديسمبر ، وكان ذلك يوم السادس عشر ، كانت هناك سفينتان ومركب شراعي تبحر مجتمعة في المسار المؤدي إلى "جاسك" ، وحينما تم رصد حركتها في البحر ، انطلقت صافرة الإنذار من بوق سفينة العلم ، ومن ثم بدأت المطاردة بقيادة السفينة "الأوركا" "كونسيساو" .

سرعان ما غيرت السفن الثلاثة المشبوهة مسارها في محاولة منها للمراوغة ، وبحلول الليل أشعل أسطول البرتغاليين مصابيحه كما أرسل طوفاً يحمل بعض المشاعل في محاولة لخداع السفن المطاردة .

كانت السفينتان "هارت" و"ايجل" / تؤولان إلى أسطول الكابتن "شيلينج" / وحسبما يُروى فقد غادرتا إنجلترا في شهر فبراير ١٦١٩م ، أي منذ مضي شهرين قبل إبحار "روي فرير" من "لشبونه" .

أما المركب الشراعي فيؤول للبرتغاليين ، وكان قد تم الاستيلاء عليه أثناء إبحاره في رحلته من "ديو" إلى هرمز ، وذلك بعد أن أزاح البريطانيون طاقمه من البحارة البرتغاليين واستمر هروبهم .

كان "روي فرير" قد عمل على متابعتهم ، وكان بوده أن يتعرف على الأقل على موقع تواجد العدو ، وفي نهاية الفترة الصباحية دنت السفينة "كونسيساو" من المركب الشراعي ، وأطلقت قذيفتين ، لكن تعالت صيحات الموجودين فيه بأن من يوجد على متنه هم برتغاليون فقط .

بالتالي تولى الأسطول حراسته إلى أن عاد أدراجه للبر ، وعمل على الرسو ، وقام "روي فرير" بتزويد المركب بالمياه والبسكوت واللحوم ، وأمر طاقمه بالتوجه إلى هرمز والاحتماء بها هناك .

لقد علم بوجود البريطانيين في "سورات" ، ويتوقع منهم بعض الاعتداءات ، وقد ظلت سفن البرتغاليين تراقب بحذر المنطقة الواقعة على طول الساحل ، متنكرة بصفة مراكب محلية وديعة مسالمة ، وكان على متن إحداها القبطان البرتغالي "بدرو جوميز دى أزيفيدو" متنكراً في زي أحد المسلمين بحيث يمكنه الاقتراب من أية سفينة يواجهونها دون إثارة أية شكوك .

في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر ، وحينما تم تزيين الأسطول بكامله بالإعلام احتفالاً بعيد المسيح ، وصل "بدرو جوميز" قادماً "جوادور" في أحد الزوارق الخفيفة ، حاملاً أنباء اقتراب أسطول البريطانيين القوى .

وقد أشار إلى أن الأسطول يتكون من أربع سفن ومركب شراعي ، ويبدو أن سفينة العلم قد زودت بستة وستين مدفعاً وسفينة الأميرال بثمانية وخمسين مدفعاً وسفينة نائب الأميرال البحري بثمانية وأربعين مدفعاً والزورق الشراعي بستة وثلاثين مدفعاً .

كانت هذه السفن الأربعة التي تمثل أسطول الكابتن "شيلينج" هي : السفينة "لندن" والسفينة "هارت" والسفينة "ايجل" والسفينة "رويبك" . أما السفينة الخامسة ، فهي سفينة برتغالية تؤول إلى قائد مسقط ، وقد تم الاستيلاء عليها عندما كانت متجهة إلى "شول" .

يمكن رؤية سفن العدو في الظهيرة ، أما أسطول البرتغاليين فبعدما أُطلقت قذيفة إشارة التقدم عمل على نشر الأشرعة الأمامية والأشرعة الثانية والإبحار قُدماً لمواجهة سفن العدو ، وقد استقل "روي فرير" سفينة العلم "اس بدرو" رافعاً العلم الأحمر متجهاً صوب سفينة العلم الخاصة بالبريطانيين ، كما أمر برفع الأعلام التي تحمل الألوان الملكية مؤكداً على نواياه بالهجوم بإطلاق قذيفة ، جاء رد البريطانيين ممثلاً في إطلاق ثلاثة قذائف .

بعد ذلك أطلق أحد المدافع السفينة "اس بدرو" قذيفة عيار ثلاثين رطلاً من أعلى سطح المركب اتجهت مباشرة صوب السفينة "لندن" . وجاء

الرد على هذه من أحد المدافع المنصوبة في الجهة المستعرضة أصابت طرف الجزء المخصص للسكن في السفينة البرتغالية .

يبدو أن تلك كانت إحدى الوسائل المتبعة لتبادل التحايا بين الخصمين ، لكن بحلول الظلام تم تأجيل المساجلة ، إذ لجأ البريطانيون إلى طي أشرعتهم وإلقاء المراسي ، والشيء نفسه فعله البرتغاليون .

في أحد الزوارق الخفيفة بدأ "روي فرير" جولته ؛ لتفقد قطع الأسطول لإعطاء توجيهاته وأوامره ، حيث أوصى الجميع بالاعتراف والحصول على السر المقدس ، كما أوصى جنوده بضرورة توخي الحذر وعدم ترك أي شيء مضيئاً .

كانت الأوامر التي زود بها "غونسالو دا سيلفيرا" عندما غادر موزمبيق قبل عدة شهور ، تتضمن صوراً تعكس مدى الحرص والحذر الذي يجب أن يتخذ في مواجهة الأعداء ، وتجدر الإشارة لذكر البعض من تلك التوجيهات :

"ليكن معلوماً للجميع أن بحوزتكم كميات كبيرة من علب الرصاص وأشرطة الطلقات المتسلسلة ، والقنابل اليدوية والروافع وبعض العتلات الخاصة باستخدامات المدافع والقذائف العادية .

لكي نتجنب حدوث أي ارتباك أثناء القتال يجب أن تتأكدوا من الآن فصاعداً أن كل من يعمل على حمل هذه المعدات القتالية ، وكل من يتولى مسؤولية نقلها أن يتوخى أقصى درجات الحذر في نقل البارود .

يجب أن يبقى الملحقون من الكهنة والأطباء الجراحين على ظهر

الأسطول بصفة دائمة ، كما يجب أن يبقى الحرفيون بالقرب من منطقة الماء تحسباً لأية أضرار يمكن أن تحدثها سفن العدو في الأسفل ، وذلك كي يتمكن الحرفيون من إصلاح العطب في وقته ، وإذا ما تعذر عليهم الإصلاح من الخارج باستخدام الأخشاب والألواح والسدادات ، فبوسعهم استخدام البطاطين والحشوات والمراتب والوسادات وخلافها ......

في سفننا الكبيرة تبدو السطوح هامة ولابد للجميع من حمايتها ؛ وذلك عن طريق استخدام الحبال القديمة من الخارج وبالفراش والمراتب من الداخل ، ولابد من أن يؤدي هذا العمل بواسطة من يجيدونه .

قبيل ساعة الاشتباك يجب أن يصار إلى تخزين كميات كبيرة من المياه في البراميل في السلوقية ، وفي أعلى مقدمة السفينة وفي منطقة الوسط ، وذلك كي يسهل استخدامها بشكل سريع ، كما يجب التأكد من مليئ ما يكفي من براميل وأوعية تخزين المياه للإفادة منها في مسح وتبريد الأسلحة وإبقائها رطبة .

من الطبيعي أن يظل أسطول البريطانيين يقظاً طول الليل لإجراء ترتيباته "لكن من غير الاعتراف ، ولقد نجح "مونوكس" في الاتصال بالقائد "شيلينج" حيث قدم له القبعة الرائعة التي أرسلها "روي فرير" .

في الصباح الباكر ، وبعد تناول الإفطار ، وتوجه الرجال إلى مواقعهم ، واستجابة للقذيفة التي انطلقت من سفينة العلم ، بدأت آلة الشوم تعزف نداء الصباح ، أعقبتها صافرة متعجرفة من بوق إيذاناً بالتقدم ، وصدر الأمر إلى جميع سفن المعركة بالانطلاق تتقدمها السفينة "إس بدرو" التي ما تزال ترفع العلم الأحمر .

مجموعة أخرى من الأعلام مثلثة الشكل والشعارات ، وكأن هذه السفينة قد زينت بغرض الظهور في مهرجان خاص ، فهناك الأعلام الملكية التي رفعت فوق الصارى الرئيس ، وقد حملت راية الطاقم صورة سيدنا المسيح عيسى ، وهو معلق على الصليب .

هكذا كان الأسطول البرتغالي قد أعد نفسه للمعركة ، ففي مؤخرة المركب كان الزورق الشراعي "اس لورينسو" تليه السفينة "نوسا سنحورا دا كونسيساو" ثم السفينة "اس مارتنهو" سفينة الأميرال بأعلامها الملكية فوق الصارى الأمامي والعلم الأحمر للسر المقدس فوق الصاري الرئيس .

تقدم أيضاً الأسطول البريطاني بنفس الأسلوب بأعلامه وراياته ، فكانت سفينة العلم ترفع العلم الملكي ذا الصليب الأحمر فوق الصاري الأمامي ، وعلماً أصفر لجيش القائد الكابتن "شيلينج" فوق الصاري الرئيس ...

مسيحيون يزحفون ضد مسيحيين ، وهناك على البر يوجد الفرس والملحدون والمسلمون ومسجدهم ، الذي يتلألأ بجلاء وفخر يرقبون هذا المشهد بكل سخرية .

عندما اقتربت سفينتنا علم الطرفين المتنازعين من بعضها بحيث لم تعد المسافة التي تفصلهما أكثر من مدى إطلاق قذيفة البندقية ، عملت كل منها على طي الأشرعة وطي أشرعة صارى المؤخرة ، واقتربت كل سفينة من الأخرى ، وكان منظرهما فوق مياه البحر أشبه بجزيرتين عظيمتين "هكذا وصفهما الكاتب" ، وبدأ البحر والرجال

يرقبون بقلق كبير ما سيحدث ، وخيمت على المشهد فترة طويلة من الصمت الرهيب .

فجأة ظهر في وسط السفينة "اس بدرو" القائد "روي فرير" ، وهو يرتدي حلة حمراء قانية اللون من وبر الجمال بحيث لا يمكن أن يقول أي شخص أن أسلحة العدو يمكن أن تخطئ تمييزه وإصابته ، وهو يرتدي القبعة الفارسية التي أرسلها له "مونوكس" ، وكان يقف إلى جنبه اثنان من الخدم ، يحمل الأول سيفه ودرعاً أحمر اللون ، وهو درع دائرى تقليدي ، ويحمل الآخر زجاجة خمر وكأساً .

أما في وسط السفينة لندن فقد برز القائد "شيلينج" مرتديا حلة قرمزية اللون ، وعلى رأسه القبعة السيلانية التي أرسلها "روي فرير" إلى الوكيل البريطاني ، وكان يقف إلى جانبه خادم يحمل زجاجة خمر وكأساً .

وقف القائد "شيلينج" ليملأ كأسه ويشربه نخب البرتغاليين ، وكان "روي فرير" أول من بادر هاتفاً (هجوم لأجل ملك البرتغال) ، وصرخ "شيلينج" هاتفاً (فلنضرب باسم ملك بريطانيا) ، وقام القائدان بإلقاء كاسات الخمر في البحر ألقى كل واحد كأسه نحو الآخر ...

عندئذ سمع صوت صافرة من سفينة العلم البريطانية حيث أطلقت من جانبها المستعرض الذي نصب عليه ستة وستين مدفعاً ، وكان هذا أمر متوقع من قبل موظف الأمن ، وهو الضابط المسؤول عن مدفعية الأسطول ، وكان جندياً محارباً عظيماً ذا خبرة واسعة ، وكان قد ضغط على "روي فرير" ؛ كي يدعه يواجه معركته ضد الإنجليز حسبما يراه مناسباً .

عندما سأله القائد ما يعنيه بقوله ذلك بين للقائد أن الإنجليز في هجومهم الأول لم يعملوا على الاقتراب من السفن البرتغالية على الإطلاق ؛ لأن سفنهم صنعت أجزاؤها بالأسفين الخشبي ، وبالتالي لن تصمد أمام أي قصف مدفعي ثقيل ؛ لذا عملوا على تغيير أوزان ذخيرتهم .

في الهجوم الأول استخدموا قذائف زنة اثني عشر -خمسة عشر رطلاً ، وعندما تبينوا أن العديد منها عندما أصاب السفن لم يحدث الدمار المطلوب ، بالتالي ولكي تحدث ضرباتهم الضرر والدمار لا بد لهم من استخدام قذائف ثقيلة .

كان هذا الرجل على حق ، وقد وافق "روي" على ذلك ويبدو من الواضح أن البريطانيين سوف يدفعون الكثير والغالي لقاء هذا الدرس ، إذ إنه لم يحدث أن قاموا ببناء سفينة إلا في عام ١٦١٠م ، وهي لأجل الرحلة السادسة للشرق ، وكانت ذات حمولة الألف ومائة طن ، وقد أطلق عليها اسم "تريدرز إنكريز" ، وقد تم بناؤها في "دبتفورد" ، وكانت قد دشنت في مناسبة كبيرة بحضور الملك "جيمس" ، غير أن الجنوبيين قاموا بحرقها في عام ١٦١٣م .

كانت قد انقضت عدة سنوات قبل قيام الكابتن "ميليت" ببناء سفينة أخرى باسم "لويال ميرشانت" في عام ١٦٦٠م ، أنذرت بقلاع بحرية مستقبلية .

حسب تكهنات المسؤول عن المدفعية فقد اقتربت السفن البريطانية من سفن البرتغاليين حتى قابل "جؤجؤ" كل سفينة مثيله في السفينة الأخرى ، وعندها اندلعت عاصفة الرصاص والقنابل والقذائف

المدفعية فاختلط الحابل بالنابل ، استعملت جميع وسائل الدمار من قنابل عنقودية وأسلحة فتاكة مدمرة ومدفعية ثقيلة .

حينها سقط الصارى الرئيس للسفينة "لندن" على سطح السفينة ، كما سقط الصارى المزين أيضاً ، وبسقوطه سقط جميع الرجال الذين تواجدوا في منطقة سطح السفينة ، أما سفينة العلم البريطانية ، فإنها لم تجد وسيلة للتخلص من ذلك الموقف لإنقاذ نفسها سوى الهروب .

هنا قامت إحدى السفن بمحاولة لتغطيتها أثناء هروبها غير أن "بالتازار دي شافيز" هاجمها بشراسة حتى تمكن من كسر صاريها ، وهكذا استمرت المعركة شرسة وعنيفة بين الطرفين بحيث لم يتم التأكد من الطرف المنتصر فيها .

لكن بشكل عام تركزت جهود البريطانيين ؛ لأجل كسر التكوينات البرتغالية والاستيلاء على الميناء الذي لا يبدو أن القائد "روي فرير" على استعداد للتنازل عنه مهما بلغت الخسائر ومهما كلفه الأمر .

عندما جن الليل وأظلم ، ظهر التردد على الطرفين المتحاربين ، فبعد أن استمر أسطول البرتغاليين يحارب ويجاهد لاعتراض تقدم السفن البريطانية ، محاولاً الدفاع عن الساحل ضد أية هجمات جديدة أو أي هجوم كاسح من قبل البريطانيين ، عمل أخيراً على الرسو في الميناء .

بينما ظل العدو غير راغب في الانسحاب ؛ وذلك خشية ضياع شحنة الحرير القيمة التي بقيت في انتظاره على البر ؛ لذا فقد قام بإشعال النيران في سفينة مسقط ، ومن ثم قام بقطرها والدفع بها تجاه السفينة "اس بدرو" التي تمكنت بأعجوبة من تفادى السفينة المحترقة .

كانت هناك فترات استراحة قصيرة بعد عاصفة إطلاق النيران الشديدة التي استمرت طيلة ذلك اليوم ، وقد ظل التراشق بأسلحة المدافع منذ الخامسة صباحاً وحتى السابعة مساءً ، وقام القائد "روي فرير" في نهاية تلك الليلة بجولة تفقدية في سفن أسطوله .

تبين أن البرتغاليين قد فقدوا خمسة وعشرين قتيلاً وبلغ عدد الجرحى تسعة وأربعين جندياً ، لكن ضمت قائمة القتلى اثنين من أبرز رجاله يعتبران بحق وحقيقة بمثابة قمتين وهما "جواو بورالهو" قائد السفينة "اس مارتنهو" أحد أشجع القادة الذين شهدت ببطولاتهم مملكة الهند قاطبة وكان "روي فرير" قد استدعاه للعمل كأميرال بدلاً من "غونسالو دى سيلفيرا" ، وأيضاً المدعو "بدرو دى مسكوتا" قائد السفينة "كونسيساو" .

أمر القائد بتعيين كل من "مانويل ربيرو" كقائد لخط النار ، وكذلك المدعو "فيرناندو ربيلو" بدلاً من "جواو بورالهو" ، ويعتبر القائد الجديد الأخير هذا أحد القادة الكبار في الهند ، وهو جندي ومحارب مقدام ، وأمر بأن يتم حفظ جثمان الراحل "بارالهو" في أحد البراميل وإضافة بعض الملح للمحافظة على الجثمان ؛ لأجل نقله كي يدفن في هرمز تكريماً له على الخدمات الجليلة التي أداها .

عند الصباح الباكر دوت قذيفة انطلقت من سفينة العلم إيذاناً للأسطول برفع المراسى والشروع في مهاجمة سفن البريطانيين التي بدأت بدورها في التقدم رافعة أعلامها ، وكانت السفينة "لندن" تتقدم من الجانب الذي تهب منه الرياح بعد أن تم إصلاحها ، ولكن عندما

تبينت أن السفينة "اس بدرو" هي الأخرى تتقدم نحوها عملت فجأة على تغيير اتجاهها ، وبالمثل تبعتها السفينة الأخرى وحذت حذوها ، وكانت أشرعتهما مملوءة بنسيم البر .

دهش البرتغاليون لهذا المشهد ، وزادت دهشتهم أكثر عندما قامت مجدداً بتغيير مسارها أيضاً نحو البر ، ثم أبحرت مبتعدة تماماً من منطقتهم .

إثر ذلك ألقى أحد الرجال بنفسه في البحر من إحدى السفن البريطانية ، وظل يسبح في اتجاه السفينة "اس بدرو" وبعدما تم انتشاله من الماء تبين أنه برتغالي كان قد ألقي القبض عليه من سفينة مسقط ، وقد أدلى هذا الرجل بمعلومات هامة إلى "روى فرير" ، وذكر أن البريطانيين قد تكبدوا خسائر فادحة ، وأن الكابتن "شيلينج" قد سقط ميتاً مع ثلاثة من قادة السفن ، منهم قبطان سفينة العلم البريطانية "عريف الملاحين" في السفينة "لندن" .

بلغت خسائرهم في الأرواح سبعين قتيلاً كما بلغ عدد جرحاهم مائة وعشرين جريحاً ، ولكن ما زالت أعدادهم تبدو كبيرة مع مجموعات كبيرة من الأسلحة ، غير أن ما يعوقهم هو التزامهم بشحن بضائع الحرير المرسلة من أصفهان ، فالجزء الأول والأكبر حجماً قد وجد طريقه براً عن الطريق الذي فتح مؤخراً ، لكن ماذا يقول الشاه ، وماذا تقول إدارة الشركة؟ وماذا يقول ملك بريطانيا الملك جيمس؟

سوف يسعى البريطانيون بالقيام مجدداً لدخول الميناء ليلاً ، لتحميل بضائعهم سواء بتجنب مواجهة البرتغاليين أو بالمراوغة ، ومحاولة خداع

فرق المراقبة البرتغالية ، وإذا ما تعذر كل ذلك فسوف يقومون بشن هجوم متطرف وسوف يستمرون في القتال دون توقف حتى آخر قذيفة لديهم ، وذلك في محاولة نهائية لإغراق السفن البرتغالية .

السفينتان الكبيرتان تم تزويدهما بأفضل المدافع والأسلحة التي كانت لدى بقية السفن الأخرى ، وفي الوقت الذي تحاول الأولى الاشتباك وتفريق السفن البرتغالية تعمل الأخرى ، للاندفاع نحو القوة المحاصرة لتدمير السفن والمراكب .

كان ذلك الهارب على حق فيما قاله ، فقد قتل القائد "شيلينج" ، وبالمثل قتل ربان السفينة الذي أصيب بقذيفة مدفعية من قذائف سفن البرتغاليين ، وقد قيل إن هذا الربان هو من اكتشف ممر "بافن الأمريكي" الذي يحمل اسمه ، لكن البرتغاليين لا يقرون ولا يعترفون بذلك . عموماً كانت خسارة البريطانيين جسيمة إذ أصابتهم لعنة حبهم للحرير .

القائد "روي فرير" يمكنه ومن مسافة بعيدة دون رفع المرساة أن يلقنهم بكل سهولة درساً قاسياً إذ بإمكانه إرسال موجات من الدخان الكثيف ، وبوسعه أن يقبض على الوكيل البريطاني وبعض عناصر الشاه ، وفي مقدور المخلصين من أتباعه أن يعملوا على نصب المشانق لهم في وسط الساحة .

سيبدو هذا تصرفاً مقبولاً في ظل التقاليد والنظم العسكرية ، وأثناء الحرب في ذلك الوقت ، ومن المحتمل أن تتركه السفن البريطانية بسلام إذا ما لجأ إلى مخابئهم في "سورات" ... لكنه لم يفعل .

الأسلوب نفسه تكرر خلال الاثني عشر يوماً التالية ، فقد تقدم

البريطانيون بسفنهم وتمكن البرتغاليون من طردهم بعيداً ، وعادوا مجدداً للتجول هنا وهناك ثم عملوا على الهروب ، وهكذا أنهكوا البرتغاليين من خلال إجبارهم على رفع مراسيهم تارة وإلقائها في البحر تارة أخرى ، واللجوء إلى نشر الأشرعة ثم طيها وبالمثل تعبئة الأسلحة ثم تفريغها ... إلخ .

بشكل عام يعمد الكُتاب البريطانيون الذين بحوزتهم كميات كبيرة من الوثائق النزيهة ، والمتجردة من أرشيفاتهم التي تؤكد حقائق الروايات البرتغالية على تجاهل وتشويه الصور الحقيقية لتلك الوقائع .

حتى صديقى "دانفرر أورد" في تقريره الرائع (سجلات فارس والخليج الفارسي) أن أسطول "روي فرير" اتجه بعيداً لاستجماع قواه في هرمز ، ومن ثم عاد إلى موانئ "جاسك" لمواصلة القتال في وقت لم يكن بحاجة للعودة ؛ لأن البريطانيين سوف يحصلون على شحنات الحرير والهروب بها .

لم يرتكب "روي فرير" هذا الخطأ ، وإنما ارتكب خطأ أفدح منه ، فهو يعلم ما يشغل بال البريطانيين ، ولهذا فقد ظل باقياً في المرسى ، وكلف "فرانسيسكو دى بريتو" بمهمة حراسة ومراقبة الساحل ومدخل النهر .

ذلك حتى لا يتمكن البريطانيون من الاتصال بالبر ، ولقد أعد سفنه وجهزها لمواجهة السفن البريطانية في المرسى ، ولقد كان ذلك ضد وصية المسؤول عن المدفعية ؛ إذ أصر كل منهما على أن يحارب بالسفن ، وهي في حالة الإبحار إذا ما كان لابد من الحرب .

لكي يزيد من مأساة هذه الخطة ، ويجعلها أكثر كارثية أبقى السفن

في حالة رسو إلى جانب ربطها مع بعضها البعض بحبال وكوابل متينة ، وبهذه الطريقة على حسب قول الكاتب ، فقد ربطت ببعضها كالعصي وسفينة الأميرال في المؤخرة ، وبالتالي كونت تلك السفن ما يشبه حاجز الأمواج حيث جعلت السفينة "اس بدرو" في أحد الأطراف والسفينة "اس مارتنهو" في الطرف الآخر ، وبالتالي كونتا معقلاً حصيناً ، وأحكمتا إغلاق الميناء ، ولكنهما لا تستطيعان الحركة أو الهجوم في البحر .

عند شروق شمس يوم السابع من شهر يناير بدأ البريطانيون ، وهم أكثر قلقاً ، للقيام بمحاولة أخيرة ، وبالفعل تقدمت السفينتان بمساعدة رياح هادئة وديعة بحيث لم يثر هدوء البحر وسكونه وقد رست السفينة لندن بالقرب من السفينة "اس بدرو" بحيث يمكنها بجؤجؤها مهاجمة "كوتل" سفينة علم البرتغاليين ، والتي بدورها هاجمت سفينة أخرى للإنجليز ربما كانت السفينة "إيجل" .

حينها انفجرت قذيفة مدفعية أدت إلى قطع حبال مرساة السفينة "اس بدرو" ، ومن ثم سقطت على السفينة "اس لورينسو" التي تمكنت من تخليص نفسها بسبب هبوب رياح نشطة آنذاك ، لكنها لم تتمكن إلا من استخدام أسلحتها المنصوبة في مقدمتها .

أما السفينة "إس مارتنهو" والتي تجمدت في مكانها ، فإنها لم تتمكن من استخدام أي من أسلحتها ؛ لأن في ذلك يكمن خطر حقيقي على بقية رفيقاتها من السفن ، وفي ظل سكون وهدوء الرياح أو بمعنى أدق عدم هبوبها ، استمر هذا الاشتباك غير المتعادل بحيث أصبح من الصعب على المشاهد ترجيح الطرف الغالب .

لقد تكبد البرتغاليون خسائر بليغة لكنهم بالرغم من ذلك استطاعوا الدفاع عن أنفسهم بشجاعة ، وعندما أظلم الليل اتجه الأسطول للرسو ، واتخذ القتال منحى آخر ، إذ عملت أطراف الصراع على التوغل في البحر وأصبحت معظم السفن تعاني من ثقوب كثيرة بفعل القصف ، وظل الجنود يجاهدون معظم اليوم في إصلاحها ، إذ امتلأت سفن البرتغاليين بالمياه ، وبدت عمليات الإصلاح ملحة وعاجلة .

أما الخسائر فقد بلغت أعداد القتلى مائة وستين قتيلاً ومائتين من الجرحى . لكن كان الأمر الأكثر خطورة هو ذلك الميناء الذي أصبح مكشوفاً دون حماية ؛ لأنه إذا ما تمكن البريطانيون من الرسو هناك ، فلا شك أن البرتغاليين سوف يقفون في وجههم ويمنعونهم من الخروج في اليوم التالي .

في تلك الليلة هبت عاصفة عنيفة ، استمرت ثورتها مدة خمسة أيام ، وتناثرت السفن في حالة مزرية ، فأنهكت قوى الرجال ، وكانت تلك هي إحدى العواصف العنيفة التي تعرف بالرياح الشمالية الشرقية ، وتعرف عند العرب باسم (رياح الشمال) التي تظل تضرب منطقتي الخليج الفارسي ، وبحر العرب ابتداءً من شهر أكتوبر وحتى شهر يوليو .

عندما تحسنت أحوال الطقس عاد أسطول البرتغاليين إلى "رأس جاسك" بينما اختفى أسطول البريطانيين بعدما تمكن من تحميل شحنات الحرير الغالية ، وقام الجنود بدفن القائد "شيلينج" بالقرب من إحدى القرى الفارسية .

في مكتبة مكتب الهند هناك وثيقة مسجلة لم يسمح لي وقتي

بالاطلاع عليها . وكانت قد أرسلت من "جاسك" إلى الشركة بتاريخ الثالث والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢١م بواسطة "رتشارد بليث" ، "روبرت سوان" ، "كريستوفر براون" و"وليام بافن" ، ولابد أنها تضمنت تقريراً عن المعركة .

يبدو أن الموقعين الأربعة على هذه الوثيقة ، قد كانوا قادة السفن ، ومن المؤكد أن "ريتشارد بليث" كان القائد الأعظم ، ولقد ظهر في السنوات التي تلت ذلك بصفة الوكيل في تلك المناطق ، ولكن في السنة التي سبقت ذلك كان يعمل في أسطول القائد "شيلينج" ، ومؤخراً كان قد ظهر مرة أخرى كقائد لأكبر أسطول يوجه ضد البرتغاليين .

حقيقة لم تُلحق أية هزيمة بالقائد "روي فرير" غير أن دوريات الاستكشاف والحراسة لم تكن موفقة وناجحة ، وقد صُرف النظر عنها في ذلك العام ، وقد اتجه الأسطول إلى هرمز دون أن يستقبل بإطلاق أي قذيفة كتحية له بسبب حالة الحداد المعلنة بموت "جواو بورالهو" ، وقد ظهرت سفينته "اس مارتنهو" متشحة بالأعلام السوداء .

قد حمل جثمانه في موكب جنائزي مهيب اتجه للكنيسة الرسمية كي يدُفن هناك . أما الجرحى فقد نقلوا للمستشفى ، وهو من أنظف وأفضل المستشفيات قاطبة في الهند ، (وهذا ما يقوله الكاتب) .

ماذا تعني لنا هذه الوثيقة؟ كل شيء ؛ لأن شؤون "جاسك" قد كانت بمثابة ستارة رفعت عن أعظم ، وأشهر مأساة عرفت آنذاك ، فالفرس وملوك الهند قد تمرنوا على التفاخر بالصراعات التي تقوم بين الأوروبيين ، فالخان في "شيراز" يدرك تماماً الصعوبات التي يعاني منها البريطانيون .

بالتالي ، فإنهم يقومون باحتجاز قوافل الحرير عند عبورهم "موغستان" ، وبعدها يمنعون بشكل رسمي أن يؤخذ الحرير خارج البلاد من "جاسك" ما لم يلتزم البريطانيون في البداية بمساعدة الفرس لطرد البرتغاليين من هرمز .

الكتُاب البريطانيون وحتى "دانفرز" يتجاوزون سريعاً هذه الحلقة ، وهي حلقة فريدة ، لكنهم يشوهونها ولا يعطونها حقها من الأهمية والإيضاح ، ولا شك أن لهم الأسباب والدوافع ، ولكنها خاطئة ، فالاتفاقية المؤلمة ، مؤلمة كانت أم رديئة- خاصة بعد أن تبين أنها تدفع الأجور ، وإنها ليست سوى مؤامرة للسلب والنهب - أفرزت نتائج تركت آثارها في صفحات التاريخ .

إنني حقيقة سعيد بالقول وفي يدي هذه الوثيقة ، الآن يمكنني أن أثبت للبريطانيين عدالة وأمانة الكُتاب البرتغاليين ، وهم متهمون في معظم الأحيان بالمبالغة والمحاباة والتحامل عندما يتحدثون عن الحقيقة المجردة ... ، وهذا ما أفكر فيه دائماً!

الفصل الرابع : حملة قشم

توفي نائب الملك "د . جواو كوتنهو" "كوند دى رودندو" في "غوا" ، وذلك في نهاية مدة حاكميته التي امتدت ثلاث سنوات ، وفي ظل التعاقب على الحاكمية فقد آل الأمر بشكل مؤقت إلى السيد "فيرناو دى البوكيرك" ، وهو سيد كهل ذو خبرة واسعة وكان يقيم في الهند ، وقد تولى أمر الحكومة بعد يومين أي في يوم الثاني عشر من شهر نوفمبر عام ١٦١٩م .

هذا الرجل هو ابن "استيفاو دى بريتو" قائد "بانوياس" و"فارو" ، وكان والده قد تزوج "د . فابولاتي دى بريتو" (وهي الزوجة الثانية) الابنة غير الشرعية لشخص آخر اسمه "استيفاو دى بريتو" ، سيد البحر في "بيجا" ، وبالتالي كون أسرة باسم مزدوج ، وهو ابن لذائع الصيت "فيرناو جوميز دا مينا" ، الذي اشتهر باكتشافه ساحل الشمال الغربي من إفريقيا ، وكان "استيفاو دى بريتو" قد أنجب خمسة أبناء اتجهوا جميعاً للعيش في إفريقيا والهند .

أما "فيرناو دي البوكيرك" الذي اقتبس هذه الكنية لأسباب غير معروفة فقد ولد في منتصف القرن السادس عشر وربما كان ذلك في عام ١٥٤٩م ، وفي ربيع عام ١٥٧٤م برز كأحد القادة الذين عملوا تحت إمرة "فيرناو تيلز" ، وقاد عمليات التطواف التي شملت المناطق الشمالية كلها .

كان قد حارب ضد خمس من سفن "الملبار" واستولى عليها جميعاً ، كما استولى معها أيضاً على إحدى السفن القادمة من مكة وعمل على قطرها عائداً إلى "غوا" في الثامن عشر من شهر إبريل ، ومن ثم قفل راجعاً إلى منطقة التجوال في الثامن عشر من شهر نوفمبر ، وهو ما يزال قبطاناً للطوافة بعد تولي "د . جواو دا كوستا" "Joao da Cosat" القيادة .

في ١٥٧٥م كان قد حارب في "جيبار" بالقرب من "بارسيلور" ، كما حارب مؤخراً في مدخل "شاليام" ، وكانت حركة هذه المدة ضد "ساموريم" التي دمرت "بارابانقوليم" .

"فيرناو" هذا كان رجلاً قوياً يتمتع بقوة جسدية وعقلية عظيمة

وحباه الرب بقدر واف من الذكاء وسرعة البديهة والاستقامة ، وعندما انتهت فترة إنجازاته تزوج في عام ١٥٧٩م من "ماريا دى ميراندا" ابنة "ماركوس رودريغيز دى فاركاس" قائد الفلبين ومن "انيس دى ميرندا دى أزيفيدو" وهما من أوروبا وكلاهما قد حصلتا على عائدات من ممتلكات لهما في الهند .

كانت الأوضاع الحكومية التي ورثها "كوندي رودندو" من السوء والفساد ، بحيث تبعث على الأسى ؛ إذ لم توجد أية أموال في الخزينة ، وحتى العائدات التي يدرها مركز جمارك "غوا" ، قد رهنت لبعض رجال الأعمال الذين يقومون بجمعها وتقديمها كقروض بفوائد كبيرة للحكومة السابقة .

أما بقية المصادر الأخرى ، فإما أنها غير موجودة على الإطلاق أو تضاءلت مواردها لحد بعيد ، وكان من المفترض أن يتم تسليح مراكز ومحطات التفتيش والتجوال ، لكن لم يتم تجهيز أي أسطول سوى الأسطول الخاص "بكانارا" . أما أساطيل الشمال وتلك الموجودة في "ملبار" و"راس كومورين" فما تزال غير جاهزة .

هذا وقد أطلقت أيادي البريطانيين والهولنديين لأجل تطهير السواحل وغدا الحكام المحليون أكثر تمرداً وغروراً ، مما جعل كل الأطراف تنادي بالمساعدة ، وتراكمت أجور العاملين في الحصون كمتأخرات واجبة الدفع ، وكان هناك القصور والنقص في الأفراد الجادين ممن يعول عليهم ، أما السفن فهي نادراً ما تأتي من البرتغال ، وحتى القادمة منها ، فإنها تبدو في حالة عوز يرثى لها .

كان أسطول عام ١٦١٨م المكون من ثلاث سفن واثنتين من سفن "الأوركا" يبحر بشكل منفصل تحت قيادة "د . كريستوفاو دى نورونها" ؛ لذا فقد وجد نفسه فجأة في وسط مجموعة من سفن الأسطول القوية بدأت بالاستيلاء على السفينة "اس سبستياو" بقيادة الكابتن "مانويل ربيرا" كما استولت من نورونها على جميع الأموال التي بحوزته قبل أن تدعه يواصل رحلته إلى "غوا" حيث أجريت له محاكمة تسببت في زجه في السجن بسبب ذلك العمل الشائن .

من بين السفن الأربع التي أبحرت تحت قيادة "د . فرانسيسكو دى ليما" من ميناء "لشبونه" في عام ١٦١٩م ، أي قبل أربعة أيام من رحيل "روي فرير" ، كانت السفينة "باريز" ، وقد وصلت مكسورة الصاري ، واتجهت غرباً لقضاء الشتاء في موزمبيق . أما بقية السفن فقد تأخرت كثيراً في الوصول ، هذا إن كانت قد وصلت بالفعل .

بدأ "فيرناو دى البوكيرك" أول ما بدأ بوضع حد حاسم لحالة الاضطراب والانفلات والإباحية ، وكل ما يتعلق بالفساد من سلب واختلاس في أموال الخزانة الملكية ، ولقد عمل على فصل إيرادات مركز الجمارك بحيث إنها أصبحت في شهر فبراير عام ١٦٢٠م في مأمن من أيدي الدائنين ومن يقومون بتسليف هذه الأموال للغير .

أمر أيضاً بضرورة إبحار أسطول الكناري ، كما أمر بإعداد وتجهيز البقية للإبحار بصورة متعاقبة ، وتولى عملية إرسال المساعدات إلى "ملقا" ، كما أن أُولى الأمور التي خصها بعنايته هي تعزيز قوة هرمز وذلك حين أرسل "د . فرانسيسكو دى سوسا" ، وهو من كبار القادة

من ذوي الخبرة ، على رأس قوة قوامها تسعة وتسعون جندياً بكامل ذخيرتهم ومعداتهم العسكرية .

عندما تبوأ الشاه عباس الأمور في فارس في عام ١٥٨٤م ، كانت فارس قد دخلت مرحلة جادة من إعادة البناء والتوحيد ، غير أنه ولوقت ليس بالقصير ظل الأتراك من جانب والتتار من جانب آخر منهمكين في استنزاف طاقات الملك الشاب عبد الله خان الزعيم القوى للاوزبك Usbak ، الذي ينازعهم حول ممتلكاته في خراسان .

في الشمال تمكن الأتراك من خلال غاراتهم المتكررة من إعاقة جهوده في ترسيخ هيمنته وبسط نفوذه .

لم يكن هذا يحدث في الشرق وحده بل أيضاً في "لشبونه" . استمرت تلك الهجمات ؛ نظراً لهيمنة البرتغاليين على الخليج الفارسي ، وفي الثامن عشر من شهر فبراير عام ١٥٩٥م أرسلت من "لشبونه" رسالة ملكية تضمنت حث نائب الملك ؛ كي يحتاط في تعامله مع الشاه ، فكان قد دخل في حرب ضد الأوزبك غير أن الهدنة التي وقعها مع الأتراك بسبب ذلك ما زالت معلقة .

هي تؤكد بوضوح أهمية المحافظة على روابط العلاقات الودية مع هذا الملك بغية إقناعه وتشجيعه على حرب الأتراك ، وأيضاً لصرف نظره عن تلك المناطق حتى لا يلتفت إلى هذه ويعمل على فرض نفسه عليها والمطالبة بها .

لكن تغيرت الأوضاع بالكامل ، فقد تمكن عباس من فرض السلام على الأتراك ، واستطاع طرد التتار ، وبالمثل فرض هيمنته ونجح في

ترسيخ وتوحيد سلطاته . كما هجر أيضاً العاصمة القديمة "طهران" ونقل بلاطه إلى مدينة أصفهان ، وهي تقع في منطقة استراتيجية بالقرب من أقاليم الجنوب قليلة السكان .

أما هرمز في الجنوب والتي تخضع لنفوذ البرتغاليين ، فهي تماثل "تبريز" تماماً حيث لم يتمكن الشاه عباس من انتزاعها من قبضة الأتراك .

من المؤكد أنه ليس من أتباعه الذين يحكمون سيطرتهم على الحدود والسواحل وممن يخضعون لسيادة ونفوذ البرتغاليين وهيمنتهم التقليدية من يحلم بمعارضة سياسة الشاه باستثناء هرمز فقط ؛ لأنها في ظل استغلالها التقليدي ليس فقط من الناحية السياسية ، وإنما أيضاً من الناحية الأثنوجرافية تجد الحماية التامة من قبل الحكم البرتغالي .

الجميع بما فيهم الشاه قد خدعوا من جانب منافسين أوروبيين آخرين ، وكان أكثرهم قوة واستحكاماً خان شيراز الذي قدر له أن يفرض نفسه على مجريات سياسة الشاه أو اختيار الشاه له كوكيل أساسي لبذل جهوده لأجل طرد وإقصاء البرتغاليين .

أما شيراز التي تعتبر "مركز المعرفة" خلف "بيرسيبولس" الكلاسيكية ومكان مولد حافظ الشاعر الفارسي ، فهي البلاط الثاني والمدينة الثانية في فارس وعاصمة فارس أو ما تعرف بفارستان ، وهذه أغنى وأجمل أقاليم الإمبراطورية قاطبة ، وتمتد جنوباً على طول ساحل الخليج على حدود قشم ، ومن ثم حتى "رأس جاسك" على الساحل .

لعل أكبر نقطة ضعف الشعوب الفارسية المجبولة على حب القتال قد كانت وما زالت كراهيتهم الفطرية والمتوارثة للبحر ، فقوتهم البحرية

التي أصبحت بأيدي البرتغاليين التي تهدد المدن والقلاع لم تتمكن من فرض هيمنتها على الخليج بالرغم امتلاك البرتغاليين مجموعة من السفن المتواضعة تتحكم بها كمفاتيح للخليج والساحل ، وعموماً ، فإن تجارة الفرس في المحيط الهندي تخضع لسيطرة البرتغاليين في هرمز ، وفي "صحار" ، وفي مسقط وبقية الموانئ الأخرى .

يعي "فيرناو دى البوكيرك" ويؤكد أهمية تجنب حدوث أي وقف أو انقطاع ، واضعاً إلى جنب النقص الحالي في مصادر الدخل التي يعتبرها نتيجة كارثية أرهقت المصادر التي ما يزال البرتغاليون يستغلون عائداتها من تجارة هرمز والخليج ، ويعتقد أنه لابد من الإسراع لتأمين الأوضاع في هرمز وتهديد جيرانها وإجهاض أية نزوة يمكن أن تطرح عليهم من واقع ذلك الانقطاع .

بعد أن أبحر "فرانسيسكو دى سوسا" تم إرسال كتيبة تعزيزية جديدة وبعض الإمدادات والمعدات العسكرية بواسطة كل من المحامي "فيرناندس" و"فرانسيسكوربيرو" ، وهما من القادة العظام ممن يُعتمد عليهم ، كما أعد مساعدات أخرى سيعمل على نقلها بواسطة اثنتين من السفن المجهزة في بداية العام المقبل .

كانت الأخبار الواردة والجديدة التي أرسلها القائد في هرمز حتى بعد مغادرة "روي فرير" وحادثة الجاسك غير مرضية أو مقبوله نوعاً ما . أما وصول التعزيزات المتلاحقة فقد كان لها أثرها المرجو ، وجاءت استجابة خان شيراز سريعة عندما طلب منه "د . فرانسيسكو دى سوسا" إعادة مبلغ خمسين تومان كان قد استولى عليها عنوة من

أحد السكان المقيمين في هرمز ، وذلك عندما طلب منه أن يسمح له بالعودة لمنزله .

كما كان الحال في الماضي فقد استمرت حركة التجارة ولكن بزيادة عدد التجار الذين سبق أن ابتعدوا عن هذا المجال وتركوه ، وباختصار بدأت القلعة هادئة كثيراً وتتمتع بعلاقات حسنة مع جيرانها .

لكن ليس كل ما يلمع ذهباً ، إذ لابد من إرسال المزيد من التعزيزات كي تحل محل القوات الأولى ؛ لأن منهم من قتل ومنهم من سيهرب ومنهم من أصبح غير لائق صحياً لأداء الخدمة ويترتب أن يتم ترحيلهم مع "روي فرير" .

حتى أولئك الجيران فبالرغم من أنهم مسالمون ظاهرياً فربما انقلبوا على أعقابهم لمحاولة نهب هذه المدينة التي يطمعون فيها كثيراً ، وإذا ما حدث ذلك ، لا قدر الله ، فسوف تظل المدينة مهينة لسنوات عديدة ، وقبل المخاطرة بالقيام بأي عمل ضد البرتغاليين ، يترتب أن يقوموا بمحاولة أولية ولن تكون هذه المرة الأولى لتسوية الحسابات مع الذين خضعوا لهم : ملك هرمز وعناصره والمدن الغنية التي تشملها حماية البرتغاليين .

لكن "روي فرير" قد وصل ، وبموجب الأوامر والتوجيهات التي صدرت له فهو ملزم بالإذعان لأوامر الحاكم وتوجيهات أخرى تلزمه باحتلال وتحصين قشم . أما "د .فرانسيسكو" فقد عمد إلى تحويل اهتمامه لحملة "جاسك" ، وبعد أن تلقى "فيرناو دى البوكيرك" في الوقت نفسه أخباره وأخبار فشل تلك الحملة ، فإنه لم يُضع كثير وقت في التشاور مع القائد الشاب وتحذيره فيما يتعلق بأمر هذه المغامرة الجديدة .

إنما نصحه بالحضور إلى "غوا" كي يتسلم السفينتين اللتين تم تجهيزهما له هناك ، ومن ثم يمكنه العودة لأخذ ثأره وأيضاً مساعدة السفن المبحرة في طريقها من البرتغال بنائب الملك الجديد .

في ظل تداعيات الأحوال في الوقت الراهن ستكون عملية احتلال قشم عملاً طائشاً غير حكيم . بل إن أصحاب السعادة الوزراء في مدريد ينظرون لهذه الأعمال بالكثير من عدم الاكتراث واللامبالاة لأنهم لم يروها عن قرب .

حتى ولو حدث ذلك ، فإن جلالة الملك قد أمر بأن يصار إلى بناء إحدى القلاع في قشم إذا ما سمحت الظروف بذلك ، وهذا ما لم يفعلوه ؛ لأنه إذا ما كانوا مرتبكين وحيارى إذن ما فائدة إنشاء القلعة في وقت تنعدم فيه كل المقومات الأساسية التي يمكن من خلالها تأمين القلعة وحمايتها؟ إذ حينها سيكون الهدف فقط هو إعطاء الفرس ذريعة لقطع العلاقات .

إذا ما فشل البرتغاليون في المحافظة على قشم ، وترتب عليهم الانسحاب فلا شك أن الفرس سوف يقدمون على مهاجمة هرمز ، وبهذه الحرب سوف يبدأ البرتغاليون في استنزاف كل المصادر التي يمكن بها مساعدة هرمز وبقية القلاع الأخرى في ظل تداعي الأوضاع الراهنة في مملكة الهند .

يجب عليه أن يتخلى عن تلك المغامرة وشرح الوضع وتوضيحه إلى "لشبونه" وانتظار نائب الملك الجديد وتأمين وصوله سالماً لأن الأسطول الذي سوف ينقله ربما يواجه عمليات عرقلته أو حتى سقوطه في أيدي

الأعداء الأوروبيين ، ولعل أهم من ذلك كله عملية ملاحقة ومحاربة أولئك الأعداء ، فتمرد الحكام المحليين يجب أن يواجه بكل الحزم لسحقه ، كما يجب أن تتم حماية الملاحة وحركة التجارة في المملكة .

في رسالة بعث بها إلى "روي فرير" في الثلاثين من شهر مارس عام ١٦٢١م كتب الحاكم :

يجب عليك أن تتذكر أنه يجب علينا ألا نثير حفيظة الشاه حتى يقدم على الدخول في الحرب معنا ، ويجب ألا تتوقع أن تحصل على أية مساعدات مالية من هنا لأجل الإنفاق على الحرب ، وإذا ما حدث ذلك فسوف يعمل الفرس على إغلاق موانيهم أمام سفننا ، وبالتالي سوف تجف موارد التجارة ، وبالمثل مصادر دخل مركز الجمارك ، وعموماً سوف يهلك كل شيء .

بعد قضية "جاسك" وتداعي الأوضاع في هرمز ، بدا "فيرناو دى البوكيرك" قلقاً مشغول البال إذ ربما خشي ألا تجد توصياته العقلانية أي اهتمام من قبل ذلك الطائش المتهور "روي فرير" ؛ لذا كان خوفه من الفشل كبيراً .

بعد أن علم بانسحاب أسطول البريطانيين إلى "سورات" قام بإرسال السفينتين اللتين بذل في سبيل تجهيزهما جهد كبير خاصة فيما يتعلق بأمر تسليحهما وتزويدهما بالمواد والمؤن حيث بلغ عدد الجنود المئات والمدافع حوالي ستة وخمسين مدفعاً إلى جانب أكثر من خمس وسبعين كوينتالاً من البارود ، وثلاثمائة وخمسين من كريات الحديد وخمسمائة وخمسين شريطاً من الطلقات ومعدات قتالية كثيرة أخرى وأدوات الصيانة .

لأجل إيجاد قيادات ذات كفاءة عالية للسفينتين المذكورتين ، لجأ إلى استدعاء أحد أبناء النبلاء الفارين وبالمثل كان عليه إخراج قائد آخر من السجن ؛ نظراً لما يتمتعان به من خبرات قتالية نادرة وشجاعة مشهودة .

"وفي ظل الأوضاع الحالية لم أكن أعلم بوجود شخص مناسب ، يمكنني أن أستدعيه كي يقبل بالعمل في تلك المنطقة ، وكان هذان القائدان هما "د . مانويل دى أزيفيدو" و"د .جواودى سيلفيرا" .

قد كان الثاني إلى جانب صهره "جواو كابادو دى غامبوا" هما موضوع الرسالة الملكية التي أُرسلت في الأول من شهر فبراير عام ١٦١٨م حيث ورد فيها أمر يوجب اعتقالهما وإيداعهما السجن أينما وجدا ، ومن ثم أخذهما إلى "غوا" ؛ نظراً للمخالفات التي ارتكباها ضد مطران تلك المدينة .

كان "قامبوا" قد عمل قبطاناً في "ملقا" غير أن ذلك لم يمنع "كوند دى رديندو"- بعدما تلقى الأمر- من إصدار قرار إلى قاضي القضاء باعتقاله وإرساله فوراً مكبلاً بالأغلال إلى إدارة السجن في "غوا" .

حقيقة لا علم لي بطبيعة الجرائم التي نسبت للمدعو "د . مانويل أزيفيدو" والتي اضطرته للانزواء والتخفي ، ومن الصعب علينا البحث عنها الآن ؛ لكن هو الوحيد الذي وقع عليه الاختيار لقيادة هذه الحملة ، وقيادة السفينة "تودو لوس سانتوس" ، كما تم تعيينه أميرالاً للأسطول الاحتياطي .

أما السفينة الأخرى "فيكتوريا" فسوف تكون تحت قيادة "د . جواو دى سيلفيرا" ، ويبدو أن العلاقات كانت متوترة في الماضي بين "روي فرير"

و"أزيفيدو" بشكل يعلم به "فيرناو دي البوكيرك" خاصة عندما كتب إلى "روي فرير" يخبره عن التعيين ، وقد حُسب ذلك عليه بعد المحاكمة .

بعيداً عن حقيقة بقاء هذه التفاصيل غير مؤكدة إلا أنه لا يبدو أنها قد أثرت على مستقبل الأحداث إذ إن الحاكم كان دائماً يحرص على مراعاة كل ما يتعلق بخدمة صاحب الجلالة ، فالظروف الراهنة لا صلة لها بالماضي ، وكان قد أضاف هذا التعبير :

إذا كنت حقيقة على علم بماهية ما يجرى هنا ومدى الصعوبة التي نواجهها لإيجاد رجال محاربين للعمل في السفن ، واستجابة هؤلاء السادة الذين يبحثون عن فرص مثل هذه باندفاع وتعطش للحد الذي يجب أن يتم ردعهم ، فإنك سوف تفهم ذلك جيداً .

في شهر مايو عندما وصلت السفن إلى هرمز ومن ثم تم اتخاذ القرار بشأن حملة قشم ، لم يفكر "روي فرير" في التراجع قط ، وبمجرد رجوعه إلى هرمز من "جاسك" عمل على تفريق سفن الأسطول بعد أن حصل على موافقة عامة ، كما طالب بضرورة عقد اجتماع للمجلس حضره ملك هرمز للتشاور بخصوص احتلال قشم .

أما الملك فهو كغيره من بقية الحكام المحليين المخالفين للبرتغاليين ، فقد كان محاطاً بكل مظاهر الفخامة والتميز من خلال البيروقراطية السلطوية الممارسة وبشكل تقليدي كامل لأجل مصلحة البرتغاليين . كان ملك هرمز رجلاً ذكياً وشجاعاً يعلم تماماً مدى الأخطار التي تهدده على نحو أكثر مما يعرفه البرتغاليون أنفسهم .

يدرك أنه لولا حمايتهم له لكان مصيره الطرد والدمار الذي لا

سبيل لتجنبه أو معالجته ، وليست هنالك من وسيلة تمكنه من إنقاذ نفسه ، ولو عن طريق التآمر والخيانة التي بوسع البرتغاليين وضع حد لها بكل سهولة ويسر عن طريق إعدامه ، أو حتى إذا ما كانت فاعلة وناجحة ، فيمكنهم تجريده من سلطاته وحرمانه من نفوذه بواسطة خصومة وعداوة ملوك الجوار وإذلال الملك الفارسي .

فوراً حضر إلى الاجتماع بحزم وبرسميات حيث كان في مقدمة الموكب جمل بكامل زينته وغطى السرج الموضوع عليه بغطاء مزركش ، وكان الراكب من المسلمين يقوم بالضرب على طبل مموه بالنحاس ، يتبعه آخر يحمل أربع طبلات صغيرة .

كذلك كان هناك أربعة رجال من المسلمين على صهوات جيادهم يحملون شعارات مكتوبة على نسيج حريري أخضر اللون ، تزينه نجوم ذهبية وزينت حاشيته بالذهب وأهلة فضية في الوسط ، كما برزت علامة مميزة ترمز للعدالة .

كان خلف هذه الزمرة مجموعتان تحملان آلات العزف كالشوم وغيرها ، وهناك أربعة أبواق وجماعة من خدم القصر ، وكان الملك على صهوة جواد عربي ، أرقط اللون وضع على ظهره سرج موشى بالحُلي والزخارف ، كما حُظي لجام الفرس أيضاً بالزخارف والأجراس والألوان الوردية ، وغُطيت رأس الفرس بقماش مزخرف عليه ريش الطيور كعلامة للشرف والامتياز .

أما الملك نفسه فقد كان يرتدي قبعة ملكية مقلنسة ذات لون قرمزي

وسروالاً قصيراً من المخمل الأحمر قاني اللون وقميصاً أخضر مذهباً نصف كم يماثل الطراز الفلبيني .

وضع في وسطه وشاح من القماش الفضي وُضع عليه سيف معقوف زُين بالذهب والحجارة الكريمة ، وعلى رأسه العمامة الفارسية من الحرير القرمزي اللون المذهب ... إنه حقاً لمشهد رائع وإلى يساره ، كما جرت العادة في البلاد مكان التشريف ، سار ولي العهد وإلى يمينه القاضي أي ما يعرف بسعادة رئيس الوزراء أو الحاكم الذي كثيراً ما يصبح في بعض الأحيان بمثابة الحاكم الحقيقي (كما حدث ويحدث في بعض البلدان والأزمان) .

كانت مسيرة البلاط الملكي مشهداً رائعاً ، وتم استقباله بكل مظاهر التشريف والحفاوة ، فقد ضربت طبول القلعة وكانت هناك مجموعة من الجنود بمسيرتها على طول الجسر المتحرك ، وهناك ترجل الملك ، كي يرمز على قائد القلعة الالتزام القانوني الذي يجبره على الإمساك بركاب السرج . كما لجأ البرتغاليون إلى التقدم إلى وسط الجسر حيث أسدلوا العلم خمس مرات ، وهي ظاهرة تستوجب على الملك أن يعطيهم مبلغاً يقدر بمائة بطاكاس .

وقف الكابتن "د .فرانسيسكو دى سوسا" عند أول بوابة وبجانبه كبير مستشاري المجلس البلدي ، وكان يحمل مفتاحين فضيين على طبق كي يقدمها راكعاً إلى الزائر الملكي ، وأخذهما ثم ناولهما للكابتن الذي ناولهما بدوره إلى سيد البحر الذي أخذ مكانه بجانب الملك كتفاً بكتف ورافقه إلى أن وصلا قاعة المجلس .

اجتمع الناس في المجلس وافتتحت الجلسة بكلمات قصيرة وحاده "بواسطة" "روى فرير" ، الذي فك أزرار ردائه الإغريقي الطويل واستخرج مطوية الأوامر واللوائح الداخلية التي جاء بها من البرتغال ورسالة كان قد تلقاها مؤخراً ، وبدأ يشرح ويوضح للمجتمعين مجموعة الأوامر التي صدرت إليه تحثه على الدفاع وحماية الميناء وتجارة الحرير في "جاسك" من البريطانيين .

القيام ببناء قلعة في قشم في أسرع فرصة ممكنة" إذا ما كانت الأوضاع في تلك المضائق تسمح بذلك" وقد نفذ الأمر الأول بالفعل ، وأنه على كامل الاستعداد لتنفيذ الأمر الثاني ؛ نظراً للنتائج والفوائد التي تعود لخدمة جلالته من خلال ذلك ، وعن ملاءمة هذا العمل بالنسبة للقلعة ولمملكة هرمز " .

بعد أن انتهى من ذلك قام بتقبيل الأوامر والرسالة ، ثم ناولهما للملك ، الذي ناولها بدوره ، إلى "فرانسيسكو دى سوسا" كي يقرأها بصوت مرتفع . أيضاً كان القائد قد طرح فكرته ثم افتتح النقاش ، وكان يتفق بالكامل مع الحاكم في ظل صلاحية خبرته ومعرفته كمحارب قديم في الهند .

قد صرح بالتحديد أنه كمسيحي وتابع مخلص ، فإنه يرى عدم ضرورة تنفيذ هذا العمل أو وضعه في مسالك التنفيذ لأن ما يعرف عن جدب هذه المنطقة وعقمها يجعل عملية المحافظة على القلعة أمراً مستحيلاً ؛ لأن جميع الإمدادات تأتي من هناك ، وبمجرد الشروع في عملية البناء فسيؤدي ذلك إلى قطع العلاقة مع فارس وسندخل في حالة حرب ضد عدو قوي ،

في وقت تعاني مملكة الهند من ضعف شديد ، واقترح ضرورة تأجيل هذا العمل مبيناً عدم ملاءمته في هذا الوقت .

عموماً ما من أحد كان قد أساء الفهم أو حتى تشكك في ولاء وإخلاص هذا الرجل أو وجهة نظره ، خاصة وقد عُرف عنه أنه قدم أبناءه وحياته وممتلكاته في سبيل خدمة صاحب الجلالة وهو من جانبه مستعد لكل تضحية إذا ما تقرر أن يصار إلى تنفيذ هذا العمل .

المتحدث التالي كان ملك هرمز ، وقد عبر عن نفسه بالكثير من الفخامة والعظمة بما يليق بشخصه الشرقي ، وهو يعلم أن المحافظة على السلام بمثابة الجوهر بالنسبة للإمبراطوريات ، إلا أن كل أطراف البحر الذي تمكله فارس إنما يؤول اليه وإلى ملك هرمز وقشم ، وبالرغم من ذلك ، فقد بيع بواسطة ملك فارس إلى ملك البرتغال .

إذا ما كان القبطان يحجب السبب الذي سوف تعارض به فارس فإنه ، أي ملك هرمز ، لديه من الجنود والمال ما يجعله يذود عنها لأجل ملك البرتغال ضد قوى العالم بأسره . لكن ما لا يمكن السماح به هو أن يتمكن زعيم "قمبرون" باثنين من الزنوج من إزعاج هرمز بسبب حاجتهما للمؤن والإمدادات .

ما كان حماس الملك واستنتاجه من الممكن أن يشكلا هجوماً وبالإضافة لإخلاصه وولائه للبرتغاليين فقد كان يدفع المجتمعين للانتباه لمصالحه الخاصة ، تلك المصالح التقليدية السامية لملكيته سريعة الزوال .

لقد كان هناك متسع الوقت ظل فيه حكام هرمز وقشم بعيدين

من التخلص من ربقة وهيمنة البرتغاليين وتهديدهم . لكن البرتغاليين تمكنوا من إعادتهم مرة أخرى إلى أسوار القلعة ، وعندما قام القائد العظيم "البوكيرك" ببنائها صرح بأنه بوسعها الاستمرار والبقاء دون تلقي أية إمدادات من قشم ، حيث ستكون مؤسسات وممتلكات البرتغاليين أقل أمناً وأقل نفوذا بسبب سهولة الوصول إليها وغزوها من قبل الفرس من البر وأقل تحرراً من جانب البحر .

لكن تعقل وتدبر يدي قوة الهند ، حيث تحكم الأولى هرمز وتتولى الثانية إدارة الأمور مؤقتاً في "غوا" ، يجعلهما يخضعان لاعتبارات الهيمنة والنفوذ خاصة بعد الكلمات الحماسية التي ألقاها ذلك القائد الشاب الجريء الذي وصل مؤخراً من البلاط ليتحدث باسم جلالة الملك ويحمل التفويض والتوجيهات . هذا وقد صوت المجلس لمصلحة مبادرة قشم .

على الفور تم الإعلان عن تسجيل أسماء المتطوعين ، كما تم أيضاً في نفس الوقت تحديد أجور الجنود ، وشُرع في تجهيز وإعداد الحملة ، وعندما وصلت السفن من "غوا" كان كل من الكابتن "د . مانويل دى أزيفيدو" و"د . جواو دا سيلفيرا" قد تلقيا الأمر بالانضمام لهما فوراً بجميع رجالهما وجنودهما ، حيث تركت مجموعة تكفي لحراسة السفن .

أما الأسطول الإضافي الذي أجريت له صيانة كاملة وتم تزويده بقدر واف من المعدات الحربية فقد غدا قادراً على إرهاب قرصنة وتجارة البريطانيين والهولنديين وتشتيت جموعهم وشل حركتهم .

في يوم السابع من شهر مايو عام ١٦٢١م أبحرت الحملة من هرمز

بأسطول ، قوامه ثلاثون سفينة وسفينة شراعية واحدة ، وأوركا واحدة والسفينة "كونسيساو" وزورق شراعي واحد ، والسفينة "اس لورينسو" التي يتولى قيادتها "روي فرير دى أندريد" وكانت تحمل ألفين من أبرز الجنود من ذوي الخبرة تم اختيارهم من بين أفضل الجنود البرتغاليين .

هذا بالإضافة إلى مجموعة من المسلمين يقدر عددهم بحوالي ألف جندي . كذلك كانت هناك مجموعة من مواطني هرمز المرسلين من جانب الملك ، وكان "روي فرير" أشبه بالقيصر عندما قطع مسافة ثلاثة أميال بحرية أي تلك المسافة التي تفصل ما بين هرمز وبين قشم ، وكان قد أعلن الحرب على فارس ، وتحديداً كان الحديث عن الحرب قد سبق هذا .

كان "فيرناو دى البوكيرك" على حق في اعتبارها أكبر المخاطرات ، ولكن أيضاً باعتبار أن "جاسك" و"قمبرون" معروفتان بالنسبة للبريطانيين فقد كان سلطان البرتغاليين ونفوذهم التقليدي منبوذاً نوعاً ما ، إذ تم تحويل طرق التجارة وأرهقت حركتها ، أما هرمز فقد خسرت سكانها وثرواتها وأصبحت فيما بعد ذات حكم عقيم عاجز .

إذا كان لابد أن تخسر الحرب فعلى الأقل يجب أن تخسرها بشرف وكرامة كالمقاتلين القدامى يضحون بأرواحهم ؛ لأجل بقاء هيمنة ومجد القوة البرتغالية ، ولكن أيضاً يمكن أن يكون لها الأثر التدريجي في إحداث الانتكاس والارتداد لعدة سنوات لقائد المسلمين وطمع الأوزبك المنتشر في جميع المناطق العربية وبحار الهند .

الفصل الخامس : تأهب القوة العسكرية للحرب

قشم ، "كشم" ، "أوكشمس" بالفارسية وأما البرتغاليين فقد حرفوها

بحيث أضحت تنطق "بروكت" "فرويت" ، وحتى "جيسين" بمعرفة سطحية بعلم الجغرافيا من جانب الهولنديين ، وهي عبارة عن امتداد بطول عشرين ميلا وحوالي ثلاثة أميال عرضاً يقع في الجانب الآخر من هرمز ، ويفصله عن البر الرئيس مجرى مائي من البحر يعرف لدى البريطانيين باسم مضائق "كلارنس" .

أما الفرس فيسمونها بالجزيرة الطويلة ، أما المستنيرين ، فإنهم يتذكرون أن المكان يسمى "باوراكتا" القديمة ، وتبايناً عن الجزر الصغيرة الأخرى المنتشرة حول الخليج مثل "لارك" و"مامت" و"صيرى" و"شيح" صويب أحد أوكار القراصنة سابقاً ، والبحرين التي اشتهرت بمغصات اللؤلؤ ، وتشتهر قشم بأراضيها الزراعية وخصوبة تربتها ، وهي كثيرة السكان ، ويذكر دليلنا أنها خصبة جداً ومزدهرة .

تنتج الكثير من الحبوب وبها الكثير من قطعان الماشية وتتوفر فيها جميع أنواع الخضر والفواكه ، أما مياهها فهي عذبة ووفيرة ومعظم سكانها مزارعون من هرمز و"فارس" ، وتعتبر أكثر مناطقها أمناً تلك الموجودة في الطرف الشرقي ، وهي عبارة عن ميناء رملي ضحل يناسب السفن الصغيرة فقط .

أما "كونج" ، فهي أكثر المناطق التي تتوفر فيها المياه في الخليج ، ويجب ألا يُخلط بينها وبين إحدى المدن المجاورة التي تحمل نفس الاسم في البر الرئيس ، وتعتبر "كونج" من أولى المشروعات التي أثارت انتباه "روي فرير" .

تتكون قشم من ثلاث قرى ، وقد أخذت الجزيرة اسمها من

إحدى هذه القرى ، وهناك (لفت) في الشمال و"باسيدو" في الطرف الغربي ، وكان أكثر من كاتب جغرافي قد زعم أن هذا الاسم إنما هو تحريف للفظ البرتغالي "امبيكسدور" ، وهناك أنقاض تؤول للبرتغاليين وربما أنها تذكر بـ "أندريد" .

مقابلها على البر الرئيس ووراء منطقة واسعة فسيحة تبدو تضاريس المنطقة عبارة عن تلال ومرتفعات ، وعند سفوح أحد التلال وفي منطقة جافة ، غير صحية ومهجورة تماماً كما هي عليه في الوقت الراهن .

تمكنت حملة "روي فرير" من قطع المسافة من هرمز إلى قشم في غضون ساعات قليلة ، وقد تبين لها أن الشاطئ تحت حراسة مكثفة من قبل القوات الفارسية التي تُقدر أعدادها بحوالي ثلاثة آلاف جندي ، وكان البعض منهم على صهوات الخيول ويحملون البنادق وهناك بعض الخنادق والمتاريس التي يحتمون بها .

عليه تبين أن الفرس هم من خرجوا على شروط الهدنة حيث قاموا بغزوواحتلال جزيرة تعتبر برتغالية أو على الأقل أحد الممتلكات التي تؤول إلى حليفهم ملك هرمز .

كانت سفن البرتغاليين قد عملت على الرسو على مبعدة من الشاطئ ، حيث قضي الجنود الليل في التجهيز للإنزال ، ولقد أصر "روي فرير" على أن يقوم كل جندي بالاعتراف ، وأخذ السر المقدس ، وعند الفجر أمر بتقدم السفن حيث عملت الأوركا والبيناس على قطرها .

بحيث يمكنها الرسو في أعماق ست قامات ؛ لأجل تغطية عملية النزول التي تقرر أن تكون بعيدة على ساحل رملي جيد .

بالرغم من تكاثر الآلاف من الخيالة الفرس ، لكي يمنعوا عملية الإنزال هذه إلا أنه تم التصدي لهم وردهم على أعقابهم ، وذلك باستخدام أسلحة السفينة ، وبالفعل تكبد الفرس خسائر بالغة ، فمن خلال هذه العملية تمكن البرتغاليون من الإسراع في تنزيل ألف بندقية "هاركوبيه" وخمسمائة بندقية مسكيت بالإضافة إلى ألف محارب مسلم من قوات ملك هرمز ؛ لكي يبدأ الاشتباك .

كان "روي فرير" قد تولى قيادة مقدمة الجيش ، وقد عهد للقائد "د . مانويل دى ازيفيدو" بقيادة مؤخرة الجيش ، وقيادة السفن للقبطانين اللذين قدما من "غوا" ، واستمرت السفن في إطلاق نيران أسلحتها على الفرس مساندة القوات التي بدأت في الزحف لمواجهتهم على طول الساحل لمسافة قصيرة ، وذلك كي تتمكن السفن بعد إرساء مقدماتها من تعزيز وحماية الهجوم ، غير أن هذه الوسيلة أثبتت أنها ليست ضرورية حيث سارعت جموع القوات الفارسية بالهروب .

هنا قام البرتغاليون باحتلال معسكر الفرس المهجور ، ومن ثم شرعوا في عمل التحصينات التي استمرت طيلة الأيام التالية .

هكذا لجأوا إلى استخدام الأشرعة التي صنعوا منها خياماً كي تأويهم ، وقاموا بتعبئة البراميل بالتراب لعمل متاريس وحواجز ، امتدت من البحر إلى البجر بواسطة صواري المراكب الضخمة ، ومن الألواح الخشبية الغليظة التي جلبوها في السفن تمكنوا من عمل هياكل لبناء أربعة معاقل حصينة شيدوها جيداً حتى أصبحت بمثابة أماكن وقائية وحصينة .

وقد ملئت بطول أربعة "براكاس bracas" بحيطان بسمك ثمانية أشبار مبنية من الحجر الأزرق الناعم أشبه بالكلس ، ولقد كُسيت الجوانب بالحجارة والإسمنت والجير ، وزودت كل منطقة محصنة بثلاثة مدافع زنة أربعة وعشرين رطلاً .

وعلى طول المتراس الأول الذي أقيم لملء البراميل ، برز الحائط الأساسي الذي أقيم من الحجارة والطين والمكسو بالحجارة الغليظة والكلس بسمك خمسة أشبار ، بشرفته والكوات في الجدار كما تم صنع خندق بعمق أربع براكاس وعرض عشرين شبراً .

تم إنجاز هذا العمل في غضون أيام قليلة ، لكن بكثير من الجهد والعمل المتواصل ، وكان الضباط يعملون جنباً إلى جنب مع الجنود ؛ حيث يقومون بدفع عربات اليد المملوءة بالحجارة والأنقاض ، وهم يحملون أسلحتهم في أيديهم تحسباً لأية أحداث طارئة ، وذلك بغض النظر عن حالة الطقس الحار والترقب الحذر ؛ لتعرضهم لأية هجوم .

تشير الشهادة التي أدلى بها "مانويل بورجيز دى سوسا" ، مسؤول أول إدارة الخزينة في هرمز ، بأن "د . جواو دا سيلفيرا" ذلك القائد الذي جيئ به من السجن كي يتولى قيادة السفينة "فكتوريا" ، قد بذل جهداً كبيراً وساعد في تسيير العمل في الخنادق ، ولقد ذكر أنه رمى بثقله في العمل حيث نقل الكثير من الأخشاب لأجل ملء البراميل وعمل المتاريس ، وقد حرص الجنود في نفس الوقت على بناء المساكن والأكواخ وبعض المكاتب .

أثناء هذا العمل كان "روي فرير" قد علم من جواسيسه بوجود

جيش فارسي يتقدم نحوهم قوامه ستة آلاف جندي تحت قيادة عبد الله حسان .

تولى "روي فرير" توزيع رجاله وضباطه على الحصون ، أما هو شخصياً فقد تولى مسؤولية السفينة "مادرى دى ديوس" بالقرب من البحر ، أما الثانية "اسبريتيو سانتو" فقد عهد بمهمة قيادتها للقائد "ديوغو بيريرا دي ماسيدو" "Diogo Perreira de Macedo" ، وعهد بالثالثة "سانتياغو" للقائد "سيباستياو بيريرا دي ماسيدو" "Sebastiao Perreira de Macedo" .

عهد بالرابعة في الطرف الثاني من البحر وهي السفينة "سانتو أنطونيو" إلى "بالتازار دى شافيز" ، وهو أكثر القادة الذين يثق فيهم "روي فرير" وهو قائد شجاع ذكي ، يجب أن يضاف اسمه إلى قائمة القادة الأبطال في الهند ، واختار "فيرناو دي باروس" "Fernao de Barros" لحراسة مسطبة القلعة . أما الجوانب الثلاثة للحائط الساتر ، فقد أوكل لحمايتها ثلاثة من أكفأ ضباطه .

كانت المأساة جاهزة لتنكشف في أحد الأيام عاد الجواسيس كي يعلنوا أن القوات الفارسية قد أصبحت على مسافة ميلين فقط ، وبعد مضي سويعات قليلة ، ظهرت جموعهم وهم يهبطون من أعلى التلال ، ومن ثم انتشروا على جانب تل مقابل للقلعة ؛ كي ترحب بهم أسلحة مدفعية الحصون .

بعد أن تبين "روي فرير" أنهم غير راغبين في التقدم نحو البرتغاليين قام بإرسال فرقة عسكرية قوية لمواجهتهم ، تقدمت حتى وصلت مزارع

النخيل ، تتقدمها فرقة موسيقية كانت تعزف ألحاناً وإيقاعات حماسية بطبولها في مظهر تحد صريح .

في المساء عادت تلك المفرزة دون أن تحدث مواجهة بينها وبين العدو ، وعند وصولهم قدموا تحية للقلعة وهتفوا كثيراً وأطلقوا قذائف أسلحتهم في الهواء .

كتب "روي فرير" إلى هرمز قائلاً إنه ما يزال حتى الوقت قلقاً ومنزعجاً ، فالفرس انتهزوا فرصة حلول الظلام ؛ كي يتقدموا زاحفين تجاه مزارع النخيل ، خمسمائة خطوة جهة الشمال غرب ، وأوجدوا مكاناً لهم في المنطقة التي كان البرتغاليون قد اكتشفوها قبل ساعات قليلة ماضية .

في صبيحة اليوم التالي شرعوا في إطلاق نيران أسلحتهم الهركوبية بشكل مكثف ، وصاحب ذلك صراخ وهتافات مدوية ، غير أن أسلحة حصون البرتغاليين تمكنت من تدمير تحصيناتهم ، وقتلت مجموعات كبيرة منهم .

في يوم آخر تم تنظيم هجمة قوية هدفت لإجلائهم وطردهم من المنطقة ، وبحيث تولى حوالي ألف جندي برتغالي وأربعمائة جندي من هرمز القيام بهذه المهمة ، وبما أنه صعب التمييز بين رجال هرمز وبين "الفرس" فقد تقرر وضع عصابات بيضاء للتمييز .

كان الجنود قد تم تنظيمهم في فرقتين عسكريتين تولى قيادة إحدى الفرقتين القائد "بالتازار دي شافيز" ، وترتب عليه اتباع الخط الساحل تحت جنح الظلام ، وذلك كي يتسنى له مهاجمة خاصرة الجيش في موقع بساتين النخيل .

أما الفرقة الثانية ، فقد تولى قيادتها "سبستياو بيريرا دى ماسيدو" ، وكان على هذا القائد أن يتجه إلى أحد مقالع الحجارة في جهة الشمال الشرقي لمهاجمة الخنادق ، التي يوجد فيها العدو ويحتمي بها ، وكانت الخطة هي اتخاذ أقصى درجات الحذر ؛ لأن تلك الخنادق تبدو مفتوحة على مستوى الأرض .

كان على الفرقتين التراجع عند سماع البوق أو صوت عيار ناري تطلقه السفينة "اسبريتو سانتو" ، كما صدر الأمر لهم بقتل كل من يعثرون عليه إذ كان من الضروري البطش بالأعداء وإرهابهم .

حظيت هذه الغارة بنجاح كبير ، فقد تمكن "بيريرا دي ماسيدو" من الوصول إلى خنادق العدودون أن يشعر العدو بذلك ، وبالفعل تمكنت الفرقة من قتل ستمائة من الفرس ، وهربت البقية من ذلك الجانب .

كان إنجاز "بالتازار" مماثلاً أيضاً في منطقة بساتين النخيل ، وقد نجحت فرقته في قتل مجموعات كبيرة من الأعداء ، كما أنهم عادوا ومعهم مجموعة كبيرة من الأسرى ، وقد عادوا وهم ملطخين بدماء القتلى ، وحقيقة تمكن البرتغاليون من مفاجأة الفرس وأخذهم بُغتة ، وكانت الخسائر التي مني بها البرتغاليون محدودة بحيث لم يتجاوز عدد قتلاهم سوى بحارين اثنين من هرمز عن طريق الخطأ . أما فرقة "بيريرا" فقد خسرت جندياً واحداً وأصيب ثلاثة بجراح .

أصدر "روي فرير" أوامره ؛ كي يتم تعليق رئوس القتلى في الخارج على أخشاب مجاديف السفن والمراكب ، ولكن بالرغم من التهويل على الفرس وإرهابهم إلا أن هذه الكارثة الرهيبة وهذا التفاخر الدموي ، قد

ضخ في نفوسهم قدراً كبيراً الحماس للحد الذي جعلهم يتقدمون بشكل جريء ، ويقومون بسلسلة من الهجمات الشرسة بشكل وحشي .

كان قد اتخذ في المجلس قراراً بشن غارة قوية أخرى ، وهذه تم تنظيمها كي تنفذ بواسطة ثلاث سريات عسكرية ، قوامها ألفان ومائتا جندي منهم ألف وستمائة جندي من البرتغاليين وستمائة جندي تحت قيادة وإمرة قائد ملك هرمز علي كمال .

هذا وقد قام الجنود البرتغاليون بأداء الاعتراف قبل منتصف الليل ، وفي الثالثة صباحاً بدأوا الهجوم ، وانطلقت مسيرتهم دون قرع على الطبول ، ولكن بالأسلحة في أيديهم .

كانت قيادة مقدمة الجيش قد أوكلت للقادة "جواو بيريرا دى ماسيدو" و"مانويل كاباسو" "Manuel Capaco" ، و"فيرناو دي باروس" و"براس رودريغيز بنها" "Bras Roderigues Benha" و"بيدرو الفاريز" وبعض القادة من هرمز .

أما مؤخرة الجيش فقد تولى قيادتها "روي فرير" بنفسه بمساعدة "د. جواو دا سليفيرا" و"بالتازار دي شافيز" و"ديوغو بيريرا دي ماسيدو" "Diogo Perriera de Macedo" و"جيرونيمو تافاريز" "Jeronimo Tavares" و"لورنسو ألفاريز شامورو" "Lorenco Alvares Chamoro" و"د . مانويل دى سوسا" و"فيرناو ريبيلو" "Fernao Rebeillo" ، و"بيرو جوميز دي ازيفيدو" و"ميجيل بوتلهو" "Miguel Botelho" رقيب أول كتيبة هرمز .

كان العدو قد تحرك بعيداً ، وعند بزوغ الفجر كان الجواسيس وفرق

الاستطلاع قد علموا أنهم قد أصبحوا وراء المعسكر الأول ، أي على مبعدة أكثر من ميل واحد ، حيث احتموا بأحد الجبال . كانت أشعة الشمس لاهبة شديدة الحرارة .

لقد أخذ التعب من البرتغاليين مأخذاً عظيماً ، غير أن القوات البرتغالية تمكنت من قطع المسافة حتى ذلك الجبل ؛ كي تتمكن من مواجهة الفرس وجهاً لوجه ، وكانت قوتهم التي تبلغ ثلاثة آلاف جندي من المشاة وثمانمائة من الخيالة تتقدم نحو العدو بشكل منتظم .

قبيل المغيب ؛ ونظراً لشدة الحرارة والتعب الذي واجهه البرتغاليون أثناء زحفهم ، لم يتمكن البرتغاليون من شن أي هجوم ، وبالرغم من الوهلة التي تمكن فيها "روي فرير" من إرهاب العدو إلا أنه لا شك قد أحس بشيء من الندم ؛ نظراً لتقدمه بعيداً نحو العدو حيث كان قد جازف ؛ كي يحقق إنجازاً كان قد كلفه الكثير من الجهد .

هكذا أعطى أوامره بالانسحاب الذي تم تنفيذه دون أن تحدث أية خسائر أو كارثة ، حيث لم يكن الفرس قد حملوا عليه وشنوا هجوماً كاسحاً ضده ، بالرغم من تعرض كتيبة خيالته التي تمثل مؤخرة جيشه إلى هجمات عنيفة كلفتها الكثير من الخسائر .

عموماً أعقبت ذلك فترة من الهدوء بشكل نسبي ، تمكن "روي فرير" خلاله من رفع أسوار القلعة ، ولقد علم من الأخبار التي وردت من البر الرئيس أن العدو تلقى العديد من المساعدات والتعزيزات ، وكانت قد صدرت أوامر مشددة بحيث لم يعد يسمح لأي أحد أن يغادر القلعة بسبب المرض أو غيره .

لكن نظراً لحرارة الجو المفرطة ، وعدم وجود أية وسائل لاتقاء تلك الحرارة سوى مجموعة من الخيام المصنوعة من القطن ، وفي ظل الرياح السائدة وهي الرياح الشمالية الغربية التي تهب على الساحل ، والتي تسمى "بالفيرم" وهي أشبه بألسنة النيران اللاهبة ، كان هناك ثلاثة من الجنود المغامرين ، الأول منهم باسم "فيليب دا فونسيكا" ويجد هذا الجندي أقصى الاحترام والتقدير من قبل القائد ، وقد اتجه هذا القائد إلى منطقة مقلع الحجارة .

هذه تبدو نسبياً منطقة باردة ، كي يتقي حرارة الشمس ، وهناك التقى اثنين من رجال المسلمين ، يحملان ثمار العنب والتين والبرقوق والشمام والبطيخ ، ولقد أدى ميولهم لهذه المنعشات الطبيعية إلى إقدامهم مرة أخرى للخروج على الأوامر .

كان "روي فرير" على علم بما يحدث لذا فقد خرج مع بعض ضباطه ؛ كي يستطلع تلك المنطقة الريفية ، بحيث تمكن من مفاجأة أولئك الخارجين عن القوانين واللوائح العسكرية ، وبالتالي لم يكن متسامحاً معهم بتاتاً ، بل كان فظاً وقاسي القلب ، وبالرغم من الاحترام والتقدير الذي يوليه لهذا القائد المدعو "فيليب دا فونسيكا" إلا أن ذلك كان قد دفعه لتنفيذ العقوبة الصارمة بحقه ؛ نظراً لأن المذكور خرج على القوانين العسكرية وارتكب تلك المخالفة .

بالتالي قرر أن يجعله عبرة لمن يعتبر ، ولكن لم ينقذ "فيليب" من هذا العقاب سوى دعابة واحدة ، أطلقها أحد الجنود الصغار حيث ذكر "روي فرير" قائلاً إن سيدنا آدم عليه السلام كان قد خرج عن أمر الله

عندما نهاه عن أكل تفاحة واحدة من إحدى أشجار الجنة التي كانت تذخر بكل ما تشتهيه الأنفس من الثمار والفواكه .

غير أنه عصى أمر ربه وقطف تلك التفاحة التي هفت نفسه لها . أما هؤلاء فقد خرجوا على الأمر في ساعة واحدة لم يكن عليهم التزام وذلك ؛ لأجل فواكه كثيرة ومتنوعة يمكن للقائد رؤيتها أمامه الآن ، وهكذا أمكن معالجة الأمر من خلال فكرة أنه بوسع القائد أن يحصل من هذين الرجلين على معلومات مهمة حول ما يحدث في معسكر العدو .

قام القائد بمنح المغامرين مكافأة بعشرة باطاكس شريطة قيامهم بإحضار بائعي الفواكه عند عودتهم ، وهذا ما حدث بالفعل ، حيث إنهم لم يكتفوا بإحضار رجلين فقط وإنما أتوا بأربعة مع ثمارهم ، وكان من السهل أن يتم إقناعهم لأخذ فواكهم لبيعها للجنود في القلعة .

لكن دارت شكوك "روي فرير" حولهم وعمل على استجوابهم وتهديدهم بأنهم ليسوا سوى جواسيس ، لكنهم لم يعترفوا قط ، ولكن كان "روي فرير" على يقين تام بأنهم جواسيس ، وعندما أمر بقطع رئوس ثلاثة منهم في الحال كان ذلك قد دفع بالرابع وهو أكبرهم سناً للتحدث والاعتراف .

بالتالي أقر أنه قائد لكتيبة الخيالة التي يبلغ عدد الجنود فيها ألفي فارسي ، وأنه اضطر للتنكر ، لكن في الحقيقة فهم يحاولون تقييم أوضاع البرتغاليين ، ولعل أفضل معلومة أعطاها ذلك العجوز أن خان شيراز تمكن في "لار" من جمع خمسة وعشرين ألف جندي لأجل تعزيز

قوات صهره عبد الله حسان ، الذي يبلغ عدد القوات التي يقودها ثمانية آلاف من الجنود في قشم .

الآن ، فإنهم ينتظرون ظهور القمر الجديد ، وهو موعد وصول القوات المساعدة القادمة عن طريق البر الرئيس .

كثيرة مثل هذه الطرائف التي تمثل عوامل هامة في مسيرة التاريخ غير أنها في معظم الأحيان لا تجد أي اهتمام أو اعتبار من جانب المؤرخين والكتاب ، ومثل هذه التفاصيل تعطي فهماً جيداً للوضع العام والشخصيات أكثر من أي وصف يُصاغ بعناية ، وهذا ما جعلني أعمل على التريث ، وهو ما سأفعله أيضاً في قضايا وأحداث أخرى ، ولماذا التسرع والعجلة؟

بعد أن تم تسليم الجاسوس الحقيقي لسعادة قائد الجنود ، قام "روي فرير" بإبلاغ هرمز بتداعيات الوضع حيث إنه يحاول حماية الأسوار بحفر خندق مائي لأجل تقوية دفاعات القلعة ، وذلك لأن الفرس هم سادة التخندق والتلغيم ، وقد فاقوا جميع الأمم الأخرى في هذين المجالين .

بعد ذلك اكتشف أنه قد أصبح وحيداً دون أن يجد أهم معاونين له وهما "د . جواو دا سيلفيرا" ، الذي ألم به مرض شديد ، جعله طريح الفراش بعد العمل المضنى الذي أنجزه ، وبالتالي أصبح من اللازم أن يرسل إلى هرمز مع بقية المرضى الآخرين .

الثاني "د .مانويل دى ازيفيدو" الذي هجره بعد حدوث تمرد ضده من خلال هجوم "كيدي غاشم" ، هناك جنديان هرباً للاحتماء بمنطقة مقلع الحجارة بعد أن قاما بطعن الضابط الذي يتولى رئاستهما ، وتوجه

"روي فرير" إلى تلك المنطقة حيث ألقى القبض على المجرمين ثم أصدر أمراً بتكبيلهما وربطهما إلى بوابة القلعة .

السيد "د .مانويل" تعرض لإهانة بالغة ؛ ونظراً لقناعته بأن القائد لابد أن يحيطه بكل الاحترام والتقدير ؛ وذلك لأنه كان في خدمته يوماً ما عندما كان يتولى القيادة في "شول" ، فقد دفعه طيشه وتهوره إلى إصدار الأمر بتجهيز بعض الزوارق والمراكب حيث وضع فيها جميع جنوده ورفاقه ومن ثم غادروا جميعاً إلى هرمز .

عموماً لم يبد على "روي فرير" أي تراخٍ في عزيمته أو نشاطه ، وفي سبيل تعزيز قوة الأسطول الصغيرة قام بإرسال خمسة وعشرين راكباً ومجموعة من السفن ؛ لمنع الفرس بقوة الحديد والنار من العبور من البر الرئيس .

كانت هذه القوة بقيادة "مانويل بوتلهو" يعاونه بعض الضباط المميزين من ذوي الكفاءة ، وهم "جيرونيمو تافاريز" ، "سيباستياو بيريرا دي ماسيدو" ، "أنطونيو بالها" "Antonio Palha" ، "لورنسو ألفاريز شامورو" ، "لويس مارتينز" "Luis Martins" ، "براس رودريغيز بنها" .

"بيرو جوميز دي ازيفيدو" ، "مانويل كاباسو" ، "لويس سيراو" "Luis Cirao" ، "جواو دي أندراد دا جاما" "Joao de Andrade da Gama" ، "مانويل دي سوسا" ، "بيدرو الفاريز دي كاستلهو برانكو" ، "ديوغو دي ماسيدو" و"جاسبار بيريرا بيز" ، و"فرانسيسكو دا فونسيكا" ، "أنطونيو ليتاو" "Antonio Litao" ... إلخ .

على كلٍ حال كان من الجيد جداً إزالة الغبار عن هذه الأسماء

البرتغالية ، وربطها بإنجاز منفرد ومميز في بادرة لإعادة أمجاد البرتغال القديمة ، خاصة إذ يوجد الكثيرون في أوروبا ممن يميلون للحط من قدرها وتشويه سمعتها في خدمة إسبانيا .

في إطار مجموعة السفن الست التي ما تزال بحوزته بالإضافة إلى اثنتين من سفن "البيناكس" ، وعشر "ترانكوين" ؛ كي يبرهن على أن تلك السواحل لا يجب أن ينظر إليها كمواقع حصينة ، قام "روي فرير" بارسال "جواو فيراو دي كاستلو برانكو" "Joao Firao de Castelo Branco" ، وهو من أسرة نبيلة من هرمز ، في ستة مراكب قوامها مائتان من الجنود المحنكين ، تم اختيارهم من الجيش البرتغالي ، أما سفن "الترانكوين" فقد ملئت تماماً برجال هرمز تحت قيادة على كمال ، وذلك بغية اجتياح وتدمير مدينة "كونج" .

تجدر الإشارة إلى أن الإقرار الصادر بخصوص على كمال ، يشير إلى أنه بالرغم من أنه لا يحمل اسماً فارسياً إلى أنه يعتبر رجلاً شجاعاً وشخصية لها اعتبارها ، وكان قد وقف في صف ملك هرمز ؛ كي يثأر لوالده واثنين من إخوته كان الشاه قد قتلهم جميعاً .

كان "فيرناو دي البوكيرك" قد تكهن بالتحديد أن احتلال قشم سوف يتسبب في قطع العلاقات مع فارس ، فالخان المعتد بنفسه في "شيراز" ، وعباس الكبير نفسه الممتلئ فخراً بنصره على الأتراك والتتار ، قد أعلن الحرب على البرتغاليين معتزماً طردهم خارج منطقة الخليج ، لكن قبل "روي فرير" هذا التحدي وعمل على مهاجمة فارس عياناً ؛ كي يحول الخليج بأكمله إلى بركة من الدماء موجهاً ضربات موجعة .

كانت كونج تلك المدينة التجارية أولى ضحاياه لكنها ليست الوحيدة ، فبعد أن ألقى مراسيه ليلاً قام "جواو فيراو" بإنزال حوالي مائة وخمسين جندياً برتغالياً والعديد من البحارة بقيادة الكابتن كمال ، الذي عمل على حرق ونهب جزء كبير من المدينة ، وتمكن من إشعال النار في ثلاث من السفن ، وأكثر من ثلاثمائة مركب صغير كانت قابعة في الميناء ، حيث أخذ الفرس على حين غرة ، ولم يجدوا أية وسيلة لإنقاذهم سوى اللجو للهروب .

في قشم استمر النشاط حيث أكمل بناء حائط بارتفاع ثلاثة براكاسا وخمسة أشبار عرضاً ، وذلك ابتداء من حصن "سانتو أنطونيو" ، وحتى البحر ؛ وذلك لأجل تأمين عملية الإنزال بشكل سليم بشكل دائري تجاه الجنوب الشرقي حتى ينتهي عند الحصن الجديد في البحر ، وفي الطرف الآخر تم بناء حائط مماثل في نفس الاتجاه من حصن القائد ، وبما أن الخندق المائي يمتد على طول هذه الحيطان فقد أصبحت القلعة وكأنها جزيرة .

خلف حصن "سانتو أنطونيو" وحصن القائد ، يوجد بابان في الحائط الساتر بهما سُلم (درج) مخفي من الخارج بفاصل إنشائي ، يقود إلى الأسفل إلى الخندق الذي يقوم بمثابة الحامي للممشى . هذا وقد بنى "برج كافيلير" (١٤) "Cavalier" ضخم يتصل بحصن "سانتو أنطونيو" لأجل حماية الميناء ووضع عليه مدفعاً زنة ثلاثين رطلاً .

هذا العمل الضخم حقيقة لم يشغل "روي فرير" أو يستحوذ على جل اهتمامه ، فنجده قد التفت أيضاً إلى عملية إرسال إحدى السفن

تحت قيادة "فليب دا فونسيكا" و"غاسبار بيريرا بيز" إلى هرمز ، كي يطلب تجهيز سفينتين بكامل مؤنهما لمدة شهرين ، كما أخبرهم كي يأتوا له بأخبار خليجي العرب وعمان ، والتأكد من أخبار "جلفار" التي أصبحت من المدن المهمة في تلك المنطقة ، وما إذا كانت قد ثارت ضد ملك هرمز بصفة أنها كانت تابعة له .

عموماً كانت عودة السفن بعد مرور أربعة أيام فقط ، قد أثارت دهشته ، فقد عبرت تلك السفن بشكل سريع الخليج حتى وصلت "رأس مسندم" ، وأبحرت على طول الساحل حيث اكتشفت أن "جلفار" ليست وحدها الثائرة ، وإنما هناك أيضاً "الرمس" ، وقد استولوا على سفينتين كبيرتين كانتا تنقلان شيوخ تلك المدن إلى فارس ، كي يعلنوا خضوعهم وطاعتهم للشاه ، ويعرضون عليه خدماتهم .

أما "روي فرير" فقد كافأ "فونسيكا" بحيث أعطاه المركب والغنائم التي حصل عليها ، وبالمثل قام بتسليم الشيوخ للسيد مير أغا الدين وهو قائد آخر لملك هرمز الذي حدد فديتهم بحوالي مائة وعشرين ألف بطاكاس .

قام بتسليح ثلاثة مراكب غاليوت كانت قد عادت من مهمتها التفتيشية في "لفت بمدافع زنة ثلاثة وأربعين رطلاً من السفن التي تم تعزيزها برجال هرمز أرسلها تحت قيادة "جيرونيمو تافاريز" ؛ لأجل إخضاع "جلفار" "Gulfar" .

بعد أخذ قوته الصغيرة تلك إلى هناك أشار "تافاريز" للحاكم الثائر ، وهو ابـن أخ ملك هرمز ، أنه يجب أن يسلمه القلعة في غضون أربع وعشرين ساعة .

بعد أن رد عليه بغطرسة ، اتجه البرتغاليون إلى الشاطئ ، ومن ثم أشعلوا النار في المدينة واحتلوا مسجدها ، ثم شرعوا في إطلاق نيرانهم على القلعة . حينها استسلمت القلعة وقام تافاريز بتسليمها إلى علي كمال قائد هرمز مع مائتين من الجنود ، ثم عاد إلى قشم ومعه الحاكم المقهور ومجموعة من الأسرى الفرس .

كان أولئك الأسرى قد انخرطوا في خدمة البرتغاليين بموجب أوامر الحاكم السابق ، ولأجل محاكمة أولئك الأسرى ، قام "روي فرير" بإرسالهم في حملة أخرى تحت قيادة "سبستياو دي ماسيدو" ؛ وذلك لأجل حرق وتدمير "بارامباب" ، وهي قلعة فارسية تقع قبالة هرمز .

في هذا الوقت كان كبير مسؤولي الخزينة ، "مانويل بورجيز دي سوسا" "Manuel Borgues de Susa" قد ذهب إلى قشم كي يدفع أجور الجنود ، يرافقه "أمادو رودريغيز" "Amado Roderigues" المرسل من قبل "فيرناو دي البوكيرك" بصفة قائد إلى "صحار" .

وكان رجلاً عجوزاً تقدم به العمر بعد أن قضى مدة طويلة في الخدمة ، ومرسلاً في ظروف صعبة تقتضي أن يعمل بين مسقط و"مدخل الخليج" ، ولم يزوده "روي فرير" بشيئ سوى بسفينة واحدة وعشرة جنود أو ما يزيد .

بالرغم من جميع الهجمات المضللة التي تمت ، فقد علم أن الفرس قد سارعوا إلى زيادة قواتهم التي كانت متوقعة في أي وقت ، وفي الخامس عشر من شهر يونيو عام ١٦٢١م ، أفاد أحد الجواسيس في تقرير له أن عبد الحسن في طريقه إليهم ، وهو يقود حوالي خمسة وعشرين ألف من الجنود .

عندما علم "روي فرير" بهذا الخبر قام بتجهيز وسائل نقل للعائلات التي تسكن الجزر ، ويبلغ عددها أربعمائة عائلة بكامل مقدراتها من مواشي وعتاد وغيره ؛ لنقلها من ساحل العرب إلى هرمز وساحل الجزيرة العربية ، وذلك حتى لا تطالهم أية أضرار من الحرب بصفتهم حلفاء مخلصين للبرتغاليين .

في النهاية ، أي في اليوم العشرين من شهر يونيو ، ظهرت القوات الفارسية في استعراض عسكري وقد بدا مظهرهم يشوبه الكثير من التكبر والغرور ، وتقدموا نحو القلعة حتى أصبحوا على مسافة ربع ميل فقط ، وقاموا بتطويقها من جهة البحر .

الفصل السادس : حصار قشم

كان الأمر أشبه بمهرجان ، إذ إن المعركة كان طابعها الجدل ، فالقلعة تم تزيينها بالأعلام تماماً كالسفن في "جاسك" ، وقد برزت المواقع الحصينة والمنصات التي نصبت فوقها المدافع بشكل واضح على الشاطئ تحت وطأة الشمس المحرقة .

عند أسفلها تقدمت حشود الفرس ، وهم يسيرون على إيقاع صخب الأبواق وضرب الطبول ، رافعين رايات متعددة الألوان ترفرف خفاقة بفعل الرياح ، يتقدمهم قائد "شيراز" الشهير ، وبدا الموكب متلألئاً بالجواهر والذهب والفضة ، وخلف هذه المسيرة يشاهد الناظر بساتين النخيل الرطبة ومشهداً هائلاً يتمثل في منطقة مقلع الحجارة .

على بعد مسافة ربع الميل من القلعة أمر القائد بالتوقف ، حيث غرس رمحه في الأرض وكانت تلك بمثابة إشارة للجيش بالتحرك حثيثاً

لتكوين هلال واسع ، امتد حتى وصل للمياه المتلألئة ، حيث توجد مجموعة من السفن والطرادات التي وقفت هادئة دون حراك .

فجأة بدأت حركة الهلال المتموج تضيق تدريجياً متجهة نحو القلعة تغطيها سحب الدخان المنبعث من أسلحة الهركوبة النارية ، فهناك صخب وصراخ صاحب إطلاق نيران أسلحة الحصون ، كما انطلقت القذائف من الفتحات والكوات مخلفة الكثير من القتلى بين الجموع الهادرة المستمرة في التقدم .

وصل الفرس إلى الخندق ، واشتبكوا ضد المدافعين هناك ، واستمر صراعهم طيلة اليوم ، وكانت المذابح التي عانوا فيها في الهجوم الأول رهيبة جداً إذ بلغ عدد القتلى والجرحى حوالي ثلاثة آلاف . هذا ما يقوله الكاتب ...

بحلول الليل شرعوا في التقهقر حتى وصلوا للخط الذي كانوا قد بلغوه منذ عدة شهور مضت ، وعملوا على الاحتماء بمنطقة المقالع الحجرية للقيام بصيانة معداتهم ، وتوسيع الخنادق وتعزيز المتاريس حتى منطقة بساتين النخيل . أما بالقرب من الأسوار فلم تتجاوز خسائر البرتغاليين في الأرواح سوى ثلاثة من الجنود وثلاثة آخرين من البحارة .

كان القائد الفارسي قد قطع وعداً لعمه خان شيراز ، ثاني أهم وأعظم رجل في مملكة فارس العظيمة ، بأنه سيستولى على القلعة في غضون عشرة أيام ، وكان الحاكم القوى باعتبار هيبته وجلاله قد أثاره وجود البريطانيين غير المواتي بالجوار ، ومن الطبيعي أن تتجه رغبته كي يبرهن لهم أنه بالرغم من الحاجة إلى سفنهم لأجل شن هجوم على

هرمز إلا أنه يملك من الشجاعة والقوات ما يمكنه من طرد البرتغاليين وإجلائهم عن قشم .

كان بحوزة الشهير عبد الله حسن اثنين من المدافع الكبيرة ، وربما يكونان هدية تلقاها من أصدقائه البريطانيين ، وفي اليوم التالي شرع في مهاجمة البرتغاليين مستخدماً المدفعين والكثير من الأسلحة الأخرى ، وتمكن من قتل ثمانية جنود وجرح خمسة وعشرين آخرين .

في مساء نفس اليوم قام بهجوم عنيف مكثف حتى وصل إلى حاجز الخندق ، الذي تمت حمايته بشكل مستميت بواسطة ثلاثمائة من جنود المدفعية ، واستمر هذا الحال طيلة الليل ، الذي ظل مناراً بسبب الشهب والانفجارات الصادرة من الأسلحة ، التي تطلق نيرانها على وسط مجموعات الجنود بشكل متتابع وأحياناً بنحو متقطع من أسلحة البنادق الهاركوبية .

عند الصباح انسحب المهاجمون تاركين أكثر من سبعمائة قتيل في أرض المعركة ... أما خسائر البرتغاليين فقد بلغت ثمانية وثلاثين من القتلى الأمر الذي يشير إلى أن القتال كان مفرطاً وعنيفاً . عندئذ طالب الفرس بالهدنة ، وقد منحت لهم ، كي يدفنوا موتاهم ، ويجمعوا جرحاهم . أما "روي فرير" ، فلقد بعث برسول إلى هرمز يطلب الجنود والذخيرة .

أرسل له "د . فرانسيسكو دي سوسا" ثلاثمائة جندي من البرتغاليين بشكل عاجل وخمسمائة من رجال هرمز ، ومائتي برميل من البارود ، وأربع آلاف قطعة سلاح ناري . أما الفرس فقد تلقوا بدورهم أيضاً فرقة عسكرية جديدة ، وقاموا بإرسال كتيبة

فرسانهم للاحتماء بالتلال المجاورة ، وتمكنوا من عمل تحصينات ومواقع دفاعية جيدة في منطقة بساتين النخيل ، ولقد بدا واضحاً أن الحصار سوف يطول أمده .

بالنسبة للبرتغاليين كانت الجوانب البرية مغلقة تماماً ، وقد ظل الفرس يحاولون دائماً أن يخرجوهم من مخابئهم مستخدمين في ذلك المدفعين اللذين تم تثبيتهما في مواقع استراتيجية .

عموماً عزم "روي فرير" على شن غارة اختار لتنفيذها أربعمائة جندي برتغالي ، ومثل هذا العدد من جنود المدفعية ، وقام بتسليح المجموعة الأولى بأسلحة باكامارتس والمجموعة الثانية بالدروع والسيوف ، وقسم هذه القوة إلى كتيبتين ، أوكل قيادة الأولى للقائد "بالتازار دي شافيز" والثانية للقائد "سيباستياو بيريرا دي ماسيدو" .

وأمرهما بمهاجمة الفرس في آن واحد من كلا الجهتين ، وأمر اثنين من جنوده البارعين ، وهما "بدرو جوميز" و"فيليب دا فونسيكا" بضرورة إسكات وتعطيل أسلحة العدو خاصة المدفعين حيث كان أحدهما يطلق نيرانه على البرتغاليين من اتجاه مقلع الحجارة والثاني من منطقة بساتين النخيل .

عمل بعد إعطاء أوامره إلى تسليمهما مسامير من الصلب وشاكوشاً ، وكانت العملية الأولى تتضمن الوصول لهذه الأسلحة وضرب المسامير في فجوة التماس في المدافع .

كـان للانطباع القوي الذي تولد لدى الراوي قد أفعم هذا السرد الباهت :

"الباكامارتس" هي أسلحة نارية استخدمت في الهند . يبلغ طول ماسورة البندقية حوالي ثلاثة أشبار وقد صنعت من الصوان [?] ويمكنها إطلاق كريات نارية وزن الواحدة ثلاث أوقيات كما يمكن استخدامها لإطلاق خمسين رصاصة كروية أو رميها بصورة فاعلة ضد تجمعات الناس تماماً ، كما يحدث في عمليات رمي المنجنيق .

من السهل على المرء أن يتصور تأثير هذا على مجموعة من الفرس النيام في خنادقهم .

في مناسبة ماضية ، كان هناك رتل من الجنود قد قام بهجوم أثناء الليل من جهة مقالع الحجارة ، والآخر من جهة بساتين النخيل ، وكانت المذابح بشعة وعنيفة .

قدمت قوات من الفرس بشكل منتظم للمساعدة في هذه المعركة الشرسة ، ولكن كان هنالك وابلٌ من رصاص "الباكامارتس" ، ينهمر على نقطة الهدف المركزية ليحدث دماراً مرعباً ومخيفاً ، ولم يكن في وسع الفرس غير الهروب نحو القلعة بعد أن فقدوا ستة جنود جرحى تاركين وراءهم ألف وستمائة قتيلٍ ، وحتى إذا ما كان هذا العدد مبالغاً فيه ، فإن الانطباع يظل باقياً بحيث يؤكد وحشية ودموية الاشتباك .

تنسب المصداقية هنا لعنصر المفاجأة والغرور ، بعدم اتخاذ الحذر وإعداد الفرس الهائلة من المحاربين . لقد نفذ كل من "ازيفيدو وفونسيكا" المهام التي أوكلت لهما بكل كفاءة واقتدار ؛ حيث تمكنا من إسكات مدافع العدو طيلة استمرار تلك المعركة الشرسة .

في الصباح كان الفرس قد رفعوا العلم الأبيض ، وكانت الاستجابة

من جانب البرتغاليين بحيث أعطوا الموافقة على التفاوض ، وبالفعل قدم مبعوثان إلى الخندق وأمر "روي فرير" بأن يسمح لهما بالدخول ، وقام قادة المجلس باستقبالهما ، وبالإنابة عن قائدهما طلبا أن يسمح لهما بمقابلة "إحدى السيدات كانت قد رافقتهما في الهجوم الذي حدث في الليلة الماضية .

كانا قد انبهرا برؤيتها ومظهرها ؛ بحيث إنهما لم يتمكنا من أخذ أسلحتهما أو التحرك من مكانهما ، وكان أحد الخيالة قد رافقها وهو يقفز فوق الخنادق محدثاً الكثير من الأضرار والدمار وسط كل من واجهوه ، وذلك في مكان يصعب على الرجل التحرك فيه بسلام حتى في النهار ؛ نظراً لوعورة الطريق وكثرة الحفر والفجوات .

أجاب "روي فرير" مؤكداً أنه "لا شيء هناك سوى الخوف والرعب الذي جعلهما يتصوران حدوث مثل هذه الأشياء ، هذا إن لم تكن هناك من خدعة ما أو شيء يدور في الخفاء" ، ولكن في ظل إصرارهما ورحابة صدره أمر جنوده ، كي يطلعوا الرجلين على كل شيء بما في تلك السراديب ؛ كي يقتنعا بعدم وجود أية امرأة أو خيول داخل القلعة ، وقد حدث شجار بين الرجلين الفارسيين بعد أن أبدى أحدهما إعجابه الشديد برب المسيحيين .

هل اختلق الراوي هذه الحكاية؟ إنه من الصعب تصديقها ، إذ إنه كان يكتب في ذلك الوقت ، ولو أنه لم يكن شاهد عيان لتلك الأحداث حيث يبدو أنها وقعت أكثر من مرة ، فقد كان يكتب من خلال أدلة وثائقية من الدرجة الأولى ، ولم يعرف السبب من وراء

سرده تلك القصة ، وهو لا يملك الأدلة الدامغة والمعرفة الكاملة بتفاصيلها . أيضاً كان يكتب بنوايا ظاهرة ؛ كي يثبت حقائق تاريخية لإعادة الاعتبار لذكرى "روي فرير" .

من ناحية أخرى هناك العديد من الناس ممن يهتمون بهذه الأحداث ، وهي معروفة لدى المحدثين ، وأيضاً بالنسبة للجيل السابق ، وربما كان هناك تفسير بسيط ؛ إذ لابد أن يكون قدوم المبعوثين حقيقة واقعة ؛ لأنه لا غرابة في ذلك ، لكن الهدف من التفاوض لابد أن يكون أمراً آخر يصعب على "روي فرير" والقادة إخفاءه .

ومن المحتمل أن يكون على سبيل الحث على السلام ، وتفعيل الاستسلام بشكل عاجل ، وتهديد البرتغاليين ببيان واضح بأنه يستحيل عليهم تحقيق النصر ، ولابد في نهاية الأمر من سحقهم تماماً .

لكن عموماً كانوا قد قاوموا الهجوم بشراسة ، وليس ببعيد أنهم تلقوا أخبار الاتفاقية التي وقعت مع البريطانيين ، والاحتمال بأنهم قريباً سوف يتعرضون لهجوم من جانبهم ، ولكن من المؤكد أن ذلك لن يناسب خان شيراز أو يناسب السياسة التي ينتهجها شاه عباس ، بحيث يحل محلهم الإنجليز ؛ كي يكون لهم الفضل واليد العليا في تحرير الخليج والخان ، وشاه إيران ، وفارس من هيمنة البرتغاليين .

بالتالي كان لابد للبرتغاليين من إحداث تأثير هام ، ولابد لهم من ترك انطباع عن مدى قوتهم ، وربما رغبوا في الاحتفاظ "بقشم" استعداداً للاستيلاء على هرمز ، ونتيجة لذلك اعتزم الفرس واتجهت نواياهم

لإقناع البرتغاليين بمغادرة قشم قبل وصول البريطانيين ، وسوف يكون هذا أمراً طبيعياً ينم عن بعد النظر .

بالإضافة إلى ذلك من المعروف أن الشاه عباس مقاوم لأي احتلال حُكمي من جانب البريطانيين ، وأنهم إذا ما عملوا على عدم إضاعة وقتهم في التآمر ، فيجب أن يتخلوا عن دورهم غير اللائق تجاه المساندين ، ذوي الراتب لقاتل أبيه الشاه في أعمال السلب والنهب بغية تبديل شعارات الأوروبيين والحضارة المسيحية بهلال الإسلام في مدخل الخليج .

في الوقت نفسه فمن الطبيعي أن تكون هناك رغبة "روي فرير" بوضوحه وصراحته في الإيعاز للفرس عن استعداده وإصراره على عدم مغادرة قشم ، والتخلى عنها لمصلحتهم حتى ولو وصل البريطانيون ، وهناك الإحساس من جانبه ومن جانب القادة بالتبرم والاستياء ويأس ، وشيك الحدوث وسط جنود الموقع العسكري حيث الأمل لتجنب انخفاض الروح المعنوية ، ومحاولة غرس الثقة في النفوس من خلال احتواء التعقيدات بموجب حماية ومساعدات ربانية .

هذا التفسير ربما أقنع غير الراغبين في قبول تفسير للتطفل الخارق ، ومن خلال قناعة نسبية ، ودون تحامل على التاريخ ، يمكننا أن نفهم أن صورة أية أنثى تراءت أمام عيون الفرس الواجفة وقت أن حمل عليهم البرتغاليون ، ودمروهم في خنادقهم ، إنما تعزى إلى جمال وبهاء شيراز الموطن المميز لأشهى وأروع النساء .

بالرغم من المثل السائر وبصرف النظر عن الشعراء الذين نسبوا لهن الخمر ، إن تناول خبز خاستا ، واحتساء خمر شيراز من يد امرأة من

يزد لهو قمة البهجة والانشراح ، هذا التفسير للرواية أكدته الأحداث التي تلت ذلك .

لم يكن ذلك بسبب الغارات التي سعى "روي" من خلالها لاحتقار كبرياء الفرس ، وعندما ظلت جيوشهم مرابطة هناك أمام القلعة الصغيرة المعزولة مسترخية دون جدوى ، عمل على تنظيم وإرسال حملات جريئة ظلت لوقت طويل تنشر الرعب والموت وسط القرى الآمنة وحصون الشاه الساكنة .

كان في أحد الأيام قد أرسل قائده "بالتازار دي شافيز" ، كي يهاجم ميناء "كوهستاك" التي تمركز فيها آلاف الفرس خلف تحصينات منيعة ، وكانت تلك الحملة مؤلفة من ثلاثمائة جندي من البرتغاليين وأربعمائة من جنود المدفعية ممن شهد لهم بالبراعة والمهارة في الرماية ، بقيادة محمود شاه قائد جيش ملك هرمز .

نذكر أيضاً ممن شاركوا في هذه الحملة ، "جواو دي أندراد دا جاما" ، "فرانسيسكو غالفاو" "Francisco Galvao" ، و"مانويل دا فونسيكا" "Manuel da Vonsica" و"أنطونيو موراو" "Antonio Morao" وأحد القباطنة باسم "فيرنادو" "Fernado" ، وكانوا قد حذوا حذو قائدهم الباسل وأبلوا بلاء حسناً .

أما الفرس فقد استماتوا في الدفاع عن أنفسهم ، غير أن الموقع الذي احتموا به آل إلى دمار كامل وسوي بالأرض ، وعادت سفن ومراكب تلك الحملة إلى قشم تجر من ورائها شعارات ورايات الشاه فوق المياه بشكل مخز وفاضح الأمر الذي أثار حفيظة واستياء المحاصرين .

قد أمر "روي فرير" بتقسيم الأسلاب والغنائم ، وخصص للموتى نصيباً منها ، وهم خمسة من البرتغاليين وتسعة من جنود المدفعية ، فبالنسبة للمجموعة الأولى ذهبت الغنائم لصالح الكهنة للدعاء لأرواح الموتى ، أما بالنسبة للمجموعة الثانية فقد خصصت لأقربائهم وورثتهم .

على الرغم من أن الفرس أحكموا حصارهم بشكل مكثف إلا أنهم كانوا على بعد سبعين خطوة من الخندق ، وكان على رجالنا أن يظلوا شاهرين بنادقهم في وجه العدو ليل نهار ، فهناك الكثير من العمل لإنجازه ، وتكاد تنعدم الفرصة للنوم . أيضاً كان هناك النقص في المواد الغذائية مع اشتداد حرارة الجو الخانقة .

في الحقيقة كان الفرس محاربين مهرة وبارعين في الرماية ، وقد تمكنوا من إصابة وقتل الكثيرين من البرتغاليين من خلال الفتحات الموجودة في الجدران التي يفترض أن تظل مغلقة ، وعموماً فقد مضى الوقت سريعاً في هذا الصراع العنيد ، وبحلول شهر أكتوبر وحلول موسم المونسون الذي تسهل فيه حركة السفن المتجهة إلى "غوا" ، كتب "روي فرير" إلى "فيرناو دى البوكيرك" عن طريق هرمز .

حتى لا يسلم بحقيقة التحذيرات ، وتكهنات الحاكم الخبير العجوز ، فقد أساء وصف الضغوط والأخطار التي تحيط بموقفه ، وكان ذلك بشيء من الجبروت التكبر وبكلمات تعطي الانطباع عن شخصيته التي لا تقهر وعن طيشه وتهوره :

"لقد قمت ببناء هذه القلعة في جزيرة قشم حسبما أمرني صاحب الجلالة . لقد استوليت على الموانئ ، وحرقت المدن وهدمت حصون

الفرس الموجودة على شاطئ البحر ، ومنعت وصول المبعوثين . كما تمكنت من توفير المياه لأجل قلعة هرمز .

الآن ، فإنني محاصر بحوالي خمسة وعشرين ألف من الجنود ، وبالنسبة لمجموعة الجنود القليلين هنا ، أعتبر أن الأمر منتهي ، وكأنه لا وجود لهم ؛ لذا يجب على سيادتكم أن تمدني بأكثر عدد من الرجال والذخيرة والعتاد الحربي ، وذلك حتى لا يشعر الشاه بالأمن والأمان في أصفهان .

حقيقي وهوميري .

كانت الحرب صراعاً حقيقياً مع فارس وحاكمها العظيم الشاه عباس ، وهذا أمر يدركه "روي فرير" ، فقد أقر به ، وكان هذا الرجل مثالاً للجدية والإخلاص والتواضع إذ إنه لم يكن متبجحاً أو مغروراً . أما بالنسبة لخصاله ، فيمكن أن يوصف بأنه بعيد كل البعد عن سمات الوقاحة والتهور .

احتفظت أيضاً الوثائق برد الحاكم الذي عكس بوضوح سمات شخصية ذلك الرجل ، وتفادياً للتباين فهذا مقتطف مما ورد . يتذكر "فيرناو البوكيرك" كيف أنه سعى لمنع تلك المغامرة الخطيرة ، عندما أصدر أوامره إلى "روي فرير" بأنه بدلاً من الذهاب إلى "غوا" أن يعمل على تعزيز الأسطول ، وتجهيزه ؛ لأجل استخدامه في مطاردة البريطانيين وأن يعمل على خفر وحراسة الموانئ ، وحماية السفن عند وصولها قادمة من البرتغال .

كان يوبخه آسفاً دون إظهار غضبه وبشكل أبوي حميمي ، وليس

بشكل فظ عندما يتعلق الأمر بشيء من العصيان وعدم الطاعة ، ويورد تعنيفه وتثريبه على النحو التالي ، وهو ما يمكن أن نعتبره قد مس شهامة "روي فرير" :

"لقد حسبت حساب كل هذا ، وحذرتك منه ، وكان بوسعك أن تقارب الصواب لو كنت أوليت اهتمامك لما قلته لك قبل الشروع في العمل بدلاً من ثقتك الزائدة في نفسك . قبل ثلاثين عاماً لم تكن تحلم بالمجيئ إلى هذا العالم ، بينما قضيت الكثير من سنوات خبرتي أعمل في خدمة جلالته في هذه المناطق .

وأحسب أنك قد اعتقدت أنني أؤمن بأن خبرتك التي امتدت ثلاثين عاماً ، تؤهلك لوضع الأمور في نصابها ، وبالمثل معالجة الأمور التي جعلتني في هذا الموقف وقد بلغت سبعين عاماً أن اكتب لك عن هذا الأمر المعقد الخطير والأخطار المحدقة بهذه القلعة وكل ما يهدد هذا المضيق" .

لكن الآن يقتضي الأمر محاولة إصلاح ما حدث على النحو الذي يناسب المحافظة على سمعتنا وهيبتنا .

دون أي تردد أو تلكؤ زج الحاكم بنفسه في هذه المغامرة محولاً هذا الضعف إلى قوة . حيث عمل على تجهيز أسطول قوي من عشر سفن دون أن يعبأ بالمخاطرة بترك هذا المكان دون حماية ، وشجع الكثيرين من "الفيد القو" بالذهاب ، لأخذ أماكنهم في هذا الصراع ، وتمكن من جمع كميات وفيرة من المؤن والغذاءات والمعدات الحربية في السفينة التي وصلت من البرتغال .

بالرغم من النقص الكبير في قطع الأسلحة المدفعية إلا أن نواياه تتجه إلى توفيرها في أسرع وقت ممكن . ليس هنالك من سبب يدعو للخوف لأنه يراهن عليه ، وإنني على ثقة بأن سيدنا الحاكم سوف يحقق لنا الكثير من الانتصارات عليهم ، وعلى جميع أعدائهم المتحالفين الفرس والإنجليز .

يكفي أن الخطاب وحده يمثل وثيقة ذات قيمة بالغة ، كدليل على أسلوب البرتغاليين في تلك الفترة .

في قشم تمكن الفرس من إبقاء البرتغاليين منهكين بشكل مستمر ، وذلك من خلال غاراتهم المتلاحقة ، كما أنهم شغلوا أيضاً بأعمال زرع الألغام والأنفاق التي حسب قول الكاتب يعتبرون من المبدعين فيها .

هناك نفق طويل يتقدم حثيثاً تجاه الحائط الساتر ما بين حصن "اسبيرتو سانتو" وبين حصن "سانتياغو" ، وإلى جانب توقع إكمال هذا وبعض الإنفاق الأخرى حاول "روي فرير" تحصين القلعة ما أمكنه ذلك ، وقد أكمل بناء حائط من الحجارة والكلس بعرض أربعة أشبار على طول امتداد الحائط القديم . كما أنه أكمل بناء بعض الحيطان الأخرى بين الحائطين ، وعمل على سد الفجوات والفراغات بالأنقاض وكسارة الحجارة .

رفع أيضاً الحائط القديم بنحو تسعة أشبار ، وعمل مجموعة من الفتحات في الجدران إلى جانب متاريس منيعة مغلقة من جميع الجهات باستثناء فتحة في الأسفل تمكن من إلقاء القذائف . أيضاً قام بتقوية الخندق الدفاعي ، كما أمر أربع فرق بأن تبقى على حذر كامل طوال الوقت ، بحيث تفتح أعينها وآذانها جيداً لكل ما يحدث من جانب

الإقليم ، وضرورة حراسته بشكل يومي خاصة في الامتداد الواقع ما بين الحصنين المهددين بالنفق .

لكن نظراً لأن هذا الحذر أمر مشكوك فيه وفي خطورته فقد أمر "روي فرير" بضرورة إزالة العقبات عن هذا الخندق ؛ لأجل عمل سرداب في أسفل الحائط المواجه للإقليم ، وذلك بعرض عشرة أشبار يضيق شيئاً فشيئاً عندما يصبح بمستوى الأرض ، ومن ثم يملأ بها .

ضرب مسامير غليظة بشكل آمن في ألواح الخشب الثقيلة . عمل أيضاً كوات جديدة بارتفاع ستة أشبار في حائط الخندق في الجانب الخارجي ، وأربعة ممرات تحت الأرض ، وذلك حتى تتمكن الفرق الأربعة من البقاء داخل القلعة ، والخروج بواسطة الخندق بشكل سريع .

لم يكتف بكل هذا وإنما حاول القائد عمل شيئاً آخر مغاير تماماً فأمر "ميجيل بوتلهو" ، الذي كان يتولى مسؤولية السفن ومهمة الإنزال في جانب نهر "لافيتا" ، أن يفاجئ قلعة سيدان أو من الجائز بندر الحمير ، حيث يحتفظ الفرس بمؤنهم هناك بشكل آمن .

بعد التشاور مع مساعديه تحرك "ميجيل بوتلهو" من مناطق التفتيش في ثلاثين مركباً وعشرة زوارق ، وعندما أبصرت القوات الموجودة في القلعة حركة تحركهم شرعت فوراً في مهاجمتهم غير أن "بوتلهو" ، تمكن بنجاح من إنزال مجموعتين من قواته تألفت الأولى من أربعمائة جندي برتغالي كان يقودها بنفسه ، وتكونت الأخرى من مائة وخمسين برتغالياً وثلاثمائة من قوات هرمز ، يتولى قيادتهم "أنطونيو بالها" .

بالإضافة إلى ذلك تمكن من تسليح ثلاثمائة من البحارة بعدد وافر

من الفؤوس وعشرين حسيكة كانت من الثقل بحيث اقتضى تعيين أربعة رجال لحملها .

كان الاشتباك وحشياً ودموياً ، وتمكنوا من سحق الفرس ، وتم الاستيلاء على القلعة ، كما أمكن هدم المساكن والحدائق وإشعال النار فيها ، وكانت الغنائم من الكثرة بحيث شحنت في عشرين مركباً ، قام "بوتلهو" بإرسالها إلى "روي فرير" والذي أرسلها بدوره إلى هرمز .

لم ينس "روي فرير" أمر البريطانيين ، وربما كان يرغب في توجيه ضربة كما كانت تلك آمال مهاجميه الآخرين ، وبحلول موسم المونسون ، وهو الوقت الذي سيتجهون فيه إلى "جاسك" لجلب الحرير .

قام بإرسال "بالتازار دي شافيز" قائده المفضل ، وأمره لأجل هيبة التاج البرتغالي ، أن يقوم بهدم المدينة والمحطة التجارية بالكامل وتسويتها بالأرض ؛ لأن المحطة التجارية التي أسست في عام ١٦١٩م كان قد حصل عليها البريطانيون بموافقة الشاه بعد أن زعموا أن لديهم مساكن هناك لم ينجحوا في إقامتها .

تألفت حملة البرتغاليين من ثمانية مراكب ضخمة ، قوامها ثلاثمائة من جنود البرتغال تحت قيادة "بدرو جوميز" و"ديوغو بيريرا دي ماسيدو" ، و"براس رودريغيز" ، و"اندريه دا غاما" و"فرانسيسكو غونسالفيس" "Francisco Goncalves" و"فرانسيسكو انطونيس" "Francisco Antones" و"بالتازار دي شافيز" ، وبالمثل عشرين مركباً أخرى تحمل أربعمائة من جنود هرمز .

بما أن البريطانيين يعملون دائماً للاختباء وراء الفرس ، ومن ثم

يدفعونهم لمواجهة البرتغاليين ؛ للتفرغ للاهتمام بكل هدوء لأعمالهم ومصالحهم الخاصة بحيث يحتمون بهذا الوضع ، فقد اتخذ الهجوم صفة الإنذار ، وكان على استعداد للذهاب شخصياً ؛ للتحدث معهم بشكل محدد ومختصر .

وصل "بالثذار" إلى نهر "جاسك" في الحادية عشرة ليلاً ، وبمساعدة من رجال هرمز ، تمكن بكل هدوء من إنزال البعض من رجاله على مسافة نصف الميل من المدينة ، وبعد ذلك أرسل سفنه للرسو في الميناء واصلا البلاد بنيران أسلحتهم ، على أن يتوقفوا عن إطلاق نيران أسلحتهم عند سماعهم صوت قذيفة كإشعار لهم ، وذلك حتى لا يعوقوا تنفيذ العملية الثانية .

عند بداية إطلاق وابل من الرصاص ، كانت حيرة ودهشة السكان النائمين عظيمة بحيث إنهم شرعوا في الهروب في اتجاه قوات البرتغاليين الزاحفة نحوهم ، وحينها أمر "بالثذار" بضرب الطبول ؛ كي يتحرك رجاله بسرعة نحو السكان ، وذبحهم دون إبقاء أي كائن على قيد الحياة ، ودون أي اعتبار للجنس أو العمر ، وبالفعل تم تدمير المحطة والمدينة وحرقها بالكامل ، بحيث آل كل شيئ فيهما إلى رماد .

لم يقف عند هذا الحد بل قام القائد بإنزال أربعمائة من البحارة بفؤوسهم أرسلهم للقيام بقطع جميع أشجار النخيل والمزارع وجمع المواشي . كان يعيش في "جاسك" حوالي خمسة آلاف نسمة ، ويقال إن مجموعة الناجين منهم لم تتجاوز الخمسمائة نسمة .

في هذا الوقت قيل إن قصة غريبة قد حدثت في قشم ، ففي يوم

الاثنين الحادي والعشرين من شهر ديسمبر قام الفرس برفع العلم الأبيض بالقرب من بساتين النخيل ، وكانوا يرفعونه من منطقة الخنادق ، وكأنهم يستعدون للتفاهم حول تفعيل اتفاقية سلمية ، لكن كانت الشكوك تراود "روي فرير" في هذه الظاهرة ، وبالتالي أوعز لجنوده اتخاذ أقصى درجات الحذر ، ومن ثم اتجه إلى حصن "سانتياقو" ، وأمر بالرد على تلك الإشارة .

حينها برز أحد المسلمين من منطقة الخنادق ، وكان في كامل زيه الحربي ، وقد وضع على جسده درعاً ، يتدلى إلى أسفل ركبتيه ، وقلنسوة زرقاء من الذهب ، كما وضع على رأسه خوذة عالية من المريون الذهبي والأسود ، يمكن رؤيتها بسهولة رغم العمامة المربوطة حولها ، وقد ارتدى درعاً مزيناً بالفولاذ ذي نقوش ذهبية ، ويحمل سيفاً معقوفاً ذا بريق فضي في غمد من المخمل الأخضر ، وعموماً كان مظهره يدل على أن أمره لا صلة له بالتفاوض .

تقدم هذا الرجل من الخندق حتى أصبح على مسافة تمكنه من إيصال صوته للبرتغاليين ، ثم بدأ يصيح مخاطباً جموع البرتغاليين : "إن له صلة قرابة بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنه قد جاء من أصفهان ، بعد أن سمع بسمعة البرتغاليين وشجاعتهم وصيتهم الذي عم جميع بلدان العالم ، وأنه في هذا الميدان يعلن استعداده لمواجهة أي منهم ، ويحق للمنتصر في النزال أن يحصل كجائزة له على أسلحة ورأس المهزوم" .

لم يكن هنالك أي قصور أو نقص في الجنود المستعدين للمنازلة ،

وكان هناك "فيليب دى فونسيكا" الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة من العمر ، وهو من مواطني "لشبونه" ، وهو مثال للقائد المحنك ، قد طلب الإذن بالمنازلة إذ إنه كبرتغالي ملزم بذلك ، لكن لم يوافق "روي فرير" على ذلك .

حيث إنه كان قد شك في هذه المغامرة كما أن ثقته في مهارة ذلك الشاب ليست كبيرة ، غير أن "فونسيكا" ذهب بشكل خفي إلى مقر سكن القائد ، ولم يكن هذا بالأمر الصعب بالنسبة له حيث ارتدى واقياً جيداً تحت ملابسه وحمل درعاً وسيفاً ومن ثم بدأ بأخذ طريقه إلى الميدان ، وكان ذلك بمثابة مفاجأة غير سعيدة بالنسبة "لروي فرير" .

في الميدان بدأت المساجلة ، وكان نزالاً عنيفاً ، وقد نجح ذلك الشاب الحربي في تسديد ضربة قوية إلى عنق خصمه العنيد ، كما نجح في إسقاط سيفه المعقوف من قبضة يده ، وعاجله بضربة قوية أطاحت برأسه ، وبعد ذلك عاد بكل هدوء وهو يحمل رأس خصمه وسلاحه ودرعه وكل معدات ذلك الخصم ، وكان ذلك وسط تشجيع وتصفيق زملائه من جانب وعويل الأعداء ودعواتهم له بالشر والثبور من الجانب الآخر .

عندما كان القائد ينتظره أمام مدخل الخندق ، أسرع "فونسيكا" تجاهه طالباً السماح ومبيناً له أن هذا النصر قد تحقق بفضل سلاحه ودرعه ، فهنأه "روي فرير" وأثنى عليه ثم صحبه إلى مقره ، وبعد ذلك أرسل في طلب مساعد مأمور القلعة لاعتقاله وسجنه ، كما طلب أن يحضر الكاهن لأخذ اعترافه ، وكذلك "سبستياو" و"بيريرا دى ماسيدو" الذي يعمل ضابطاً كي يأخذه إلى السفينة .

من ثم شنقه في الميدان العام كي يكون عبرة للبقية ممن يعملون على مخالفة الأوامر وعدم الإذعان لها ، وجد الضباط والجنود صعوبة بالغة في إثناء "روي فرير" عن تنفيذ قراره بشأن ذلك الشاب ، وفي النهاية وافق على العفو عنه ، وإطلاق سراحه بعد أن أنبه بقسوة ، وبعد ذلك أعطاه لقب الفارس وأهداه الدرع والسلاح الذي استخدمه .

في هذا الوقت وصلت أخبار غير مفرحة إلى قشم ، تشير بأن الفرس في "كونج" ، استولوا على سفينة قادمة من هرمز ، وعلى متنها عشرة من جثث الجنود البحارة ، الذين تم قتلهم جميعاً ، ووضعت جثثهم في دكان أحد القصابين . مقدمين لحوم هؤلاء الخونة للبيع ، وقد لجأوا لهذا التصرف كانتقام من البرتغاليين .

في الحال قام "روي فرير" بإرسال أحد قادة ملك هرمز برفقة "ميجيل بوتلهو" وأربعمائة من الجنود في عشرين مركباً لتأديب أولئك الجناة ، وزود جنوده بأربعمائة فأس ، لكي يقوموا بقطع جميع أشجار النخيل وتخريب الحدائق بأكملها .

لم يتوان الشجاع "ميجيل بوتلهو" في تنفيذ هذا الأمر :

بعد مرور أيام قليلة ، كان قد وصل إلى "كونج" ، وقام بإنزال جنوده أمام مقاومة عنيفة من ثلاثة آلاف جندي فارسي ، كانوا يقومون بحراسة القلعة التي تمكن من اجتياحها باستخدام ثلاثمائة سلم ، كان قد جلبها معه لهذا الغرض .

على كل تمت مهاجمة القلعة ودخولها بواسطة "سيباستياو بيريرا دي ماسيدو" ، ومعه قوة ضاربة من البرتغاليين ، وبعد أن عملوا في الفرس

ذبحاً وتقتيلاً سقطت القلعة في نهاية الأمر في أيدي البرتغاليين ، بينما هربت فلول الفرس ، ثم اكتملت هزيمة الفرس باستخدام الأسلحة .

أما أشجار النخيل فقد تم اقتلاعها من جذورها ، وتمكن الجنود من الأخذ بثأر زملائهم القتلى ، فقد تقاسموا أجساد قتلى الجيش الفارسي .

بالرغم من تدمير كل من "كونج" و"جاسك" ، فقد اضطر البريطانيون للرجوع في فترة المونسون ؛ نظراً لشحنات الحرير التي جلبتها القوافل ، وأمر "روي فرير" القائدين "بيرس فيانا" "Pierce Viana" و"اندريه كوتنهو" "Andre Coutinho" بضرورة مراقبتهم مدة شهرين بواسطة الزوارق الخفيفة ، ويترتب عليهما ، أن يعودا كل يوم لتقديم تقرير ، في حالة وجود أية سفن قادمة من "سورات" .

في نفس الوقت قرر القائد التوجه إلى هرمز كي يقوم بتجهيز أسطوله معتقداً بأنه سوف ينتظر قدوم البريطانيين إلى هناك ، وقد تم استقباله بحفاوة ، حيث تأكد من أن سفنه قد تم تسليحها بشكل جيد وأصبحت جاهزة ومستعدة للحرب .

نظراً للإمكانات ، وتوفر المواد في قلعة هرمز ، فقد تمكن من إكمال إعداد الأسطول بشكل سريع ، حيث أعطيت السفينة "اس بدرو" للقائد "بالتازار دي شافيز" الذي تركه كي يتولى إدارة الأمور بدلاً منه في قشم ، والسفينة "تودوس أوس سانتوس" "Todos Os Santos" التي عمل على تزويدها بستين مدفعاً كي تصبح بمثابة سفينة علمه ، كما كانت أثناء الهجوم الذي تعرضت له "جاسك" في فترة نائب الملك "جيرونيمو دي ازيفيدو" .

أما السفينة الحصينة فكتوريا فقد زودت بأربعة وستين مدفعاً من النحاس ، كما أوكلت قيادة السفينة "اس مارتنهو" للقبطان "مانويل دى سوسا" وعين "ديوغو بيريرا دى ماسيدو" لقيادة "الأوركا كونسيكاو" أما "فيرناو دي باروس" فقد عهد له بقيادة السفينة "لورنسو" ، وهكذا أصبحت لديه كل الوسائل الممكنة التي تتيح له مواجهة الإنجليز بكل صلابة وقوة .

بينما كان مشغولاً بهذه الأمور وصلت سفينتان مملوكتان بشكل خاص قادمتين من "غوا" بالبريد الرئيس ، والذي تضمن رسالة من "فيرناو دى البوكيرك" ، وفي هذه المرة بدا "روي فرير" راضياً ومقتنعاً تماماً بوجهة نظر الحاكم ، وكان حريصاً على طرح قناعته ، وما يمليه عليه ضميره حيث وضع المسألة برمتها أمام المجلس ، مبيناً أنه بعد هزيمة الإنجليز سوف يضطر الفرس إلى التراجع وسحب مخالبهم .

يبدو أن ملك هرمز الذي يعد تصويته ذا أهمية بالغة ؛ نظراً لذكائه والحق المكفول له في الاختيار ، قد انتبه من ناحية إلى أنه قد أصبح محروماً من معظم القوات البرتغالية ، ومن جانب آخر بسبب أنه قد أُبلغ بوجهة النظر العنيفة الأخرى المعبر عنها ضد الحملة ، فإن خان شيراز نفسه قد تهيأ للذهاب إلى قشم ، وإنه لن تكن هناك مراكب تكفي لأجل منعه من المرور .

بما أن الإنجليز يقومون بكل هدوء بجلب الحرير منذ عشر سنوات مضت ، فإن الأمر لا يستحق عناء القيام بمنعهم هذه المرة ، وبوسعهم أن يهاجموا بكل سهولة قشم أو هرمز ، إذا ما شعروا بأن المنطقتين تعانيان من الضعف .

عموماً أمكن ضبط هذا الارتباك ، وكان هذا بمثابة تثبيط للمعنويات ، وتم اتخاذ قرار بضرورة عودة "روي فرير" إلى قشم ، وهذا ما قام به بالفعل ، حيث طلب من هرمز الحصول على جميع الجنود الذين يمكن أن يتم إرسالهم له .

بعدها ولأجل إرهاب الفرس بضربة قوية أخرى ، يمكن أن تهدد مصادر تموينهم ، قام "روي فرير" بإرسال "بالتازار دي شافيز" ومعه ثمانمائة جندي من البرتغاليين في عشرين مركباً ، وكذلك ابن أخ ملك هرمز "مير أغا الدين" الذي ثار ضده على رأس مجموعة من جنود هرمز يبلغ قوامها سبعمائة جندي في ثلاثين مركباً ؛ وذلك لأجل مهاجمة قلعة (لافت) ، ومهاجمة ترسانة العدو ومخازنه .

بالفعل حقق ذلك الهجوم نجاحاً رائعاً ، ولقد فوجئت (لفت) في جزيرة قشم بهذا الهجوم ، حيث تم هدمها وإحراقها ، ولأجل الاحتفاء بالانتصارات الظافرة ، تم شن سلسلة من الغارات سفكت فيها دماء كثيرة من جيش القائد الشهير عبد الله حسن بلغ عدد الضحايا فيما بعد حوالي ثلاثين ألف من الرجال ، وكان ذلك بمثابة حادثة ميمونة توجت ذلك الاحتفال بالأسطول .

الفصل السابع : الاتفاقية الإنجليزية الفارسية .

في صبيحة أحد أيام شهر ديسمبر ظهرت مجموعة من الأشرعة في الأفق وراء المضيق ، وما هي إلا سويعات قليلة حتى وصل أسطول "فيرناو دى البوكيرك" ليرسو قبالة القلعة ، حيث استقبله الناس بالهتاف والتصفيق والإعلام ، وكان الأسطول مكوناً من عشر سفن

من جميع الأنواع تحمل حوالي خمسمائة جندي من أفضل الجنود بكامل عتادهم وعدتهم ، ومؤنهم الغذائية من اللحم والأطعمة الأخرى ، هذا إلى جانب الحلويات والأودوية للمرضى .

كما جلبت هذه السفن ستمائة برميلٍ من البارود ، وعدداً كبيراً من كريات الرصاص والنحاس والأسلحة ، وكذلك مواد الصيانة والمواد الحربية .

كان يقود هذا الأسطول القائد "سيماو دى ميلو بيريرا" القائد السابق في قلعة "ديو" و"مالبار" ، وهو عضو مشهور في عائلة "ميلوس" و"بيريراس" العريقة ، كما أنه ينتمي أيضاً إلى عائلة "الكايدس" من "كاستيلو دى فايد" من "فيلا فسكوسا" "Vila Viscosa" ، وهو رجل نبيل من أصل عريق ، وقد اختاره الحاكم ، مؤملاً أن يكون رفيقاً ومعاوناً جيداً للقائد "روي فرير" ، الذي عمل على وضعه تحت إمرته .

لقد تطوع "سيماو دى ميلو" بالذهاب للخدمة في هذه المعركة ، مضحياً بالمهمة التي تم تفويضه لها في الشمال ، إذ إنه لم تستهوه حياة الشباب الذين لا يرغبون أن يتركوا حياة الكسل والبطالة في "غوا" .

عموماً يعتبر هذا الاستدعاء في نظر "فيرناو دى البوكيرك" شرفاً عظيماً ، يمليه الواجب ، وكان أحد هؤلاء قد وجد في السنوات التي تلت الوفاء مخرجاً ؛ كي يعبر من خلاله عن حقده وعداوته ضد "البوكيرك" المسكين ، فزعم أنه قد أخفى نفسه في منزله بسبب مرضه فقط ، لكنه قبل ذلك قام بمحاولات كي يتم تعيينه قائداً في هرمز ، وبعدها قرر أنه لا يرغب في الإنفاق على القلعة مخاطراً بماله إبان انشغال القلعة بالحرب .

قد حبذ الانتظار حتى يتمكن من الاستفادة منها دون الخوض في المجازفة في هذا الأمر ، ولقد بينت الوثائق وأشارت إلى اسمه في إطار العمل الذي اتسم بالجبن : "ديوغو دى سوسا منسيس" خزي وعار على عائلة "سوسا" و"منسيس" . كم من ذريات ، ونسل الكثير من الأسر البرتغالية المتميزة ، ممن اتجهوا للهند ليجروا الخزي والعار عليها .

لكن مثل "سيماو دى ميلو" هناك أسماء ذات اعتبار تطوعت ثم عادت ، ومن بينهم الأميرال "لويس دي بريتو" ابن اخ الحاكم ، وابن أحد الشخصيات التي كانت في المنفى ، وقد سبق أن عين حاكماً مرتين على "سوفالا" .

من ثم توفي متحسراً ، بعد أن تم تجريده من كل ممتلكاته بأمر من ملك إسبانيا : "فرانسيسكو مونيز دا سيلفا" ، فارس متميز و"غونسالو دا سيلفيرا" أميرال سابق في الأسطول الاحتياطي ، وهذا كان قد تناسى خلافاته مع "روي فرير" ، وجازف بحياته في محاولة مميتة لإنقاذه في موقف شديد الصعوبة .

اتجه "سيماو دى ميلو" للشاطئ ؛ للتشاور مع القائد حيث سلمه رسائل من "فيرناو دى البوكيرك" ، وأخبره أن المزيد من التعزيزات ، يتم تجهيزها الآن في "غوا" تحت قيادة "كونستانتينو دى سا" .

كان "فيرناو دى البوكيرك" قد حذره في الثاني عشر من شهر ديسمبر أن سفن الإنجليز الأربعة التي قدمت من أوروبا ، قد تبين أنها تضامنت لشن بعض الهجمات ، وأنه قد علم من دامان أن تسع سفن ، وثلاثة قوارب موجودة في "سورات" على أهبة الاستعداد للإبحار إلى مضيق هرمز .

بالتالي يجب على "روي فرير" ألا يغادر السفن ، ويترتب عليه أن يكسب الوقت لحين وصول الفرق العسكرية القادمة . على كل ، تلقى "روي فرير" مائة برميل من البارود وبعض المؤن ، ومن ثم أمر "سيماو دى ميلو" بمواصلة رحلته إلى هرمز ، وإيقاف السفن على الشاطئ ، وإصلاح ما عطب منها أثناء الرحلة ، ولا شك أن الهدف من ذلك الإفادة من الوقت لإعادة تشكيل الأسطول ، لكن يبدو أن الحظ قد ابتسم لتحفيز البرتغاليين للقيام بمحاولات جديدة .

لم يكد "سيماو دى ميلو" يصل إلى هرمز ، حتى تمكن "دومينجوس بيرس فييرا" "Domingos Peres Viera" الذي كان يقوم بجولات تفتيشية بحرية في "جاسك" من الوصول إلى قشم ، ومعه من الأخبار ما تفيد أن القوة البريطانية المكونة من تسع سفن ، قد شُوهدت تبحر على طول الساحل ، وأن خمس منها تحمل أكثر من ستين مدفعاً وأربعاً زودت بحوالي ستة وعشرين أو ثلاثين مدفعاً .

يبدو أن تلك السفن تتجه إلى هرمز ، وأنها بالفعل قد وصلت إلى جزيرة "بومباريك" ، وعلى الفور قام "روي فرير" بإرسال تحذير إلى "د . فرانسيسكو دى سوسا" وأمر "لويس دى بريتو" الأميرال الجديد أن يقوم بعمل إشارة بمجرد رؤيته أسطول البريطانيين ، وعند ذلك سوف يكون بجانبه على الفور .

من بين السفن البريطانية كانت هناك السفينة "لندن" و"جوناس" "Jonas" والسفينة "ويل" "Whale" و"دولفين" "Dolphin" و"ليون" ، التي نقلت في عام ١٦١٤-١٦١٥م ، سفير "جيمس الأول" "السير

توماس رو" "Thomas Rou" إلى قائد المغول العظيم في أسطول "بايتون" "Bython" .

كانت ترافق هذه السفن قوارب سريعة ، وهي "شيلينج" "Challenge" و"روز" الذي كان برفقة رحلة "بنجامين جوزيف" "Benjamin Joseph" في عام ١٦١٥م -١٦١٦م ، و"روبرت" و"ريتشارد" ، كما كانت هناك أيضاً مجموعة من الطرادات التي ظهرت في الأنهار والمرافئ الصغيرة في الساحل من "جاسك" ، وإلى ما بعدها . أما القباطنة الأساسيين فكانوا "بلايث" "Blythe" و"ويديل" "Widel" الذي كان له دور في حملة "بافن" .

في هرمز كان اجتماع المجلس بمجرد تلقيه رسالة "روي فرير" ، حيث اقترح الملك بأن تكون القوات البحرية بكاملها ، تحت إمرة "روي" كي يعمل على تدمير القوات البريطانية ، باعتبار أنه إذا ما حدث العكس ، فيجب أن يسلموا قشم ، ومن ثم يتضرعوا للرب في صلواتهم كي يحفظ هرمز ؛ ولكن في نفس الوقت يجب أن يصار إلى تعزيز وتقوية دفاعات هرمز دون إضاعة أية فرصة .

كان ذلك الاقتراح وطبيعة الوضع قد تم استيعابه جيداً ، وقد تم تنفيذ الفكرة بالإجماع ، وكانت هناك جهود "د . فرانسيسكو" الحثيثة في عمل التحصينات ، وتقويتها حيث كان يتوقع الحصار في أي وقت ، لكنه كان رجلاً تقدم به العمر ، ويشكو من المرض ، وبالفعل توفي بعد مضي خمسة أيام .

"وبموته دارت شائعات مبهمة وغامضة انتشرت وسط السكان

والأطفال والمسنين (حيث كان حديثهم أشبه بالنبوءة) ، وتشير بالتحديد : مات القائد وضاعت هرمز" ، وربما كانت حالة الارتباك والتآمر والخيانة قد أدت إلى تصرفات ساذجة مشينة ، وساهمت عدم الكفاءة والأهلية على إكمال البقية .

في السابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٢م ، كانت هنالك جلسة أخرى للمجلس ، وذلك لأجل تعيين قائد جديد ، وبالفعل تم فتح الرسائل الخاصة بالخلافة التي وردت من "غوا" ، وعلى رأس القائمة كان هناك اسم "ديوغو دى سوسا منسيس" الذي كان قد تخلف عن الحضور ، ونهض "سيماو دى ميلو" مخاطباً المجلس بقوله :

أيها السادة ، باسم صاحب السعادة حاكم الهند ، تم بموجب هذا المرسوم تعييني في قبطانية هذه القلعة ، بعد أن أخذ الرب روح "د . فرانسيسكو دى سوسا" ، ولقد أقسمت على الولاء والطاعة بخصوص تولي هذا المنصب الذي يجب أن يمنح لي .

بعد ذلك أطلع الجميع على القرار ثم طبع عليه قبلة ، وكان الجميع قد قبلوا بكل سرور ، فهو "سيماو دي ميلو" ، وهو شخص نبيل معروف لديهم وذو سمعة جيدة ، وقد سبق أن تولى عدة مناصب هامة ، وكان أداؤه رائعاً ومرضياً ، وهذا ما جاء على لسان "فرناو دى البوكيرك" . كما أشار أيضاً أنه عندما كان قائداً في "ممبسا" حدث أن حكم على ثلاثة من الملوك المحليين بكل جرأة بقطع رؤوسهم .

في كنيسة "كارمو" تم دفن جثمان الراحل "د . فرانسيسكو دى سوسا" ، وأقيم له حداد من قبل الجميع وكان قد ترك أرملته .

أما القائد الجديد فقد اتخذ بكل مظاهر التباهي والتفاخر مقر إقامته في الكاتدرائية في حصن "اس بدرو" ، وبعدها كتب إلى "روي فرير" باحتجاج ، واعتراض صريحين أنه لا يفكر في مواصلة العمل في التحصينات الخاصة بالمدينة ، وعندما تلقى اللوم والتوبيخ على رسالته ، أجاب متسرعاً بأنهم : لا يجب أن يرهبوا شيئاً ، ولو اجتمعت قوات العالم بأسره ، فإنها لن تنال من هرمز شيئاً ... أما بالنسبة لفارس ، فيجب ألا يزعجهم أمرها وليناموا في سلام .

في الثلاثين من شهر يناير وصل البريطانيون إلى مشارف هرمز ، غير أن "لويس دى بريتو" أعطى الإشارة الخطأ حيث لم تُر في قشم ، لكن كان "اندريه كوتنهو" ، الذي يقوم بتمشيط المنطقة من جانب "جاسك" بسفينته ، وسفينة أخرى بقيادة "فييرا" ، قد أبحر ليلاً إلى قشم بالرغم من رداءة الطقس آنذاك وقذف بنفسه في البحر ، وظل يسبح حتى وصل إلى بوبات القلعة ، وظل يطرق أبوابها التي تردد الحراس في فتحها أمامه .

حينها اتجه "روي فرير" ؛ كي يعرف سبب الاهتياج ، ومن ثم أمر جنوده كي يدخلوه ، وبالتالي تلقى الأخبار التي تفيد بتقدم السفن البريطانية مع بعضها ، وكانت جميعها بنفس القوة والتسلح باستثناء أربع منها كانت تحمل مدافع قليلة ، وعلم أيضاً أن هناك العديد من الطرادات والزوارق في جميع تلك الأنهار ، وهمس الإسبان وقولهم كلما كان عدد المسلمين كبيراً كلما كانت الغنائم كبيرة وعظيمة" ، أما "روي فرير" فكان يزرع المكان ذهاباً وإياباً في صمت بالغ وتفكير عميق .

كان هذا القائد مطوقاً بجيش قوي وجنود ميالين للقتال ،ومجموعات من الفرس أُحسن تسليحها . عموماً لم يكن لديه من أحد يوكل له مهمة القلعة ، كي يتولى بنفسه قيادة السفن ؛ لأن أفضل ضباطه لم يكن بمستوى المهمة .

أنه إذا لم ينزل البحر فسوف يجد نفسه محاصراً من قِبل البريطانيين ، أما إذا فعل فلا مناص من سقوط القلعة في أيدي العدو ؛ لأنه لا حيلة لها بمقاومة القصف المدفعي من السفن ؛ لذا كتب رسالة عاجلة إلى هرمز ، مناشداً إياهم قراراً فورياً وعاجلاً ، وحث "كوتنهو" أن يأتيه برد عاجل مهما كلف الأمر .

قد أجاب "كوتنهو" قائلاً :

سيدي ، سوف أذهب في الحال ، ولكن سوف يكون من المستحيل أن أعود بالرد ؛ نظراً لوجود العديد من المراكب المرافقة للسفن يعج بها المضيق .

عندما شعر بمخاوف القائد وشكوكه ، طلب المسامحة عن وقاحته في إسداء النصح له ، استشعر "كوتنهو" أن أفضل شيء له هو أن يستقل ذلك المركب ، ويترك عصا المارشال في وسط القلعة مؤمناً ومراهناً على بسالة البرتغاليين وولائهم بأن مجرد ذلك الرمز سوف يجعلهم يستميتون دفاعاً عن القلعة .

أنه عندما يكون في الأسطول بوسعه أن ينقذ هرمز ، وأشار أنه لديه بعض الوقت كي يستقل المركب ، وأنه إذا ما تأخر فربما سوف لن يتمكن من التنفيذ .

أُعتبر هذا أمر معقول بحيث إن "روي فرير" أقره ووافق عليه ، غير أنه لم يرغب في عمل أي شيء دون قرار من المجلس في هرمز .

بالتالي فقد أرسل "كوتنهو" الذي سبح مرة أخرة للزورق ، ومن ثم انطلق في سبيله .

في صباح اليوم التالي اقترب أسطول البريطانيين محاطاً بأكثر من ستمائة زورق ، حيث سمع قرع مجموعة كبيرة من الطبول ، وكان الجميع يرتدون زياً أحمر ، وعلى مدى إطلاق قذيفة من البندقية ألقى الأسطول مراسيه بالقرب من القلعة ، وشرعت سفينة العلم في أداء تحيتها بإطلاق ثلاث قذائف ، وسفينة الأميرال بخمس قذائف وبقية السفن الأخرى بسبع قذائف .

أما "روي فرير" فقد أمر بأن ترد التحية بإطلاق قذائف كل الأسلحة الموجودة في جانب القلعة ، وقد تم ذلك ، وبعدها بدأ الحصار ، فمن جانب البحر كانت هناك بطاريات السفن التسع والزوارق ، ومن جانب البر كانت هناك سحب من السهام ، والرماح والقذائف الأخرى .

لكن كل هذا التمهيد تعطل عند حلول الليل ...

في هذا الوقت كان هناك الوميض الصادر من أفواه البنادق التي تطلق قذائفها من داخل قلعة هرمز ، وفي آخر اليوم كانوا قد أرسلوا في طلب "روي فرير" .

عند عودة "كوتنهو" أعطى الرسالة إلى "سيماو دى ميلو" وبعدما فض الرسالة ذهل ورمى بقبعته على الأرض هاتفاً "لقد فُقدت هرمز ثم قال للمبعوث الشجاع :

إنني على استعداد كي أمنحك وسام رهبنة المسيح إلى جانب معاش يبلغ مائة "كروزادوس" من مركز جمارك "غوا" ، وذلك باسم صاحب الجلالة ، دون النظر لجدارتك وأهليتك ، وإنما مقابل ذهابك الآن إلى قلعة قشم كي تأتيني بقائد تلك السفينة ، وبوسعك أن تختار ما تراه مناسباً من الرجال والبحارة لمرافقتك ، واختيار كل ما ترغب فيه من الأسلحة والذخيرة .

كانت تلك بادرة يائسة ، لا شك في تعارضها وعدم جدواها ، غير أن "كوتنهو" لم يتردد لحظة واحدة ، وفي الخامسة بعد الظهر انطلق في سبيله ، ولكن سرعان ما تعرضت سفينته إلى حصار من قِبل بعض الزوارق ، وبالرغم من أنه قاومها ببسالة كي يتحرر منها إلا أن كثرة زوارق العدو لم تدعه يواصل مسيرته ، وبالتالي قفل راجعاً إلى هرمز حيث كان قصف قلعة قشم يُسمع عن بعد .

كانت الأوضاع والأجواء في هرمز تبعث الخوف في النفوس والارتباك ، الأمر الذي جعل "سيماو دى ميلو" يدعو المجلس للاجتماع لمناقشة اثنتين من الأفكار المحيرة :

إنه في ظل الإهمال الذي أدى "بروي فرير" ؛ كي يفقد قلعة قشم وبالمثل مواجهة خطر داهم ، فقد اعتقد أنه من مصلحة صاحب الجلالة أن تبقى السفن ورجالها في القلعة وتحتمي بأسلحتها .

كانت المخابرة قد ألهمت ملك هرمز الحصيف ، بحيث إنه دهش كيف لقائد محنك يملك من الخبرة والمهارة ، أن يقدم على طرح مثل

تلك الفكرة التعيسة ، وإذا ما بقي الأسطول في الميناء جامداً لا حركة له ، فكيف يتم إرسال نجدة إلى قشم ، ويُحال دون نزول الجند في هرمز؟

كانت فكرته أنه يجب على جميع البرتغاليين من المتزوجين ، وغير المتزوجين أن يتجهوا فوراً إلى الأسطول ، كي يتم إرسالهم لنجدة قشم ، كما يجب أن يتم فتح الخندق الواقع إلى جانب الحصن "سانتياغو" ، وذلك كي تدخل إليه مياه البحر بشكل مباشر ، وبالمثل يجب أن يكمل العمل في المتاريس التي شرع في إقامتها "د . فرانسيسكو" في الحال بدون تأخير .

يجب ألا يلقى اللوم على القائد "روي فرير" ؛ لأنه ما من أحد مُجِد في العمل بشكل دؤوب مثله ، كما لا يوجد أيضاً أي شخص في مثل حذره ، ولعل أبلغ دليل على ذلك مواجهته خطر القتال لأجل الدفاع عن أربعة حيطان طينية ضد عدو شرس ، وذلك لأجل تشريف التاج البرتغالي .

إن الفرس بالطبع يدافعون عن قضيتهم ، ولكنه كان أيضاً يدافع عنها بإخلاص وشجاعة .

حظيت مسألة فتح الخندق بالكثير من النقاش في التقرير الخاص بالاستجواب ، وسوف يتم التمحيص من جديد ، فهناك التقهقر والتأرجح ، وما من شيء يبدو قد تم التقرير بشأنه ، ولعل فكرة تجميع كل السفن في البر ، وعدم نقل الموارد البحرية ، والتي من المؤكد أنها لها أهميتها النسبية ، وباختصار تركيز الدفاع في القلعة حتى ولو أدى الأمر لإخلاء المدينة ، قد بدت وكأنها الفكرة الثابتة بالنسبة "لسيماو دى ميلو" التي استحوذت على اهتمامه .

بعد مضي عدة أيام أي في السابع من شهر فبراير ، عندما أصبح

الوضع حرجاً ، كان قد أرسل إلى "فيرناو دى البوكيرك" ليبلغه أنه لا يمكن أن يصدق أن البريطانيين سوف يقومون بشن هجوم على هرمز ؛ لأنه قد أُخبر أنهم تمكنوا من تحميل الحرير في السفن .

وأصبح جل اهتمامهم أن يشرعوا في الإبحار وأخذه بعيداً ، ومن الصعوبة بمكان أن يُتصور أنه يتصرف بشكل منفرد بسبب الهواجس ، ولأن مسيرة الأمور من حوله تبدو مزعزعة تنقصها الثقة ، خاصة وقد بدت تصرفاته مشوبة بالارتباك والانزعاج .

أما "غونسالو دا سليفيرا" ، فإنه في إطار مبادراته تمكن من إنجاز أعمال جليلة كانت مفخرة تضاف إلى سلسلة الأحداث البطولية التي تميز بها تاريخ البرتغال ، فقد قرر الذهاب لمقابلة "روي فرير" باعتبار الأخير هو القائد الحقيقي في البحار كي يساعده ، ويتلقى أوامره وإقناعه بمغادرة قشم ، وذلك بإعطاء الأمر للأسطول بالتحرك ، ومن ثم يمكن أن يتم نقله وحاميته بحراً .

هذا ولقد استقل "غونسالو" أحد المراكب الصغيرة برفقة أحد أصحابه ؛ لأن المركب لا يتسع لأكثر من ذلك ، وتمكن من المرور وسط السفن الفارسية وسفن البريطانيين حتى وصل إلى قشم ، ومعه أربعة براميل من البارود وبعض الذخائر الأخرى ، وقد أكد "روي فرير" صعوبة المحافظة على القلعة وصعوبة الدفاع عنها ، ولكنه يطلب موافقة المجلس لإخلائها .

كانت الخطة المقترحة قد بدت في نظره غير قابلة للتطبيق ، وأنه قد فضل فكرة استخدام المراكب الصغيرة والزوارق والسفن الخفيفة ،

وقد أرسل "غونسالو دا سليفيرا" وأوصاه كي يخبر "سيماو دى ميلو" بضرورة إرسال الوثيقة ، وإرسال مبعوث أيضاً للإنجليز ؛ كي يحاول أثناءهم عن القتال .

إنه بنفسه قد فعل هذا الشيء عندما أرسل لهم رسالة طالباً منهم عدم الوقوف في صف الشاه ، ومحاولة مساعدته في حربه ، وكان قد حاول إغراءهم بقليل من التكلفة ، ومكاسب محفوفة بالخطر ، وقد رغب في كل الأحوال أن يكسب بعضاً من الوقت على أمل الحصول على مساعدات إضافية من "غوا" .

استاء "سيماو دى ميلو" كثيراً عندما علم أن "روي فرير" لن يغادر قشم ، وبالتالي لم يقم بالرد على رسالته .

في قشم كان الوضع متأزماً وحرجاً ، وفي إحدى الليالي تمكن الإنجليز من إنزال ستة عشر مدفعاً أطلقت قذائف سعة أربعة وعشرين وأربعين رطلاً ، وقد وزعت على ثلاث بطاريات إحداها كانت إلى جانب منطقة مقالع الحجارة ، والثانية في بساتين النخيل والثالثة في البر الرئيس .

في صبيحة اليوم التالي تمكنوا من دك الدرابزين الذي كان البرتغاليون يعملون على صيانته في الليل ، والآن أصبحت القلعة الصغيرة التي تم بناؤها من الطوب الطيني مطوقة تماماً ، ليس فقط بواسطة آلاف مؤلفة من الفرس والإنجليز المسلحين ، وإنما بحلقة قوامها مائة مدفع أو يزيد .

كان الفرس أكثر قلقاً على الاجتياح والدخول قبل البريطانيين ، وكانوا يخشون أنهم ربما يدخلون في مفاوضات مع البرتغاليين ، ولذلك

عملوا على تكثيف هجماتهم وغاراتهم ... غير أن البرتغاليين واجهوهم بوابل من نيران أسلحتهم من البنادق الهاركوبية والأسلحة الصغيرة .

أما البريطانيون فكانوا أكثر قلقاً وأكثر مهارة ، وبمجرد دخولهم هذه اللعبة الخطرة فلن يدخروا جهداً في التورط والاشتباك خاصة ، وإن آمالهم تتجه إلى تحقيق مجد عظيم بغض النظر عن زيادة مطالبهم .

تشير سجلات مكتب الهند أنه منذ بداية ذلك العام كان وكلاء الشركة قد حرصوا على التواجد في المنطقة ، وكان لهم نشاطهم الدائب في تكثيف مراسلاتهم مع أصفهان و"سورات" ، وفي السابع من شهر فبراير كان كل من "وليام بيل" "William Bell" ، و"جون هوارد" "John Howard" و"كريستوفر روسل" "Christopher Russel" دائمي الحضور في "غمبرون" حيث كتبوا إلى قادة الأسطول .

بعد مرور عشرة أيام ، تبين أن "رتشارد بليث" نائب القبطان "شيلينج" و"جون" و"ويديل" و"ادوارد مونوكس" "Edward Monox" و"نيكولاس" "Nicolas" و"ود كوكس" "Wood Cox" موجودون أيضاً في موانئ "غمبرون" ، حيث قدموا معلومات إلى العملاء في "سورات" .

قبيل نهاية شهر فبراير كتب "بيل" ورفقاؤه من "شيراز" إلى "باركر" و"ثومبسون" "Thompson" ، وهم من الوكلاء المقربين للشاه في أصفهان ، عن طريق بيل في "غمبرون" ، حيث أرسلا سلسلة من الرسائل في الثاني عشر والثامن عشر من شهر مارس والثامن والعشرين من شهر إبريل إلى قادة البحرية .

في صبيحة أحد الأيام قام البريطانيون برفع علم أبيض ، ثم أرسلوا

قارع الطبل برسالة إلى "روي فرير" ، تمت قراءتها على مسمع الحاضرين ، كما يقول الكاتب ، ولكن من المؤكد أنها قُرأت في المجلس :

إلى القائد "روي فرير دى اندريد" المحاصر في القلعة .

سيدي "روي فرير" قائد البحار ، والمضيق في هرمز والبحر الأحمر . بوسع سيادتكم رؤية أوضاع تلك القلعة من حيث النقص في المساعدات ، وانقطاع الأمل في وصول هذه المساعدات ، وعليه ، فإن الذود عنها فقط بالآمال بحد ذاته يعتبر شجاعة ، كما أن الموت في سبيلها لا يعد سوى ضرب من الحماقة والجنون في ظل قوات الفرس التي تنتظر إنهاء هذا الأمر ؛ كي تقيم احتفالاتها بالنصر فوق دماء البرتغاليين .

عليه ، فإذا كان سعادتكم على استعداد لتسليمنا هذه القلعة ، فإننا سنؤمن لك سلامة المرور إلى هرمز أو إلى أي مكان يرغب سيادتكم في التوجه إليه . أما في حالة رفض هذا العرض من جانب سيادتكم ، ففي الغد سوف يقرر ألف جندي بريطاني ، وأربعة ألف جندي فارسي إنهاء هذه المسألة بحد السيف .

عليه ، فإننا نمنحك مهلة أربع وعشرين ساعة كي تتخذ القرار الذي يناسبك .

الكآبة تعكر أكثر العقول صفاء ؛ لذا كان التردد وكانت الحيرة في الأفكار والرؤى التي طرحت ، كما كان الغضب ، ففي ظل الرغبة في حفظ الأمن والمحافظة على توازن وشجاعة جنود الحامية ، ألقى "روي فرير" الكلمة التالية ، وربما كان الكاتب قد صقلها ونمقها قليلاً ، بالرغم من أنه لم يلجأ إلى هذا فيما يتعلق بالاقتباسات الواردة في بقية

الوثائق الأخرى ، وفي ظل الإثارة التي اتسمت بها تلك اللحظات بدت كلماته محركة وجدية ومفعمة بالانفعال :

أيها السادة ،

أية قضية تلك ، أي طارئ عصيب سيبرهن على تميزكم وسمعتكم . لقد استمرت مقاومتكم طيلة التسعة الشهور الماضية في وجه هذا الحصار بقوة سواعدكم وإرادتكم الصلبة ، بحيث كان مجرد ذكر أسمائكم الخالدة ؛ كفيلاً ببث الرعب في نفوس أشرس الأعداء .

هل تعيرون اهتمامكم لأدلة الخطر وتقييم الحياة؟

ألم تكن الأسلحة والسيوف التي بذلتم لها نفوسكم وأرواحكم حتى الآن ، قد زادت من صلابتكم وقوتكم ؟

ألم يكن الموت هو أيضاً أكثر رهبة ورعباً للآخرين؟

الآن ، دعوا الإنجليز يشهرونه في أوروبا والفرس في آسيا ، ولنختم حياتنا كرجال شجعان دون استسلام أو إذعان كما يفعل الجبناء والخونة ، وإذا ما قالوا إنه لا مكان لنا في هذا العالم ، فلننطلق قدما من هذه القلعة كي تقرر سيوفنا ذلك .

بهذا النبض البطولي اختطف خوذته ، وقبض على درعه عابراً بوابة القلعة ، ومن ورائه ضباطه وجنوده باندفاع عنيف .

يبدو من خلال هذه الوثائق أن نواياه تتجه للصعود إلى متن السفن والمراكب التي تقف جاهزة لأجل كسر الحصار بالقوة ، والإبحار إلى هرمز ، لكن حال دون ذلك مجموعة الكهنة الذين سدوا عليهم

الطريق ، ونبهوهم بضرورة التراجع عن تنفيذ رحلتهم باسم المسيح عيسى ؛ لأنهم دون شك سيذهبون كي يعرضوا أنفسهم للموت ، وكانت تلك هي الشرارة التي أشعلت التمرد العام .

بموجب نداء أخرق تافه من قبل رجال الدين الذين يختلفون تماماً عن رجال الدين من غير هذا الجيل ، حيث كان السابقون يحملون الصليب في يد ، والسيف في اليد الأخرى في مقدمة جيوش المسيح ، توقف ذلك الجمع من الجنود حيث كان بعضهم خائفاً والبعض الآخر متردداً ، ولا يستبعد أيضاً وجود بعض الخونة والمارقين في صفوفهم .

عموماً اتخذ البعض منهم هذه المناسبة ؛ كي يقترح أنه يجب أن يفكروا في إمكانية تفعيل مفاوضات معقولة .

في كلمة لأحد رجال الدين الذين تناولوا هذا الموضوع بالنقاش كان قد ألقاها برباطة جأش ، جاء وصفه لهذا التمرد بأنه مستحسن غير أنه ندد بالكلمة التي ألقاها "روي فرير" ، ووصف جرأته البطولية بالعمل الجنوني .

لم ينسحب أو يتراجع ، إنما رفض الموافقة على التفاوض ، غير أن الرد كان قد كتب وأرسل مع أحد الجنود ، وكان رداً سخر منه الفرس في معسكرهم بينما رحب به الإنجليز في مواقعهم :

نحن جنود هذه القلعة نرسل لسيادتكم رداً على خطابكم هذه الرسالة التي يطلع عليها قائدنا .

نقول لكم إذا كانت هذه القلعة تقف بدون أسوار ، أو بهذه الأسوار

المتهالكة ، فإن هذا لا يعني خلوها من البرتغاليين الذين هم على استعداد تام لإعادة بنائها بشكل يكفي لحمايتهم عشر سنوات قادمة .

أما المعركة التي ستُحكمون فيها سيوفكم هذا الصباح ، فيجب على سعادتكم محاولة خوضها بضعفي قواتكم ؛ لأننا قد قبلنا التحدي .

حتى إذا ما كانت الظروف أقل تأزماً مما عليه الآن ، فإننا لن نقبل بشيء سوى الاحتكام لسيوفنا .

عاد المبعوث برد الإنجليز حيث حاول أن يسلمه القائد ، الذي كان يقف وسط مجموعة من رجاله ، غير أن "روي فرير" لم يعره أي اهتمام ، وإنما ضربه بقبضة يده واصفاً إياه بالخائن .

بعد ذلك تمت تهدئته ، وتم البدء في قراءة الشروط التي وردت في رد البريطانيين بصوت عالٍ .

كان "روي فرير" يستمع لذلك ، وفجأة بدأ يشخص ببصره للسماء صائحاً : آه يا ربي ، أليس هناك من صاعقة تدمر هؤلاء الخونة ، فهذه إهانة توجه للبرتغاليين!

بدأ التذمر والغضب يتسرب لنفوس الجميع ، وبدأوا يصيحون أنهم ليسوا خونة ، وأنه إذا ما كان قد وفر لهم القلعة الحصينة والمؤن الكافية إذاً لبرهنوا له كيف سيكون دفاعهم عنها كما فعلوا في كثير من الأحيان ... لكن الآن لا توجد قلعة بالمعنى الصحيح ، كما لا توجد أية مواد يمكنهم إصلاحها بها ، وهم لا يريدون أن يموتوا كما تموت البهائم .

عموماً انتشر التمرد والشغب ، والتقط فتيلاً مشتعلاً ، وكأنه سائر

في طريقه إلى مخزن الذخيرة ، وعندما أبصر بعض الجنود ذلك أخذوه إلى مقر إقامته تحت الرقابة إلى حين الانتهاء من معاهدة الاستسلام .

حتى ذلك الوقت لم يتم قبول اقتراحات الإنجليز ، إذ إنهم يهدفون إلى أن يكون الاستسلام ظاهراً بسيطاً متخذاً نوعاً من الكياسة والذوق .

إننا لسنا لهم ، هكذا أجابوا ، كما إننا لسنا مرغمين على قبولها ؛ لأننا ما زلنا سادة القلعة ، وفي ضوء ما يكفي من المؤن والغذاءات والبارود سوف نذود عنها لمدة عشر سنوات حتى ولو أحرقنا داخلها .

بالتالي وبكل تفاخر اقترحوا شروطاً أخرى .

كان هذا الأمر من اختصاص رجال الدين ؛ لأنهم في الأساس هم من أشعل التمرد ، وقد احتفظوا لأنفسهم بتوجه دبلوماسي في الأمر :

كان عليهم أن يغادروا غير مسلحين مع التماثيل والصور الخاصة بممارسة طقوسهم الدينية والعقائدية ...

سوف يغادر القائد إلى هرمز بكامل عدته وعتاده العسكري من أسلحة ، وعصا المارشال بيده مع جميع الجنود البرتغاليين بكامل أسلحتهم وطبولهم وراياتهم ،

كذلك ضباط النظام و"الفاريز" بأسلحتهم المؤلفة من الرماح والفؤوس ، وبوسع كل فرد أن يحمل ما يمكنه حمله من عدته .

كذلك تم ترتيب ذهاب العبيد المسيحيين والبحارة برفقتهم ما أمكنهم ذلك ، وأيضاً بكامل أسلحتهم وأغراضهم إلى هرمز أو إلى أية جهة يرغبون في الذهاب إليها وسوف يقوم الإنجليز بتسليم الرهائن وتوفير سبل النقل ...

في هذا الوقت كان "غاسبار دا فونسيكا" الذي ظل مرابطاً في نهر (لفت) ومعه ثلاثون سفينة وعشرون قارباً ، ويعلم تماما العلم من هرمز ما يحدث في قشم ، قد وصل بشكل عاجل بكامل أسطوله لأجل مهاجمة السفن البريطانية ، وكان قد وضع خطة محكمة جريئة وبسيطة بحيث يتم مهاجمة كل سفينة بريطانية بثلاث سفن واثنين من القوارب ؛ وذلك تنفيذاً لأوامر محددة ، وهي :

إما إشعال النار في السفينة البريطانية أو حرق المركب نفسه معها إذ من الأفضل أن يموت الجميع مع البريطانيين بدلاً من سقوط القلعة وفقدانها .

انطلق "فونسيكا" بأربع سفن بكامل سرعتها تجاه سفينة العلم البريطانية لندن ، وكذلك فعل "سبستياو بيريرا دى ماسيدو" الأمر نفسه ، حيث هاجم سفينة الأميرال بخمس من سفنه ، غير أن قذيفة انطلقت لتصيب ذلك القائد الجريء في صدره لترديه قتيلاً ، فابتعدت سفينته قليلاً ؛ كي تعطي الإشارة بوفاة ذلك القائد .

عندما تم رؤية ذلك انضمت السفن ، واقتربت من بعضها البعض كي تتجه إلى هرمز التي وصلتها بعد سويعات قليلة .

في هرمز كان المجلس ما يزال منعقداً ، وكان القائد "سيماو دى ميلو" حانقاً على "روي فرير" حيث صرخ قائلاً : إن "روي فرير" يعرف جيداً ما يجب عليه فعله لكن لم يرغب في عمل شيء خطأ .

أما الملك الناقم ، فقد أخبره بعد أن سوى عمامته جيداً فوق رأسه ، أنه بالرغم من عدم رغبته في عمل شيء خطأ إلا أنه قد أخطأ حقيقة

بعدم تقديم المساعدة التي كان قادراً عليها ، وبالتالي سقطت قشم ، وأصبحت هرمز في مهب الريح .

برد حاسم أشار "سيماو دى ميلو" قائلاً إن من واجبه أن يحمي القلعة ، ومن واجب "روي فرير" التعامل مع السفن ، ومن الأفضل التأكد منها ووضعها في الداخل ، وضرورة إنقاذ رجاله مما يمكن أن يحدث لهم تماماً كما نصح حاكم الهند وأوصى به ، وعدم شروع السفن في الإبحار ما لم يقم الحاكم بإرسال القائد الذي سيتولى مسؤولية قيادتها .

بعد أن استنفذ كل حججه ، وجميع اقتراحاته ، وأنكرت جميع محاذيره ، التفت الملك نحو المجلس معلناً بكل قوة :

أيها السادة ، لقد سقطت هرمز ؛ لأن قائداً جباناً وضعيفاً قد تولى حكمها ، فاذهبوا بأنفسكم إليها .

أما أنا ، فإنني سوف أذهب إلى قصري ؛ لأن فترة حكمي قد انتهت ، وسوف أغيب عن هذا المجلس طالما بقيت هذه الحرب وطالما ظل بقاؤك ، "سيماو دى ميلو" ، قائداً لهذه القلعة .

حدث هذا وسط جد مفعم بالحرج ، وظل "سيماو دى ميلو" خجلاً ومرتبكاً غير قادر على تهدئة الملك ، وعندما حاول ذلك سارع الملك بالقبض على خنجره ، وأخبره بأنه ليس مستعداً لمخاطبة شخص خائن لشقيقه ملك البرتغال ، وبعد ذلك استدار للخروج تاركاً أعضاء المجلس في حيرة شديدة .

بدا "سيما دى ميلو" فزعاً إزاء هذه التهمة ، التي ربما كان البعض

متفقين عليها ، فقرر إصدار إعلان يلزم جميع البرتغاليين من مكتملي اللياقة البدنية أن يتجهوا للسفن قبل الساعة الثانية بعد الظهر تحت قيادة "د .غونسالو دا سيلفيرا" للإبحار ، والرسو بالقرب من شاطئ قشم في منطقة السفن البريطانية .

ذلك لأجل نقل الرجال الذين تركهم القائد مع القلعة إذ إنه رُؤي أنه من الأفضل الانصياع والتسليم للبريطانيين ، حسبما كتب القائد وتم التفاوض حوله ، وكانت تلك هي الكلمات التي وردت في التوجيهات التي صدرت عن "سيماو دى ميلو" إلى "سيلفيرا" في الخامس من شهر فبراير .

هناك وثيقة أخرى ، مستبقاة ضمن الوثائق الموجودة لدى الجمعية الجغرافية يمكن أن يفهم منها أن "روي فرير" ، قد أخبره عن التمرد والمفاوضات القائمة ، وتبين هذه أن قشم لن يكون في مقدورها الصمود حتى تلك الليلة .

تكونت تلك الحملة من عشر سفن إلى جانب بعض المراكب الصغيرة ، وكان على السفن محاولة الرسو في مياه بأعماق قامتين ؛ كي تتمكن من توفير الحماية للمراكب التي أوكلت قيادتها للقائد "اقناسيو هوميم" ، وأُنيطت بها مسؤولية تحميل أكبر عدد من الرجال .

عندما سمع ملك هرمز هذه القرارات ، أمر بقرع الطبول بغية جمع محاربيه ، ثم امتطى جواده ، ومعه حاشيته ، وأصدر أوامره للقاضي ؛ كي يوفر لـ "سيماو دى ميلو" وكبير مسؤولي الخزينة "مانويل بورجيز"

أي مبلغ من المال والمساعدات التي يحتاجان إليها ، بينما التفت لمتابعة أعمال تحصين المدينة .

لكن كان مصير هذه العملية الفشل التام ، إذ إنها لم تتجاوز قط مرحلة الإعداد والتخطيط ، فوفقاً للإفادة التي صدرت عن "روي فرير" نفسه إلى "غونسالو دا سيلفيرا" مؤخراً في السادس عشر من شهر يوليو ، أنها لم تكن غلطتهم أن يسود الارتباك أوساط الناس وبإحساس البرتغاليين المقيمين أنفسهم بالفقد والضياع ، فقد شرعوا في نقل ممتلكاتهم للقلعة .

في هذا الوقت أصبح البريطانيون أكثر قلقاً ، وكاد أن ينفذ صبرهم ، فقد تكبدوا خسائر فادحة وفقدوا الكثيرين من رجالهم بما فيهم "وليام بافين" "William Bafin" .

قد ضاعت قشم بشكل كامل لا هوادة فيه ، ولكن بمنأى عن عدم الرغبة في تمكين الفرس من اكتساب ، ونيل شرف الانفراد بالاستيلاء عليها ، وربما يكلفهم إغضاب الحرس الكثير بحيث يجعلهم يدفعون ثمناً غالياً لقاء الاستسلام ، إذ إنهم يخشون وصول سفن البرتغاليين ، وشن هجوم من هرمز دون أن يضعوا في الحسبان ضعف وعدم أهلية "سيماو دى ميلو" ؛ لذا فقد طالبوا بذهاب بعض المسؤولين من قشم لإنجاز معاهدة الاستسلام .

هكذا توجه أربعة من المسؤولين تم تفويضهم بشكل رسمي ، ومن ثم تم الاتفاق على السماح لكتيبة الموقع العسكري بالمغادرة بحرية حيث سيتكفل الإنجليز بنقلهم إلى هرمز ، أما "روي فرير" الذي لم يوافق على الاستسلام ، فقد تم تجاهله .

في صبيحة اليوم التالي في السابع أو الثامن من شهر فبراير كان القائد الإنجليزي على رأس خمس من الفرق العسكرية بكامل شعاراتها وطبولها وقد أخذت مواقعها أمام القلعة المدمرة ، بينما كان الفرس قد ابتعدوا عنها بمسافة أربعمائة ياردة ، ثم فتحت البوابات وكانت فرقة الحرس تقف هناك .

والبرتغاليون والجنود بكامل أسلحتهم . حينها تقدم أحد الضباط الذين كانوا قد شاركوا في المفاوضات نحو الضابط الإنجليزي ، مقدماً له مفاتيح القلعة على طبق سلمه له .

"عندها خرج القائد مرتدياً زياً أسود ، يتدلى سيفه من حزامه لكنه لا يحمل عصا المارشال .

تقدم القائد البريطاني نحوه وخاطبه بكل أدب واحترام قائلاً :

إن المحن والمصائب لا يمكن أن تقلل من سمعة القائد العظيم .

طلب منه أن يصافحه ، وأن يرافقه إلى سفينة العلم الخاصة به كي يجد له مكاناً يليق بمرتبته كبرتغالي شجاع .

لم يرد عليه "روي فرير" بأي شيء ، وإنما تبعه في صمت ، إنه لم يستسلم ، وإنما تم التخلي عنه .

عندما دخل البريطانيون القلعة خرجوا بشكل مشين عن شروط الاتفاقية ، وشرعوا في تجريد البرتغاليين من أسلحتهم ، وصادروا كل شيء كانوا يحملونه . أما جنود المدفعية ، فقد قوبلوا بمعاملة مهينة ، وتم استبقاؤهم في القلعة ؛ بحجة أنه سوف يسمح لهم بالمغادرة بعد ذهاب

البرتغاليين ، وأيضاً تم تجريدهم من الأسلحة عند صعود البرتغاليين إلى متن السفن .

بعد ذلك أعطى الإنجليز الإشارة إلى جموع الفرس ، الذين هجموا على جنود المدفعية العسكر كذئاب جائعة ، فقتلوهم عن بكرة أبيهم ، وبلغت حصيلة القتلى من جنود المدفعية حوالي ثمانمائة قتيل نظير ثلاثمائة قتيل من الفرس .

بهذه العربدة الدموية تمكن الإنجليز من تخليص أنفسهم من حسد غاضب ، بحيث إن العملية حدثت مع البرتغاليين ، وبالتالي أخذوا ثأرهم للولاء ، والثقة التي ليس في مقدورهم قط إثارتها ، وزرعها في نفوس الوطنيين كما يفعل البرتغاليون .

أما ذلك البحار الباسل "أندريه كوتنهو" ، الذي كان قد حاول الوصول إلى قشم ، فقد واجه صعوبة بالغة من أجل العودة إلى هرمز ، وأخذ الرسالة التي كان "روي فرير" قد أرسلها إلى "سيماو دى ميلو" ، وكانت عبارة عن ملحوظة بسيطة ، وحكم بالموت في نفس الوقت ووعد بالخلاص :

لتعلم ، "سيماو دى ميلو" ، أنك مسؤول أمام الرب وأمام صاحب الجلالة عن ضياع قشم ، وعن العار الذي سببته لي . لقد تضافرت قوات العدو واتحدت ضد القلعة . يجب عليك قراءة اللوحة الموجودة عند أسفل قدمي القائد العظيم "ألفونصو دى البوكيرك" التي تقول :

إذا أبصرت العدو الأوروبي قادماً للرسو عند هذا الحاجز ، فما عليك سوى فتح الخندق والذهاب للنوم . خذ هذه النصيحة طالما كان أداؤك سيئاً معنا "روي فرير" .

أحمق وربما غادر ، إذ إنه لم يعمل على فتح الخندق ، كما أنه لم يستيقظ من نومه أيضاً!

كان ذلك الخندق من صنع "ألفونصو دى البوكيرك" ، الذي ترك لوحة حجرية تحمل وصية ، مفادها أنه يجب فتح الخندق في حالة تعرض القلعة إلى أي "حصار" ، إذ بذلك يتم عزل القلعة ، وإبقائها سليمة في انتظار النجدة ، وبالرغم من أن كثير الناس يذكرون ذلك ، إلا أن "سيماو دى ميلو" لم يأمر قط بفتح الخندق .

الفصل الثامن : حصار هرمز

في هرمز كان المجلس في حالة انعقاد مستمر وبما أن القيادة ، قد فقدت سيطرتها وسلطتها على الأمور ، فقد بدا كل فرد متمسكاً بوجهة نظرة ، وبالتالي لا عجب أن يتم طرح ترتيبات تتسم بالحماقة ، كي تناقش في ظل الافتقار للكياسة ، وعدم الأهلية حيث يكفل الحق لمناقشة وفرض وجهات نظر وآراء حتى ولو كانت هذه عقيمة لا طائل منها .

لقد جاء "اندريه كوتنهو" بأخبار سقوط قشم ، وتعرض القائد للأسر ، وإن الجنود الذين تمكنوا من الهروب قد استقلوا ثلاثة مراكب للإفلات بها باستثناء اثنين ظلوا مع القائد أحضر منه مذكرة ، وقد سلم هذه المذكرة "لسيماو دى ميلو" الذي قرأها بصوت عالٍ ، وبعدها أحدث فرقعة من أصابعه تنم عن تعجب وجبروت .

(ربما كان "روي فرير" قد خسر قلعة قشم ، ولكن هذا لا يعني أن "سيماو دى ميلو" سوف يقوم بتسليم هرمز ؛ لأنه ظل يعمل دائماً بشكل أفضل منه) .

على هذا رد أحد الحضور قائلاً :

"سيماو دى ميلو" ، دعنا من إعلان تحدينا للسماء ؛ لأننا ما زلنا نلعب . لقد نازل "روي فرير" المسلمين في معارك كثيرة والشجاعة التي تحلى بها معروفة لكل فرد ، وليس في مقدورنا أن نقول عن أحد لا يمكنه أن يتحدث ، وكان السبب في خسارته ، وبشكل أخلاقي تم حرمان القائد المتبجح من سلطاته .

عموماً لم يتقرر أي شيء في ذلك اليوم ، وبالتالي اتجه "سيماو دى ميلو" إلى فراشه ، كي يستمتع بنوم هانئ ، وفي اليوم التالي عاد إلى جلالة الملك ترافقه بكل أبهة مجموعة من حرسه .

لقد خاطبه جلالة الملك بكل حزم وهدوء قائلاً :

هل يا ترى سنبقى هكذا ننتظر قدوم العدو ؛ كي نسلمه هذه المدينة والقلعة ، أم نعمل على الذود والدفاع عن أنفسنا؟

إذا كان لابد لنا من الدفاع عن أنفسنا ، فكيف يتسنى لنا ذلك ، والخندق مليء في أسفل حصن "سانتياقو" ولم يُفتح بعد؟

لماذا لم تصدر الأوامر لأجل جمع كميات ضخمة من الأخشاب في مركز الجمارك والمستشفى وبعض الأماكن الأخرى؟

لماذا لم يُكمل العمل الذي بدأه القائد "د . فرانسيسكو" في التحصينات؟

لماذا لم يتم جمع المؤن الغذائية من قمح وارز ، وخمور وبقية المؤن الغذائية الأخرى المكدسة في مقار ومخازن التجار ، والتي يمكن أن تكفي حاجة الناس لعشر سنوات قادمة؟

أجاب "سيماو دى ميلو" بأنه سوف يقوم بتنفيذ كل ذلك . كما إن الخندق الموجود في أسفل الحصن يمكن فتحه في أي وقت ، إذ مع الخندق نفسه يمكن أن تتم حماية السفن عند أعتاب القلعة ، وبوسع الرجال الموجودين فيها الذهاب للشاطئ لمواجهة العدو الذي يعمل على إنزال قواته هناك بكل سهولة .

هناك خطة تم طرحها ، وهي تعزيز قوة السفن بخمسين جندياً لكل سفينة ، ومن ثم إرسالها ضد الأسطول الفارسي ومراكب الفرس .

كان من الصعب أن يتم الاعتراض والعدو قد بلغ في جولته نقطة كورو ، وأنه إذا ما قدمت السفن إلى هرمز ، وهي السفن الأقوى والأكثر تسليحاً التي تشهدها هرمز ، بحيث لم تخرج لمهاجمة الإنجليز ، فسوف يتم قصفها عند أسوار القلعة ، وسوف تتولى سفينة واحدة أمر المراكب .

تم وضع السفن بين حصن (سان بدرو) وبين البحر في أعماق تقدر بخمس قامات ، وهذا موقع يلائم كثيراً السفن التجارية أكثر من سفن البرتغاليين وأسطولهم الذي يعتبر مصدر الرعب في الشرق بأكمله .

بعدها قام الملك بنقل كل ممتلكاته إلى داخل القلعة ، ثم صاح قائلاً : أيتها القلعة ، لقد قام أسلافي ببنائك ، أما أنا فلا أظن أن بوسعي أن أقدم لك خدمة بسبب سوء إدارة ذلك القائد الذي فرط فيك .

في الحادي والعشرين من شهر فبراير أصبحت سفن البريطانيين في نقطة كورو ، وبسبب الهدوء الكامل في حالة البحر تم اللجوء إلى قطر السفن ، وكان برفقتهم مجموعة كبيرة من مراكب الفرس بلغت مائة وخمسين مركباً واثنتين من السفن الضخمة ، هذا بالنسبة للإفادة

التي أدلى بها "سيماو دى ميلو" إلى "غونسالو دا سيلفيرا" الذي أوكلت له مهمة قيادة المراكب والأسطول العامل بالمجاديف .

لقد قادها إلى موقع ما بحيث أصبحت عارضات السفن تجاه البر ، ومقدماتها نحو البحر ، وبحيث يوحي المكان أن السفن في محاولة للإنزال ، وكان قد تولى حمايتها مؤخراً حوالي ستمائة جندي من حاملي البنادق ، ومائتين من كتيبة الخيالة جميعهم يرتدون دروعاً واقية على ظهورهم وصدورهم ، ويضعون الخوذات ، وكان برفقتهم الملك نفسه .

عند ظهور إحدى الفرق العسكرية القوية من أحد المراكب القادمة من اتجاه "قمبرون" ، أمر "د . غونسالو" بإطلاق النار كإشارة تنبيه للجنود ، ومن ثم شرع في التجديف بقوة ، وقد صاحب ذلك ضرب عنيف على الطبول ، وكان ذلك إشارة لانطلاق سفن البرتغاليين لمواجهة عدوهم .

كانت سفن الفرس ، تتقدم بتكوين هلالي ، وكان هناك تبادل في إطلاق النار ، وقد تمكنوا من تطويق المراكب ، ومن ثم بدأ القتال متخذاً طابعاً شرساً وعنيفاً من كلا الجانبين ، وحقيقة كان أشرس قتال شهدته بلاد الهند .

عندما أحس الفرس أن قواتهم لم تحرز أي تقدم يذكر بدأوا في التراجع بشكل منتظم ، لكن سرعان ما اشتد القتال مرة ثانية دون هوادة بواسطة المراكب التي كان تسحب السفن البريطانية ، وكان مشهداً مثيراً ، بدت سفن البريطانيين مبحرة كل واحدة في اتجاه مغاير للأخرى ؛ وذلك بسبب انعدام الرياح ، ولو كان "روى فرير" موجوداً

حينها لتملكه الغضب من جراء ذلك الخمود الأحمق ، الذي اتهم به أفضل قوات البحرية البرتغالية .

غير أن البريطانيين قد عجلوا بإرساله بعيداً إلى "سورات" بفكرة إرساله إلى بريطانيا منتصراً .

أما في القلعة وفي إطار خوف "سيماو دى ميلو" من فقدان المراكب اضطر إلى إعطاء الإشارة بضرورة تراجعها . لكن كان هناك إصرار ملك هرمز على ضرورة إصدار الأمر لمواصلة القتال ولتحقيق النصر ، لكن بعد أن عمل "سيماو دى ميلو" على تكرار أمره بالانسحاب والتراجع بإعطاء الإشارة الثانية ، أكد ذلك بإشارة ثالثة ، بإطلاق قذيفة مدفعية ، وصرح قائلاً ، إنه إذا ما تحسن الطقس ، فسوف يكون بمقدور البريطانيين تدمير الأسطول العامل بالمجاديف عن بكرة أبيه .

حينئذٍ احتج "بالتازار" بغضب قائلاً :

أليس لكل مركب من هذه المراكب خمسين مجدافاً ، وسارية وشراعاً لاتينياً وأسلحة برتغالية على متنها؟ وهل لهذه السفن مجاديف أم أنها طيور بوسعها الوصول إلى المراكب والتحليق فوقها؟ الحقيقة إننا نخسر بسبب أخطائنا وليس بسبب قوة العدو .

لم تأت الاستجابة من "د . غونسالو" إلا في الإشارة الثالثة حيث عاد إلى مركزه على مبعدة من "كورو" في الثالثة بعد الظهر دون أن يفقد أي فرد من جنوده .

في تلك الليلة بدأ مستاءً جداً من الأمر الذي صدر إليه بالذهاب لوضع سفينته في حالة الرسو تحت حصن "سانتياغو" .

بما أن "د . غونسالو" يدرك أن الفرس سوف يعملون على الإنزال ، فقد أطلق بعض القذائف لكن ساعتها كان الأمر بالتراجع قد أعلن عدة مرات ؛ لذا فقد اتجه إلى القائد مخاطباً إياه بكل حزم :

أيها القائد "سيماو دى ميلو" ، إنني لم آت إلى هرمز كي أكون موضع سخرية . لقد سلبتني شرفي واحترامي ، وبسببك أنت تمكن هذا العدو الذي سبق أن ولي هارباً أمامي من الوصول إلى هذه المدينة . إنني سوف أكون شاهداً سيئاً لإدارتك في التقرير الذي سوف تقدمه إلى صاحب الجلالة ، وعليك أن تترك الأسطول ولا تفكر في استخدامي إلا كجندي مقاتل وهو السبب الذي جعلني آتى إلى هذه المملكة .

ثم أدار له ظهره متجهاً إلى حيث يوجد "بالثذار" في (مدخل الشيطان) مع "ديوغو بيريرا دى ماسيدو" ، "جيرونيمو تافاريز" ، "فيرناو دى باروس" ، "مانويل كاباسو" وثلاثمائة جندي من البرتغاليين . على ثقة بأن المواقع الأخرى غير الحصينة سوف تتم حراستها أيضاً ، لكن هذه المجموعة الباسلة سوف تفاجأ وتهلك .

تمكن الفرس من إنزال جنودهم وغزو المدينة ، وتوغلوا فيها حتى بلغوا السوق بحيث اقتربوا كثيراً من القلعة ، وعندما شعر "بالثذار دى شيفر" بتهديدهم ، وهو أحد أبطال معركة حصار قشم خاطب جنوده قائلاً :

أيها السادة إن هذا اليوم هو اليوم الذي ستمنحنا أسلحتنا الحياة ، وهو اليوم الذي سنبرهن للكفرة من نحن ومن نكون .

اندفع مهرولاً نحو "روا لارجا" مخترقاً بوابات قصر الملك ، وكان داخل القصر فسحة تضم المسجد ، وتماماً كبقية الطرقات الأخرى كانت

الفسحة مكتظة بالجنود الفرس ، وشرع "د . غونسالو" في إطلاق النار عليهم ، لكنه أصيب بطلق ناري في ساقه ، وبعدها اضطر للانسحاب للقلعة مع البقية .

بعد ذلك كتب مذكرة إلى "لويس دى بريتو" أميرال أسطول السفن ؛ كي يلاحق سفن العدو التي كانت تقوم بتطهير الجزيرة في غير نظام بالقرب من (توروم باق) .

علم "براس رودريغيز" ، الذي كان يتولى حراسة مبنى مركز الجمارك ، وبناية مقر المسؤول الأول على الخزينة مع خمسين من جنوده ، بدخول الفرس في الطابق الأرضي للمستشفى ، وأن الخطر بات يحيط به ، وأنه سوف يقبض عليه كالفأر ، لكن كان هناك جندي اسمه "أنطونيو منديس رابوسو" "Antonio Mendes Raposo" دفع برميل بارود نحوهم حيث أدى إلى انفجار الطابق الأرضي ، وبالتالي عمل على الهروب مع البقية بالرغم من أنه تلقى جروحاً بليغة .

من جانب المدينة تدفقت جموع الفرس ، وهكذا شرع الأهالي في الهروب بشكل عشوائي لا يدرون أية جهة آمنة يمكنهم اللجوء لها .

أما ملك هرمز الذي لجأ بعائلته إلى داخل القلعة فقد رغب في القتال مثله مثل أي جندي عادي ، لكن حدث أن سقط من صهوة جواده وتم تفسير ذلك كنذير شؤم عليه .

هذا وقد وقعت أحداث أخرى مماثلة زادت من حالة الارتباك والخوف .

في حصن "سان بدرو" ضربت إحدى الفتيات ، عندما أصرت على

التعميد ، وعندما أدخلت من الباب الخلفي تنبأت هذه الفتاة بعقوبة الرب ، وعندما ألقى عليها الكاهن السر المقدس خرت ميتة ، وهذه المعجزة سببت الكثير من الذعر للجميع .

لكن أسوا مصادر هذا الرعب ، هو انخفاض الروح المعنوية ، وتثبيط همة القائد ، بالإضافة إلى انعدام الثقة فيه . حتى فترت عزيمتهم في الاستمرار والمحاولة لإقناعه بفتح الخندق ، وقد أبلغه الملك أن خان شيراز قادم شخصياً بجاهزية كاملة ، وبقوة ضخمة يعتبر أفرادها الأفضل مهارة والأكثر خبرة في أعمال الحرب ، وذلك بفكرة دخول القلعة عبر الخندق من جانب حصن "سانتياغو" .

بالفعل تواتر وصول التعزيزات من جهة "قمبرون" ، وتم تسريع تنظيم الحصار وتكثيفه ، وعمل العدو على إغلاق المداخل المؤدية إلى الطرق التي تقود إلى الساحة الموجودة أمام القلعة حيث هدمت المنازل ، ونصبت المدافع على طول امتداد الحائط وُصفت في طابور طويل حيث برزت من الفتحات .

أما في مركز الجمارك ، فقد أقاموا مسطبة نصبوا فيها حوالي عشرة مدافع زنة أربعة وعشرين وأربعين رطلاً . كما تم نصب اثني عشر مدفعاً خلف الشرفة القصيرة جميعها موجهة نحو حصن "سان بدرو" ومقر سكن القائد .

أقيم أيضاً حاجز خشبي منيع يمتد من مركز الجمارك ، وحتى كنيسة "مسريكورديا" بارتفاع ثلاث براكوسات ... أما المستشفى ورهبنة الأوغسطينيين فقد خضعتا أيضاً للاحتلال . كذلك تم وضع بطارية

من ثمانية مدافع على مسطبة بطول ثلاث براكوسات في المنطقة ما بعد القتال ، وهذه توجه نيرانها بشكل متواصل نحو السفن شبه الخالية .

بافتراض أن هذه السفن ربما يصار إلى إغراقها ، فقد كان لدى "سيماو" فكرة حمقاء أخرى ، عمل على طرحها ، وقبل بها ذلك المجلس المذهول ، وهي ضرورة دفنها بالقرب من حصن "اسبيريتو سانتو" .

بالفعل كان قد تم قطر ثلاث منها للشاطئ بجانب بوابة المرتزقة ، أما الأربع الباقية منها ، فهي موجودة على الشاطئ ، بجانب الأسطول العامل بالمجاديف ، وهي التي يجب أن تدفن بحيث تظل مقبورة للأبد .

لقد سبب هذا ندماً عظيماً ، وكان الجزع على أشده عند رؤية دمار تلك السفن العظيمة ، وكان طاقم إحدى هذه السفن ، وهي السفينة "سان بدرو" ، سفينة العلم في رحلة المحيط ، ومعركة "جاسك" ، قد قاوموا تقدم البريطانيين مقاومة شرسة مستخدمين نيران مدفعيتهم الثقيلة ، واستمرت المقاومة نحو سبعة أيام ، وقد لقنوا سفينة العلم درساً قاسياً تماماً مثل ما فعلوا في معركة "جاسك" .

في نهاية الأمر أي بعد أن نفذت ذخيرتهم ، تم قطر السفينة إلى داخل البحر ، غير أن بحارتها الشجعان أشعلوا فيها النار ، ثم قفزوا في أحد القوارب متجهين صوب القلعة ، وكان في انتظارهم "سيماو دى ميلو" الذي أمر بالقبض عليهم جميعاً ، وزجهم في السجن .

كان بوده أن يقوم بشنق البعض منهم ، وربما كان ذلك بسبب شجاعتهم النادرة التي استفزت مشاعره وإحساسه بالجبن أو الخيانة ، وليس للأمر صلة بعدم الطاعة أو عدم تنفيذ الأوامر .

في رسالة كتبها "مانويل بورجيز" كبير مسؤولي الخزينة إلى "فيرناو دى البوكيرك" في الثامن والعشرين من شهر إبريل ، روى له قصة السفن مع بعض التغييرات الطفيفة محاولاً إضعاف الرواية بقوله إن بعض البريطانيين قدموا ليلاً في زورق بخاري ، ومن ثم اشعلوا النار في السفينة "اس بدرو" :

عندما وصلت ألسنة اللهب حبال المرساة التهمتها كلها ، وبالتالي انجرفت السفينة مع التيار حاملة ستة مدافع برونزية وستة مدافع حديدية لم يكن من الممكن نقلها من السفينة وإخراجها .

كان المسؤول الرئيس للخزينة يمثل الظهير المخلص "لسيماو ودي ميلو" ، وكان دائم الموافقة له في كل شيء .

الآن وبعد أن عمت أخبار حصار هرمز ، يبدو أن الأمر يجب أن يترك للوثائق ، والتي تعتبر هذه الدراسة كمقدمة لها .

لكن لأجل إتاحة الفرصة للقارئ ؛ كي يربط ما بين الأحداث ويرتبها بشكل واضح في ذهنه وتلك الوثائق أو الأساسية منها ؛ تتطلب بطبيعتها تسلسلاً مرجعياً عاماً ، فالبعض منها واضح ، تم تطويره من خلال وثائق أخرى لم يتم نشرها بعد .

تظل تحصينات العدو تحرز تقدماً ملموساً ، وذلك بغية ممارسة المزيد من الضغط وتقوية دفاعاتها ضد المدفعية البرتغالية ، بحيث أسست حصناً آخر لأجل مواجهة الأول .

كانت موارد العدو ممتازة جداً كما كان تصميمهم عنيداً ، بحيث

بدا إنهم مصممون على تنفيذ هدفهم في طرد البرتغاليين من هرمز ، وقاموا بتحويل منزلين يؤولان لاثنين من البرتغاليين هما "لويس دى ماقلهييس" و"جيل برادو" إلى حصنين متقدمين ، وتمكنوا من عمل متراس حصين مستخدمين في ذلك دعائم أفقية وأنقاض ، وبذلك أغلقوا (روا دو بازار جراند) ، حيث مثل لهم ذلك ساتراً واقياً من نيران أسلحة البرتغاليين على ذلك الجانب .

في المقر المسمى "ماستر أوف ذا هورس" المجاور لاسطبلات القائد ، أقاموا حصنا منيعاً ، نصبوا فيه أفضل ما لديهم من أسلحة ، ونشروا فيه أفضل الجنود لأجل حماية وصد أي هجوم يتم شنه على حصن "سانتياغو" الذي كان يمثل هدفهم الأول .

قرر "سيماو دى ميلو" القيام بمحاولة هجومية ، لكن ليست بمستوى الغارات التي كان يقوم بها "روي فرير" ، وبالرغم من توفر الضباط المهرة لديه خاصة القادمين من قشم ، منهم "فرانسيسكو دى بريتو دى ايفورا" ، وقاد هذا القائد مجموعة من الجنود البرتغاليين .

بلغ عددها خمسين جندياً بكامل أسلحتهم وسيوفهم ودروعهم ومسدساتهم وقنابل الباكامارتيس ، يرافقهم عشرون من اللاسكرز برماحهم ، والقنابل اليدوية وغيرها من الأسلحة الحربية ، وتسللوا ليلاً في جنح الظلام مستترين بظلال المراكب صوب الميناء القديم في المدينة بغية مفاجأة الحصن ، الذي يبرز من مركز الجمارك تجاه الشاطئ .

تمكن العسكر من إشعال النار في المبنى ، كما فتحوا نيران أسلحتهم على السفن في طريق عودتهم إلى القلعة ، وفي نفس

الوقت الذي كانت عملية بناء التحصينات قائمة على قدم وساق ، كان الفرس يمارسون براعتهم المشهودة بالعمل في الإنفاق الأرضية إذ إنهم عرفوا كمهندسين بارعين ، وخبراء في معالجة وزرع الألغام وتعطيلها خاصة في اتجاه حصن "سانتياغو" .

لقد تضمنت عملياتهم تلك محاولة الاقتراب من خلال حفر الأنفاق الأرضية إلى الخندق ، ذلك الخندق الشهير الذي رفض "سيماو دى ميلو" بل قاوم عملية فتحه ، كي يفيض ماؤه ، وهو تصرف تعذر تفسيره .

مضت أيام وأسابيع وشهور على هذه الحالة المشوبة بالحذر والارتباك مع استمرار القتال ، وفي المجال البحري لم يكن هناك ما يوقف عمليات تلقي الفرس المزيد من الإمدادات والتعزيزات المرسلة من "شيراز" ، بل من الخان نفسه ، وهو الضابط المهيب لدى الشاه ، الذي قد قدم بنفسه إلى هرمز .

الفصل التاسع : غارات وإنفاق

بسبب حرارة الجو المفرطة بدت المواد التموينية المكدسة في المخازن تفسد شيئاً فشيئا كما أن معظمها قد تم استهلاكه ، هذا إلى جانب تعرض الجنود للمرض بشكل يومي ، وفي نهاية شهر إبريل كان كبير مسؤولي الخزينة قد أبلغ الحاكم أنه لم يتبق من المواد الغذائية سوى الأرز مما يمكن توزيعه .

أما "سيماو دى ميلو" فقد كتب مخاطباُ "غوا" يناشدهم إرسال المساعدات ، كما أرسل "فيليب دا فونسيكا" في مركب خفيف إلى مسقط مع ستة آلاف بطاكس لأجل جلب بعض الأدوية والإسعافات .

كانت هناك غارة قد تمت ، وكانت هذه المرة بقيادة "بالتازار دي شافيز" ، وهو من أفضل القادة العسكريين وأكثرهم مهارة وكفاءة في ذلك الوقت ، وقد ترأس ثلاثمائة جندي عمل على توزيعهم إلى ست فرق عسكرية تولى قيادة إحداها بنفسه ، وأوكل قيادة البقية إلى كل من "سبستياو بيريرا دى ماسيدو" و"أنطونيو موراو دى أوليفيرا" و"دومنقوس بايرس فيريرا" و"مانويل كاباسو" و"أنطونيو بالها" ، وكان هدفهم الأساسي بطارية العدو في "مسيريكورديا" .

خاطب "سيماو دى ميلو" هذه الحملة بهدف الرفع من معنويات الجند ، وأوصى "سيماو جوميز" و"فيسنتي كاراسكو" و"ديوغو لوبيز" و"توم دي كاسريس" "Tom de Casres" بضرورة تعطيل أسلحة العدو في ذلك الموقع مستخدمين في ذلك الأجهزة والأدوات التي زودهم بها .

في الحادية عشرة مساء ، انطلقوا مبحرين في نظام تام ، حيث عملوا على إخفاء خوذاتهم متقدمين في صمت كامل . لم يكن عليهم أن يقطعوا مسافة طويلة ، لكن كانت روحهم المعنوية عالية بشكل ملحوظ على الرغم من أن نتيجة هذه العملية لم تكن بالأمر الهام بالنسبة لهم ، ففي الحروب وخاصة في الشرق غالباً ما تأتي نتائج تلك الأعمال على نحو غير متوقع .

عندما هاجمت تلك الفرق قوات الفرس ، كان هجومها مباغتاً بحيث لم يفكر جنود الفرس الذين كانوا في الخنادق الأمامية في شيء سوى الهرولة إلى مواقع أسلحتهم تطاردهم نيران الجنود البرتغاليين ، وسرعان ما اشتدت المعركة ، فتقدم البرتغاليون سريعاً لكن حارب البريطانيون والمسلمون للدفاع عنهم ببسالة نادرة .

لكن ذلك لم يكن كافياً لمقاومة وصد هجوم الجنود البرتغاليين الشرس ، والذين نجحوا في أحداث مدخل لهم بواسطة أسلحتهم وأجبروا فلول العدو على التراجع ورمي أنفسهم فوق الحواجز والمتاريس ، وبالفعل تم تعطيل أسلحة العدو ومن ثم عادت القوات المهاجمة إلى قواعدها بشكل منتظم .

شهدت تلك الأيام وقوع حادثة كانت سبباً في إفساد بهجة "سيماو دى ميلو" وفرحته بالانتصار ، فقد عاد "فيليب دا فونسيكا" من مسقط بمركبه واثنين آخرين محملين بالقمح والدواجن والخراف ، كما ضمت الشحنة كمية من البيض والزيت والبرتقال والتمور ... إلخ ، وأيضاً عاد حاملاً رسائلاً من الحاكم في الهند موجهة إلى "سيماو دى ميلو" و"روي فرير" وكبير مسؤولي الخزينة .

في أولى تلك الرسائل يشير "فيرناو دى البوكيرك" موصياً القائد قائلاً :

يترتب على أسطولنا في حالة دخول الإنجليز المضيق ، أن يشرع في الإبحار لمواجهتهم في الخارج وفي حالة عدم وجود القائد هناك يجب أن تعهد قيادة القلعة إلى ملك هرمز ، ومن ثم التوجه بنفسه للسفن لمقاتلة الأعداء ، وفي حالة تأكده من انتصار العدو وعدم توفر أي خيار سوى الانهزام ، فعليه أن يعمل على إشعال النار في السفن ، وبذلك يحق لنا أن نفخر بنجاحنا في استنزاف العدو .

جاء ذلك مناقضاً تماماً لرغبة "سيماو دى ميلو" ، وما خطط له من واقع عدم أهليته وجدارته بالرغم مما نصح به ونُبه له ، فقد كان هذا القائد عابساً نكداً مسكوناً بالشكوك وأنه بحق ارتكب حماقة يتعذر إصلاحها الآن .

كانت القلعة تقف صامدة مقاومة القصف المدفعي ، فقد بنيت بشكل قوي منيع ، وكذلك كان الحال بالنسبة للحصون التي حظيت جدرانها وسقوفها ببناء سميك ، حيث بدت متماسكة بالرغم من شراسة القصف المستمر من بطاريات المدفعية الإنجليزية .

لكن كان الفرس الذين قطعوا شوطاً كبيراً في عمليات حفر الخنادق تحت الأرض تجاه حصن "سانتياغو" ، وقد تجاوزوا الخندق الذي لم يتم فتحه بسبب الحماقة وقصر النظر ، ولقد استمروا في العمل حتى وصل النفق منتصف الحصن قريباً من البحر بحيث وصل مستوى المياه إلى الركب

ثم وضعوا فيه برميلاً مليئاً بالبارود ، وبعدها قاموا بتعبئة بقية المساحة الفارغة بالحجارة والجير ؛ لأجل عمل دعامة واقية حتى لا ترتد قوة الانفجار للخلف ، وبعد ذلك تركوا فتيلاً للإضاءة .

في صبيحة اليوم التالي ، شوهدت دفاعات العدو ومتاريسه مزدانة بالعديد من الأعلام والرايات الملونة في جو مهرجاني ، كما سمعت دقات الطبول ، وعندما تم إبلاغ ملك هرمز بهذا الأمر صعد إلى حصن "سينو" ، ولوحظ أنه لا وجود لأية أعلام أو رايات فوق الحواجز والمتاريس بالقرب من حصن "سانتياغو" ، كما لم يسمع أيضاً أية أصوات للطبول ، وعليه فقد شرع في رفع الحذر .

ظهر الملك وهو يرتدي جاكيتاً من الجلد يتدلى حتى ركبتيه ، وقد وضع على جسده درعاً دائرياً مصنوعاً من الصلب على صدره وظهره ، واعتمر خوذة عليها تاج موشى بالذهب والحجارة الكريمة ، وفي يده درع وسيف معقوف جرده من غمده .

قال مخاطباً : "آه يا أسود للبرتغال ... "يقودها خروف" وهذا يعني وجود نفق أرضي تحت حصن "سانتياق" ولابد لكل فرد أن يتراجع نحو الأسوار ، فلتأخذوا أسلحتكم ؛ لأن اليوم هو اليوم الذي يجب أن تصنع أسلحتكم ما كانت تصنعه دائماً .

من حسن الحظ أن وصيته هذه وجدت كل الاهتمام والانتباه ، وسرعان ما انفجر النفق في الساعة العاشرة محدثاً هزة عنيفة وصخباً هائلاً ، وكان اهتزاز الحيطان قوياً بحيث لم يسلم منه الجنود فاستلقوا على الأرض ، كما أن الانفجار كان عظيماً بحيث بدا كأن السماء قد تهاوت معلنة عن انتهاء الوجود .

أما الحصن فقد أصابه ضرر بليغ بحيث انهار الجزء الأعظم منه ، وبالنسبة للجنود الفرس كانت النتيجة المباشرة لعملهم مثمرة إذ لم يواجه النفق مقاومة تذكر لأنهم كانوا قد بنوا جداراً لحمايتهم ، وقد أدى الانفجار إلى تطاير الروافد فوق جموع العدو فقتلت أكثر من ستمائة منهم ، لكن ما يزال الخندق مليئاً بالمياه ، وقد تمكن الفرس من إدخال أنبوب في التحشية كي ينفذوا من خلاله .

في صبيحة أحد الأيام كانوا قد وصلوا حتى الأسوار إلى الشمال من النفق الذي انفجر ، وذلك بروافد سميكة ودعامات قصيرة مصنوعة من أخشاب قوية وسميكة مثبتة بمسامير بحيث إن كل ما سببه الانفجار من تطاير القطع الضخمة لم تؤثر عليهم على الإطلاق ، وقد عملوا على تغطيتها بصفائح حديدية حتى يكونوا بمأمن من النيران التي تقذف نحوهم . كما تمت حمايتها من الجوانب حتى لا تتأثر بايتداد تفجيرات مدفعيتنا .

بدأ العدو قلقاً ومنزعجاً بحيث زاد من وتيرة إطلاق نيران أسلحته ، كما أن بطاريات العدو ظلت تواصل قصفها بوابل من رصاص أسلحتها كل يوم ابتداء من الخامسة وحتى التاسعة صباحاً ، ومن الثالثة حتى الساعة السابعة مساءً .

هكذا كانوا مستمرين في القصف كل يوم مدة ثماني ساعات ، وقد سببوا دماراً كبيراً أدى لهدم المتاريس التي أقيمت في حصن "اس بدرو" وحصن "سينو" ، وبالمثل هدم الحيطان التي أقيمت بينهما ، كما أدى القصف أيضاً إلى إسكات أسلحتنا مما جعلهم يقررون دخول القلعة عن طريق حصن "سانتياغو" ، ويبدو أن ذلك كان الهدف الأساسي من وراء هجومهم .

في اليوم الذي أعقب تدمير وتفجير النفق حاول الفرس الوصول للحيطان التي ما تزال قوية نوعاً ما ، وكان ذلك أمراً عجيباً ، فبالرغم من أنهم واجهوا نيران مدفعية حصن "سان بدرو" إلا أنهم استمروا في المحاولة لاحتلال الحصن المدمر .

في البداية كان الارتباك عظيماً ؛ حيث شرع البرتغاليون في قصفهم بالأوعية الساخنة والملتهبة وبالرماح المشتعلة وقذائف الباكامارتس ولكن بعد أن تبينوا حجم الضرر الذي تسببه لهم هذه الأسلحة عندما يتم إطلاقها من مسافات قريبة ، حاولوا طرد العدو باستخدام السيوف ، وقد أبلوا بلاءً حسناً ، وكان الاشتباك عنيفاً بحيث اختلط الحابل بالنابل من كلا الجانبين ، ولم يكن بوسع المقاتل أن يتحرك إلا فوق جثث القتلى وأجساد الجرحى .

كما إن المهاجمين قد استمروا في تلقي التعزيزات ، وعند ذلك صرخ "د .غونسالو دا سيلفيرا" داعياً جنوده ؛ كي يلحقوا به متسلحين بأوعية النيران الساخنة ، وبالفعل شق طريقه مع "ميجيل بيريرا بورالهو" "Miguel Perreira Boralho" ، و"فيرناو دي باروس" وآخرين فوق الحطام .

وبمساندة من الأسلحة التي كانت تطلق من "اس بدرو" وأسلحة الفرسان تمكنوا من قتل عدد كبير من الفرس ، كما نجحوا في عمل متاريس لحماية الأحياء ، وبذلك أوقفوا تدفق واندفاع الغزاة .

في هذا الوقت اشتدت حدة القتال لدرجة الإفراط ، كما كان أداء ملك هرمز متميزاً وأبدى شجاعة عظيمة ، هذا من جانب وأيضا كانت هناك جهوداً مقدرة من قبل "سيماو دى ميلو" ، و"بالتازار دي شافيز" ، وبالمثل نشير إلى بسالة الأخوين "ديوغو بيريرا" و"سبستياو بيريرا دى ماسيدو" و"فرانسيسكو غونساليفس" و"لورينسو ألفيز شامورو" و"دومنقوس دا كامارا" .

"أنطونيو ليناو" و"أنطونيو تافاريز" و"تومى دى كاسريس" و"جواو دى اندريد دا غاما" و"مانويل كاباسو" و"أنطونيو موراو دي اوليفيرا" و"براس رودريغيز بنها" و"بلشيور لوبو" "Belchior Lopo" و"جواو سواريس" "Joao Soares" و"أنطونيو دلجادو" "Antonio delgado" وآخرين لم يتــعرف على أسمائهم ، ولكن خُلدت أسماؤهم في سجلات البطولات البرتغالية .

في هذا الاشتباك قتل خمسون من البرتغاليين ، أما عدد قتلى العدو

المهاجم ، فإنه لم يقل عن أربعمائة قتيل . كان "د . غونسالو دا سيلفيرا" ، الذي عهد له "سيماو دى ميلو" بقيادة الحصن ؛ نظراً لخطورة الموقف ، قد أبلى بلاء حسناً ، وكان أداؤه جسوراً ، وبالرغم من الإصابات الحارقة التي طالت يديه ورجليه إلا أن ما قدمه في هذه المعركة أظهر شجاعته وإقدامه .

بعد ذلك تم تلغيم الحصن من جوانبه الثلاثة ، وبما أنه قد ثبتت صعوبة المحافظة عليه فقد توجه "د . غونسالو" ، بعد مضي أيام قليلة ؛ كي يقوم ببناء قلعة وسط هذه الأنفاق ، وذلك كخطة مضادة لاثنين من خنادق الفرس ، كما هدف من ذلك أيضاً إلى تعزيز قوة دفاعته وذلك بإقامة وبناء حائط ساتر بأكياس الرمل ، وذلك بعد الشكوك التي انتابته بأن ممراً آخر يقترب من دفاعته .

بالفعل أحيلت مسؤولية إقامة هذا العمل إلى "فرانسيسكو دى افونسكا" ، ولكن تم النكوص عند ذلك عندما تبين أن مهمته تلك سوف تؤدي إلى إضعاف الحصن .

حاول "سيماو دى ميلو" إرسال رسالة إلى "غوا" بحيث أمر "بدرو جوميز" بالتوجه عن طريق مسقط ، غير أن قائد تلك القلعة الصغيرة في مسقط قام بتأجير سفينة لنقل الأخبار إلى "غوا" ، ثم قام بتجهيز سفينتين لنقل المؤن ، لكنهما لم تتمكنا من كسر الحصار المضروب على هرمز .

كان من المهم جداً المحاولة لوضع خطط مضادة لوقف عمليات تخندق العدو ، وتولى القيام بهذه المغامرة القائد "بالتازار دي شافيز" ، الذي شرع في دراسة ما إذا كان من الممكن الخروج عند انحسار

المد عند أسفل الحصن بحيث يجد كل فرد وقتاً كافياً للخروج قبل ارتفاع المد .

بما أنه رجل ماهر ذو كفاءة عالية فقد جعل من نفسه معياراً ومقياساً لعمق المياه ، فعند انحسار الجذر ارتفع مستوى الماء حتى فخذه ، وعند أعلى المد تجاوز المستوى عنقه ، وكان ذلك بالأمر المستطاع .

بالتالي قام "سيماو دى ميلو" باختيار مائتي جندي من أفضل رجاله واثنين من الضباط "د . غونسالو دا سيلفيرا" و"بورالهو" ، وبعد أداء الاعتراف والسر المقدس ، زودهم بالسيوف والدروع والمسدسات وغيرها من أسلحة "الباكامارتس" والقنابل .

بالإضافة لذلك زودهم أيضاً ببعض الرماح الصغيرة بقصبات بطول تسعة أشبار وأربعة أشبار من الحديد معالجة بشكل متقن وذات رؤوس مسننة يمكن أن تخترق كل شيء ما عدا الدروع الحديدية .

عند الفجر كانت انطلاقتهم ، وقت انحسار المد ، ولكن بصعوبة بالغة حيث بلغ مستوى ارتفاع المياه حتى الخصر ، وبدأوا في التقدم بصمت شديد تجاه المتاريس الأولى من الجانب الذي سوف يمثل بداية عملهم في زرع الألغام ، وصاحب ذلك فتح النيران بشكل متواصل حماية لهم في هذه الغارة لأجل إرباك العدو .

لم يكن الفرس يتوقعون أي شيء من ذلك الجانب الذي لم يكن مخفورًا بأية حراسة ، وبينما كانت الفئة التي تمكنت من الهروب تعطى الإنذار ، كانت المداخل التي تؤدي للممرات تحت الأرض قد أغلقت سريعاً بالألواح وسلال التراب ، وعندما قدمت مجموعة من التركمان ،

وهم من أكفأ المحاربين في فارس لتقديم مساعداتها تمكن البرتغاليون من فتح نيران أسلحتهم عليها بشكل شرس .

سقط منهم أكثر من مائتي جندي قتلى ، بعد ذلك دخل البرتغاليون النفق الذي بدأ واسعاً جداً بحيث يمكنه استيعاب كارة "عربة لنقل الأغراض" بكل سهولة ، وقد ذكروا أنهم قد وصلوا إلى ما وراء منطقة التعبئة في الخندق التي امتدت لأكثر من منتصف الحصن ، هذا بالرغم من أنهم لم يعدوا الصندوق الذي يحتوي على البارود .

في الوقت الذي بدأ البرتغاليون يحاولون العودة للشاطئ ، كان التركمان يعملون على قطع الطريق عليهم ، وحينها أنصب عليهم وابل من الرصاص من جهة مستودع الذخيرة من الجانب المقابل ، وصاحب ذلك قصف عنيف بواسطة المدفعية بحيث تشتت جموع العدو ، ولكن رغم ذلك شهد الموقف إصراراً من جانبهم على التقدم ، وبدأ عددهم في التزايد .

في الوقت الذي كان البرتغاليون يعالجون أمر الخندق أمر "غونسالو دا سيلفيرا" بإطلاق إشارة الانسحاب ، وبالفعل عادوا بنفس الممر الذي سلكوه بشكل منظم متحدين مجموعة التركمان الذين تركوا وراءهم أكثر من خمسة عشر قتيلا في هذا الاشتباك الأخير .

في هذا الوقت تولى "د . غونسالو" مهمة القيادة ؛ لأن "بالتازار دي شافيز" وهو البطل المغوار في العديد من المعارك اندفع بشكل متهور مشكلاً ضغطاً على العدو في الخندق ، وذلك مع مجموعة من البرتغاليين لم يتجاوز عددهم الثمانية الذين تعرضوا للأسر والذبح من قبل مجموعة من الفرس ، وكانت خسارته لحياته شخصياً قد

مثلت وحدها ثمناً باهظاً لهذه العملية الضخمة التي خُطط لها بكل ذكاء ومهارة .

لم يكن هنالك من مجال لإهدار أي وقت ، فقد ارتفع مستوى المد بحيث أصبح كاملاً ، وبحيث أصبح من المستحيل في ظل الأمواج القوية استعادة القلعة ، وقد تطلب الأمر جمع الجنود واستخدام أحد المراكب .

كما حدث في الغارة السابقة التي استهدفت قشم ، فقد برز في اليوم التالي مجموعات الفرس من الخنادق والحواجز ، وهي ترفع الأعلام البيضاء ، وحينئذٍ دعا "سيماو دى ميلو" مجلسه للانعقاد . كما أنه وجه الدعوة نفسها لملك هرمز الذي رفض بدوره الحضور ، لكن في ضوء خبرته ومعرفته بنفاق الفرس ، فقد أوصى بضرورة أخذ الحيطة الكافية بحيث إنه عندما يخرج العدو للفسحة يجب أن تكون بطاريات المدفعية وكل الفرق العسكرية مصوبة أسلحتها نحوه .

بالفعل تحمس كل فرد لتنفيذ هذه الوصية ، لكن كان "سيماو دى ميلو" يفضل قبول العرض الخاص بالتفاوض ، وعليه فقد أمر برفع العلم فوق قمة حصن "اس بدرو" كدلالة بالقبول .

عند ذلك تقدم اثنان من الفرس نحو القلعة وهما يحملان رسالة من "خان شيراز" يقترح فيها مفاوضات السلام بشروط مناسبة ، ويطالب بالاحتفاظ بأربعة من التركمان نظير الاحتفاظ بأربعة من البرتغاليين الأسرى ، خلال استمرار عملية التفاوض ومسارات الأمور على ذلك النحو ، ويبدو أن "سيماو دى ميلو" لم يفهم كالعادة الخدعة الكامنة في ذلك العرض غير المتوقع .

عموماً كانت الغالبية تؤيد القبول ، وبالفعل أرسل "فرانسيسكو دى بريتو"[أ] بالرد ، وبالتالي كان قد بقي هناك كرهينة في أيدي الفرس إلى جانب "فنسنت كاراسكو" و"جواو غونسالفيس" و"جيرونيمو تفاريز" ، كي يتم استبدالهم برهائن العدو الذي أرسل أربعة جنود عاديين . هذا وقد وجد البرتغاليون معاملة حسنة من جانب العدو ، ولكن لم يتح العدو لهم الفرصة للاطلاع على ما يدور في معسكره .

لم يدم أمل الاقتراح طويلاً حيث وصل في اليوم التالي مباشرة ، وهو مكتوب باللغة الفارسية ، متضمناً فقرات ساذجة وتافهة ، لم يكن الغرض منها سوى إثارة قضايا من شأنها أن تؤخر عملية الوصول إلى اتفاق ، بحيث يتمكن في هذا الوقت كل من البريطانيين والفرس من الحصول على مزيد من البارود والذخائر التي أصبحوا في حاجة ماسة لها لمواصلة العمل بكل هدوء في عمليات التخندق .

طالب الخان باستسلام هرمز و"مسقط ، " وبالمثل إحياء الجزية القديمة التي كان يدفعها ملوك هرمز السابقون إلى الشاه (قبل أن يبدأ "أفونصو دى البوكيرك" العمل في القلعة) ، استلام "جلفار" مع جميع مصادر دخلها إلى جانب عشرة لاك بحيث تساوي هذه خمسمائة ألف "بطاكاس" تدفع نقداً كثمن للحرب ، وفي المقابل يتنازل الفرس

(أ) يشير تاريخ "كريسبيك" إلى أن المقصود هو "فرانسيسكو دى بريتو" ، ولكن يبدو أن ذلك خطأ لأن المقصود هو "لويس دى بريتو" وهو أميرال غير مشهور ، كان قد أتى مع "سيماو دى ميلو" بعد أن عُلم أن "فرانسيسكو دى بريتو" قد توفي أثناء الهجوم الذي استهدف بقايا حصن "سانتياغو" والتفاوض بشأن الاستسلام بينما كان الرهائن ما يزالون موجودين في معسكر الفرس .

ويسقطوا حقهم المزعوم بقشم ، وكان ذلك اقتراحاً سخيفاً أثار دهشة "سيماو دى ميلو" ومعظم أعضاء المجلس .

عندما اكتملت عملية ترجمة الاقتراح وقراءته غضب الجميع دون استثناء ، ومن ثم قرر "سيماو دى ميلو" فتح الخندق وشن هجمات مضادة . كما رد عليهم قائلا : إذا كان الخان يرغب في السلام ، فيجب عليه أن يغادر المدينة فوراً ، كما يجب عليه أن يسمح بمرور حركة التجارة وفق ما نصت عليه شروط الاتفاقيات السابقة .

لكن كان العدو يسعى لكسب المزيد من الوقت . بالرغم من الخوف أنه في حالة مواصلة القتال أن يظهر أسطول البرتغاليين في يوم ما بحيث يتغير الموقف كلياً .

بالإضافة إلى ذلك يوجد احتمال كبير في أن الفرس يفضلون ، كما فعلوا في قشم ، دخول البريطانيين الذين ما قدموا للفرس أي مساعدات إلا وكانت بمثابة العبء الثقيل على كاهل الأخرين .

على كل حال تمكن الخان من تجنب غضب واستياء "سيماو دى ميلو" من خلال إرساله رسالة ، يعده فيها بأنه سوف يتشاور مع الشاه ، ولابد من استمرار فترة الهدنة وتمديدها لمدة عشرين يوماً يتوقع فيها أن يتلقى رده وقراره .

قد بدا هذا أمراً معقولاً ، وقد افترض "سيماو دى ميلو" وكذلك أعضاء المجلس من تلك الرسالة المعتدلة أن الحرب قد وضعت أوزارها وإن السلام سوف يتم . لكن في ظل استمرار الهدنة كان أحد الجنود المكلفين بحراسة مدخل أحد الإنفاق قد توجه بكل حذر كي يخبر القائد قائلا :

سيدي ، عندما كنت أقوم بواجب الحراسة في موقعي تناهى إلى سمعي أصوات المسلمين ، وهم منشغلون في أعمالهم في الإنفاق . وبدا "سيماو دى ميلو" قلقاً ، وأمر الجندي بأن يكون هادئاً تجاه هذا الأمر على أن يقدم له تقرير كاملاً ومفصلاً في الليلة التالية .

هناك أيضاً جندي آخر أفاد بنفس المعلومات ، وعندما علم الملك بهذا الأمر توجه بنفسه لزيارة الموقع ، كي يتبين حقيقة المعلومات المدلى بها .

بعدها استدعى "سيماو دى ميلو" وبقية الضباط صرح لهم من خلال ملاحظاته أنهم من جانبهم لا يقومون بأي عمل سوى رغبتهم في تسليم القلعة ؛ لأن ذلك أمر واضح ، إذ لا شيء هناك سوى الحديث واجتماعات المجلس والمزيد من الاجتماعات دون الوصول إلى قرار حاسم ، واختتم معلناً لهم أنه في غضون يومين فقط سوف يتم تدمير حصن سانتياغو بشكل كامل بالألغام .

في هذه اللحظة وصل اثنان من الفرس (وهما يضربان على الطبل وآلات الشوم ويحملان أعلاماً بيضاء) ، وبالرغم من أن الملك رغب في الانسحاب إلا أنه ظل باقياً تحت إصرار وإلحاح القائد .

جاء الرجلان برسالة أخرى من الخان (فيها إظهار كبير لأواصر وعمق علاقات الصداقة) حيث ذكرا أن الخان قدم طلبه للشاه بخصوص السلام كما أنه قد أمر بأن المعسكر الذي يقيمون فيه لابد من نقله من المدينة .

عند ذلك تيقن "سيماو دى ميلو" بأن السلام سوف يتم إرساؤه في غضون الأيام القليلة القادمة ، وكان هناك احتفال عام وفرحة عارمة ؛

لأن كل فرد قد تعب من الحرب وقسوتها ، كما أنهم افترضوا أن ذلك سوف يكون إحساس العدو أيضاً .

لكن كان الملك وحده هو من أمسك بالجندي المسلم الذي أتى بالرسالة كي يقول له : اذهب وأبلغ الخان في "شيراز" بأنني أفضل منه في العمل باستراتيجيته ، وأنه لن يخدعني كما يفعل مع هؤلاء الأطفال الأغرار ، ثم ذهب في سبيله كي يلقي على "سيماو دى ميلو" رداً جافاً ، بعد أن طلب منه "سيماو دى ميلو" أن يبقى للمساعدة في اتخاذ القرار ، وكان رد الملك أن أمره كي يخبر المبعوثين بضرورة العودة غداً لأخذ الرد .

بعد ذلك كان للفرس أسبابهم الخاصة في ترك الخنادق والحواجز ، كما سوف يتبين ذلك ، ومن ثم عملوا على مهادنة البرتغاليين الذين أنهكتهم الحرب ، وألم بهم المرض من خلال ممارستهم التي تتسم بالخداع والمكر .

الفصل العاشر : القصف الأخير

كان اليوم التالي ، هو يوم عيد الفصح ، وأول ما سمع عند الصباح هو صوت مجموعة من آلات العزف بما فيها الطبل الكبير الذي أتى صوته من جهة معسكر الفرس .

عليه فقد كان ذلك إما بسبب وجود نظام تجسسي جيد ، وهذا هو أكبر الاحتمالات ، أو بسبب علمه بالإشارات العسكرية لأبناء وطنه وأعدائه . هذا وقد شق جلالة ملك هرمز ، وهو بكامل زيه العسكري ومن معه من بطانته طريقهم إلى صالة القلعة . حينها اتجه

"سيماو دى ميلو" نحوه لتحيته ؛ مُظهرا دهشته لمظهره ، وقد خاطبه الملك بحده قائلاً :

"لقد أتيت كي أرد على صديقك ، خان شيراز . يجب عليك أن تأمر الجميع بأخذ أسلحتهم ، والاتجاه إلى مواقعهم العسكرية . كما يجب عليك استبقاء فرقتين في الخارج تحسباً لما يحدث ، بحيث ألا تسمح ببقاء أي شخص في حصن "سانتياغو" لأنه من المؤكد أن العدو سوف يقوم بتفجير الألغام الموجودة فيه" .

سعى "سيماو دى ميلو" لتهدئته وتطييب خاطره ، وهناك البعض من الرجال يجب على القارئ أن يكون على علم بفئة منهم ، لديها قدر من العلم أو الحساسية بعض الشيء بما يدفعها دون أن تدري ؛ للكشف عما تفعله ، وتنادي به من رؤى حمقاء لا تحتكم فيها لذكاء أو معرفة .

يمكن القول إن غرور هذه الفئة يلقي غشاوة على ذكائها بحيث لا يسمح لها بالحصول على المعرفة ، بل يسيطر عليها ويثير كوامنها ، وأفراد هذه الفئة معجبون بأنفسهم ، وبالرغم من أنهم يحاولون إخفاء ازدرائهم لأفكار البعض الآخر بشيء من الكياسة إلا أنهم يبدون قلقين ومستفزين بأي عمل ظاهر ينطوي على الذكاء ، ففي تصورهم هم الأكثر ذكاء والأكثر خبرة ، والمثال الذي يجب أن يحتذى في التميز .

لكنهم حقيقة هم المؤذون والأكثر جهلاً وأوهن عزيمة ؛ بحيث إنهم يواجهون في كل خطوة صعوبات ومشاكل لا يحسبون لها حساباً ، وشروراً ومحناً تحل بهم أو بمن يعولون عليهم لا يدركون كيفية تجنبها ، وحياتهم ليست سوى سلسلة وحلقات متعاقبة من

الفشل والإخفاقات ، فلا أحد يمكنه فهمهم أو القبول بتصرفاتهم في ضوء عجزهم وضعفهم وافتقارهم للنظام .

لا فائدة ترجى منهم في عمل شيء جدير بالتقدير والاحترام ؛ لأن الغرور يملأ نفوسهم . لكن برغم ، ذلك فهم مستمرون في اعتبار أنفسهم الفئة الأكثر جدية والأكثر عقلانية ، يجوبون هذا العالم بخيالات وتصورات مريضة توحي لهم بأنهم الأفضل دائمًا وأبداً ؛ لكن بشكل عام كل ذلك لا يعتبر سوى ضرب من الحماقة المستفحلة ، وليس القائد "سيماو دى ميلو" سوى واحد من هذه الفئة .

لا شك أنه قد ابتسم في قرارة نفسه إزاء استياء الملك وتكهناته ، غير أن الملك كان جاداً بحيث إنه هدد بإيقاظ الحامية باسم جلالة ملك البرتغال ، واتخاذ الإجراءات الاحترازية التي حددها .

قد نفذت رغبته وكان "سيماو دى ميلو" في حاجة إليه ، ومن المحتمل أنه تذكر أن آخر توجيهات "فيرناو دى البوكيرك" له أنه يجب أن يعهد بأمر القلعة للملك ، والتوجه للبحر لمقاتلة الإنجليز بدلاً من انزوائه وبقائه هناك كما فعل من قبل بكل غباء .

تم إخلاء حصن "سانتياغو ، " كما تم نقل أربعة مدافع كبيرة من هناك إلى منطقة الحيطان الساترة بالجوار ، وتم تعبئة المدافع بالذخيرة والكريات المتفجرة ، وذلك للشروع في القصف حين ظهور أية محاولة للهجوم عليهم .

حدث كل ذلك بسرعة بحيث إنه في العاشرة صباحاً حدث الانفجار .

كان الاهتزاز الذي سببه ذلك الانفجار مرعباً وهائلاً ، وكان الصوت الصادر أشبه بصوت الرعد ، ولا يبدو أن شيئاً قد نجا ، فقد انهار الحصن بكامله ، وتطاير الحطام في الهواء وبقايا الركام والحجارة ، حتى غطى ساحة القلعة بأكملها .

كان الفرس يهرولون بأقصى سرعة ، وعندما تجاوز البرتغاليون شعورهم الأول بالارتباك ، وثبوا بكل شجاعة لمواجهة عدوهم فوق تلك الأنقاض ، كان الدمار هائلاً بحيث يمكن للحصان المشي فوقه ، تم صد المهاجمين لأكثر من ست مرات وإبعادهم ، وكانوا في كل مره يعاودون الكرة بأعداد متزايدة ضخمة ...

في إحدى هذه المرات حاول العدو إشعال النيران في أحد المخازن الذي كان مفتوحاً ، وبالفعل تم لهم ذلك ؛ لكن تركيز هجومهم كان بشكل مكثف على الحصن المدمر .

كان الملك قد حارب بشجاعة مشهودة ، حتى أن "سيماو دى ميلو" عمل على اختلاق وتدبير أمر تنحيته ، ويقول الكاتب عن "غونسالو دا سيلفيرا" وآخرين أنهم قد أبلوا بلاء حسناً ، وأن أداءهم كان رائعاً تجاوزت روعته كل المناقب والمآثر العظمى التي شهدها العالم آنذاك .

عندما حل الليل توقف ذلك الاشتباك الذي استمر دون انقطاع بشكل مكثف وعنيف حوالي إحدى عشرة ساعة ابتداء من العاشرة صباحاً وحتى التاسعة مساءً ، وقد ثبت من تقرير للعدو أن ثمانمائة من أفضل جنود الفرس والبريطانيين والتركمان قد قتلوا في الاشتباك ،

بينما فقد البرتغاليون خمسة وثمانين جندياً . كما توفي معظم المصابين بجراح ، الذين بلغ عددهم المائة جندي .

لكن حتى ذلك الليل الذي حل ، فإنه ما من أحد قد هنأ بالراحة والهدوء ؛ لأن العدو سعى لتحصين نفسه بين تلك الأنقاض بعمل متاريس على الجانب الأكثر قرباً من القلعة ، بينما أمر "سيماو دى ميلو" ببناء متاريس مملوءة بالتراب تقام على كل طرف ممتد من الأسوار ، ويجب أن تكون عالية ما أمكن ، كي تقيهم خطر الإصابات في ذلك الموقع .

في الصباح المبكر اندفع القائد وجميع ضباطه ، طالبين من ملك هرمز التنازل عن تنفيذ وعوده وتحذيراته ، وعموماً بدا لهم أنه قد قرر التخلص من النتائج التي ترتبت عن قصر نظره وغروره ، وأمر بأن يتم وضع الرهائن الفرس في الزنزانة ، وانهمك في العمل ؛ لأجل تشييد تحصينات جديدة .

استمر أيضاً ؛ كي يكمل العمل في الحاجزين المتبقيّن بحيث كان الأول في حارة "حصن سينو" والآخر في "المخزن" ، وتمكن من تزويد كل منهما بمدفع عيار أربعين رطلاً ، وعمل على رفع المتاريس في حصن "اسبريتو سانتو" ، وفي نفس الوقت قام بتنظيم هجوم لأجل طرد العدو خارجاً .

تقدم "د . غونسالو دى سيلفيرا" ، الذي تولى قيادة كتيبة قوامها مائة جندي تقدم سريعاً على طول الحائط الممتد من حصن "سانتياغو" ، بينما فعل "ميجيل بيريرا" الشيء نفسه من مستودع الذخيرة .

كان هذا الهجوم عنيفاً وشرساً ، وأمكن للبرتغاليين طرد العدو ، وجعله يتراجع إلى أن وصل إلى أطراف منطقة الأنقاض ، وكانوا على قاب قوسين

أو أدنى من تجرع هزيمة ساحقة ، وعندها وصل قائد التركمان يقود مجموعة قتالية جديدة قوامها ألف جندي للوقوف بجانبهم ومساندتهم على الصمود في موقعهم .

أما "د . غونسالو" وفرقته المكونة من خمسين جنديا فقد احتشدوا مع بعضهم لتحصين وحماية أنفسهم في مبنى قريب بالجوار ، بينما بقي "ميجيل بيريرا" للحراسة والذود عن مستودع الذخيرة .

في الحقيقة كان هذا الصراع العنيف سبباً في موت مجموعة كبيرة من أفضل الجنود البرتغاليين وقد ضمت قائمة القتلى كلاً من "فرانسيسكو دى بريتو دى ايفورا" و"بيدرو ألفاريز" و"بيرو جوميز" .

انقضى نصف شهر إبريل ومازال القنوط واليأس يخيمان على القلعة ، خاصة وقد هلك قرابة الألف وأربعمائة من الجنود بسبب المرض والحرب . أضف لذلك النقص الحاد في المياه التي صار توزيعها مقنناً .

أما في داخل معسكر العدو ، فقد لوحظ أن التململ والقلق قد بدأ يتسرب إلى نفوس الجنود ؛ لأجل تحقيق نتيجة نهائية . هذا إلى جانب الخوف من وصول أية تعزيزات من "غوا" ، وتحت ضغط الخسائر الفادحة التي بلغت عدة ثلاثين ألف حسب ما يرويه المؤلف .

عموماً ، عاد الفرس إلى خنادقهم بحيث عملوا على تقوية النقص الذي من خلاله أمكنهم تدمير حصن "سانتياغو" ، وعالجوه بدعامات قوية كما تمكنوا من فتح سراديب ثلاثة متفرعة منه :

الأول في اتجاه الحائط السائر في حصن "سينو" ، والثاني اتجاه

مخزن الذخيرة ، والثالث في اتجاه ما يسمى بصهريج الملك . حيث بدأت كميات المياه تتسرب منه ، بعد أن أحدثوا فيه بعض الشقوق والتصدعات ، وفي نفس الوقت عملوا على نقل الحواجز للأمام في محاولة لتطويق البرتغاليين بحزام ناري ضيق يمكنهم من قصف الجزء الأكبر من القلعة .

في صبيحة أحد الأيام ، قاد "سيماو دى ميلو" هجوماً عنيفاً . كان الغزاة قد واجهوا مقاومة عنيفة ، نتج عنها صدهم وردهم على أعقابهم ، فتراجعوا إلى أن وصلوا حافة حصن "سانتياغو" ، أي الموقع الذي كانوا فيه من قبل ، لكنهم سرعان ما عززوا قوتهم ، وحملوا على البرتغاليين حتى أجبروهم على التراجع في غير نظام إلى مستودع الذخيرة ، وتراجعوا مرة ثانية إلى أن وصلوا متاريسهم ، وكان القتال عنيفاً وطويلاً بدأ منذ الساعة الأولى ليلاً وحتى صباح اليوم التالي .

في ذلك اليوم قام العدو مجدداً برفع الأعلام البيضاء ، مطالباً بالهدنة ، تحت ذريعة جمع القتلى لدفنهم ، وبعد ذلك ظهر أحد الفرس في مناطق التحصينات فوق الأنقاض ، وهو يلوح رافعاً تلك الأعلام طالباً أن يسمح له بالتقدم لتسليم القائد خطاب "خان شيراز" .

رفض البرتغاليون أن يسمحوا له بالتقدم وطالبوه بقراءة الرسالة شفهياً من حيث يقف . كان الخان يدعوهم للاستسلام الفوري ملتزمًا بالإبقاء على حياتهم ، ومهدداً بأنه سوف يمحوهم عن وجه الأرض في الغد إذا ما استمروا في المقاومة .

على كل تم إبلاغ ذلك المبعوث بالذهاب بعيداً ، وبرزت الفكرة في

الثبات والمقاومة حتى آخر رصاصة ، وبالسيف حتى ينكسر النصل ، وهكذا تآمر الجميع والتفوا تحت قيادتهم . حتى المرضى والجرحى تجمعوا في "حصن سينو" ؛ لكي يعمل كل أحد قدر جهده لتوجيه نيران سلاحه نحو العدو .

في تلك الليلة قام الجميع بالاعتراف وأخذ السر المقدس ، وعند الفجر تناول الكل قدراً ضئيلاً من الأرز والاستعداد لمواجهة تنفيذ تهديدات الخان ، وحينها بدأت طبول الإنجليز والفرس في العزف ، وكان "سيماو دى ميلو" قد وضع على جسده درعاً واقياً من الصلب المعالج ممسكاً بترسه في يده وسيفه المعقوف في يمناه ، ثم اتجه ليقف في وسط جنوده مخاطباً :

"أيها المدافعون الشجعان عن دين نبينا المسيح عيسى . اليوم سنخرج بحثاً عن هؤلاء الأعداء الذين يعادونه ويعادوننا ؛ لنهاجمهم قبل أن يخرجوا من وراء متاريسهم . دعوا سيوفكم البتارة لتتحدث عن بسالتكم ولترسم عظمة ومجد أمتكم حتى تبقى ذكرى البرتغال خالدة في جميع أنحاء الشرق .

هذا يكفي ولست في حاجة لإضافة المزيد ، وهكذا اندفعوا صوب المتاريس التي نقلها العدو نحو الحيطان ، وعملوا فيها تدميراً وهدماً حتى تمكنوا من الدخول في حصن "سانتياغو" ، وبشكل مؤقت سيطروا عليه ، بالرغم من المقاومة العنيفة من قبل خصومهم ، وبالتالي تكرر نفس الأسلوب السابق ، إذ أعاد الفرس تشكيل صفوفهم مرة فأخرى ، وفي العاشرة ليلاً تراجع الخصوم إلى مواقعهم بعد أن أعياهم القتال .

عندما انتصف الليل كان الحراس قد رصدوا حركة أحد المراكب ، وهي تتقدم بكل تريث وهدوء قادمة من "غمبرون" حتى رست بالقرب من القلعة ، وبعد لحظات بدأ أحد الشبان يقرع بهدوء باب الممر الخصوصي ، حيث طلب منهم إبلاغ القائد "د . مانويل دى سوسا" بأنه ابن القائد الراحل في هرمز .

بالفعل تم استقباله في قاعة المجلس التي سرعان ما امتلأت بالناس ، وبعدها قام بتسليمه الرسائل التي حملها إليه من الحاكم ، ولكي يرضى الجميع ، أبلغهم أن أسطولاً قوامه عشرون سفينة قد غادر "غوا" بقيادة "كونستانتينو دى ايكا دى نورونها" مزودًا بأفضل المحاربين في الهند لأجل نجدة ومساعدة هرمز ، وسوف يصل في الوقت القريب ...

كان قد واجه في رحلته عاصفة هوجاء فصلته عن البقية ، وأنه قد أتى بستمائة جوالٍ من الأرز من الملك ، ومائتي أوروبا من الجبن وثلاثين برميلا من البارود وخمسين جنديا ، وأنه قد أتى لأجل أمه أرملة القائد .

عندما ذهب إليه تم الاطلاع على فحوى الرسائل ، وكان "فيرناو دى البوكيرك" قد علم بسقوط قشم مؤخراً ، وفيما بعد سوف نعرف الأسباب في ذلك ، وقد سبق أن أرسل سفينتين مليئتين بالأرز والجبن ، وألف برميل من البارود وآلاف الأوعية لملئها بالبارود وأسلحة حربية أخرى .

الآن ها هو "كونستانتينو" قادم في عشرين سفينة ، ومعه ألف جندي وستمائة جوال من الأرز وأربعمائة خيشة من القمح ، وبكميات وفيرة من اللحوم ، بالإضافة إلى عشرين برميلا من البارود محملة في كل

سفينة ، وإذا لم تكن هذه الكميات كافية ، فإن الحاكم الكهل سوف يأتي بنفسه ، ومعه كل القوات الموجودة في المملكة .

عندما رأى الملك "سيماو دى ميلو" حزينًا مستغرقاً في التفكير لم يجد بداً من مخاطبته قائلاً له : "آه أيها القائد أي تقرير ذلك الذي سوف تقدمه للرب ولصاحب الجلالة عن كيفية سقوط هذه القلاع في وقت تواجد فيها أسود ضواري للذود عنها"

ثم التفت نحو الجمع مخاطباً إياهم قائلاً بين الجد والهزل : "وأنتم أيها السادة والبقية الأخرى ، أؤكد أن من استشهد ومن سوف يستشهد هنا إنكم لن تفقدوا المجد الذي تستحقونه مع قشم ومع هرمز ، لكن سيخسره فقط من أساء قيادتكم ، طالما أديتم واجبكم كاملاً بالإذعان له وتنفيذ أوامره . عموماً لم تكن هناك أوهام تساور هذا الملك الحاذق ، كما أنه لم يبد كمن فقد الأمل .

في نفس تلك الليلة تم إرسال "فيليب دا فونسيكا" إلى مسقط ، ومعه عشرة من الجنود على متن إحدى السفن الخفيفة ، كي يبلغ "كونستانتينو دى ايكا" بضرورة الإسراع والتوجه إلى "غوا" بالسرعة الممكنة وتسليم الرسائل إلى "فيرناو دى البوكيرك" وإبلاغه بحقيقة هذا الوضع البائس .

كان لـ "د . مانويل دى سوسا" حديثاً مطولاً مع جلالة ملك هرمز ، الذي سلمه- بعدما وصف له طبيعة الأوضاع- خطابين وقلادة من الماس كان يلبسها ، ثم قال له :

يجب أن تسلم أحد هذه الخطابات إلى حاكم الهند ، وتسلم الآخر

للمطران . إنني لا أطلب في هذه الرسائل أية مساعدة ، وإنما أذكرهم بابني الموجود هنا ، والذي سوف تأخذه معك ، وأطلب من جلالته أن يعمل على مكافأته بمنحه القوامة على هذه المملكة بصفته الأمير والوريث الشرعي ، وأذكرك أنني كنت صديقاً حميماً لوالدك وبسبب ذلك فسوف تتخذه صديقاً لك .

أتمنى أن تأخذ معك هذه الصناديق الأربعة ، كي تشحنها باسمك لأن الأمير يجب أن يرحل معك بشكل سري .

بعد ذلك انتزع خاتماً من أصبعه وناوله له مضيفاً :

خذ هذا الخاتم كذكرى مني لعلاقتي الوطيدة بوالدك ، ويجب ألا تنسى أن برفقتك أمير هرمز ، وأرجو أن تعانقني ثانية لأننا لن نلتقي مرة أخرى .

حقق "د . مانويل دى سوسا" رغبته تماماً كرغبة "سيماو دى ميلو" ، حيث انطلق في سبيله في الليلة التالية ، وصحب معه أمه وافراد أهل بيته وبعض النساء الأخريات ، والفتيات بكامل أغراضهن وأمتعتهن ، وأيضاً الضباط المرضى ، وكل ما طلبه منه الملك ، وأبحر قاصداً الساحل الفارسي مستخدماً المجاديف ، ولم يعمل على نشر أشرعة مركبه الا بعدما تجاوز المنطقة التي يوجد فيه العدو متجها إلى ساحل "غوا" .

كان ذلك بمثابة أول مؤشر يتلقاه "فيرناو دى البوكيرك" ، ويتبين منه أن هرمز سوف تسقط ، ولكن حدث ذلك في أول شهر مايو ؛ لأن الشتاء سوف يحول دون الإبحار في تلك المناطق ، وأن كل الموارد المباشرة قد استنزفت بعد القسط الأخير ، والتي يأمل أن تصله في الوقت المناسب ...

لكن ذلك لم يحدث حتى الثالث والعشرين من شهر مارس ، عندما بلغته من "غوا" أخبار سقوط قشم هرمز بحصار وشيك .

لكن كيف استغرق الأمر ذلك الوقت الطويل حتى تصل هذه الأخبار إليه ، بحيث إنه مرت أربعة شهور كاملة دون أن يتلقى الحاكم أية خطابات من الخليج الفارسي؟

وحده كان "فيليب دا فونسيكا" في مسقط وهو آخر مبعوث يرسل ويعلم السبب ، ومن الغريب أيضاً ألا يلقى الضوء على ذلك في المحاولة التي حدثت في عام ١٦٢٤م . أما السفينتان اللتان تم استئجارهما وأرسلتا الواحدة تلو الأخرى بواسطة قائد مسقط فقد استولى عليهما أهالي "مالبار" مباشرة بعد مغادرتهما .

كان "فيرناو دى البوكيرك" قد عمل حثيثاً ؛ لأجل تجهيز أسطول بحري لنقل المساعدات والتعزيزات ، وقد أصدر إعلاناً في التاسع من الشهر بحيث وجه نداءه إلى جميع الجنود والفرسان الذين ينتمون للخدمة بالحضور ...

بالمثل كل الجنود المندسين ؛ كي يلتحقوا بخدمة (أسطول المغامرين) غير عابئ بأخبار تلك النكبات ، ودون أن تثبط من عزيمته عمل الحاكم على مضاعفة نشاطه ، ولم يتوان عن اتخاذ أساليب أخرى ؛ كي يحصل على المؤن والإمدادات والرجال والمال ، حتى تمكن من تجهيز أسطوله الذي قرر أن يشرع في تسييره في غضون الأيام القليلة القادمة .

كانت عملية تجهيز هذا الأسطول والتي اعتبرت عملية غامضة ومبهمة من الأمور المثيرة في سياسة البرتغاليين وإدارتهم في منطقة الشرق ؛ لأنها

تمت حقيقة في ظروف اتسمت بالانحطاط والتدهور ، وبالرغم من ذلك أثبتوا تماسك سياستهم وقوة إدارتهم عبر البحار ، واتخذت شكل قوة بحرية من الرجال ، تم استثناؤهم من الملاحقة القانونية بموجب إذن رسمي شريطة أن ينضموا لهذه الفرقة بدلاً من العمل في الاستكشاف والمعارك التي سبق أن خاضوها .

بما أن هذا النداء لم يستقطب ما يكفي من الرجال ، فقد أوعز "فيرناو دى البوكيرك" للقضاة ؛ كي يذكروا المواطنين ويناشدوهم باسم الوطن لأداء واجب المواطنة والالتحاق بتلك القوة .

في ظل القصور وعدم وجود المال الكافي في الخزينة الملكية لأجل إكمال الإمدادات كي يرسل الأسطول حينها ، قام بدعوة المشرفين ومعظم الكهنة في إخوانية "سانتا كاسا دا مسيريكورديا" في "غوا" ؛ كي يحركوا المواطنين من خلال كلمات تشجيعية وبث روح البذل والحماس في النفوس .

تقديم الأموال بصفة قرض للمملكة من أموالهم الكثيرة الخاصة بما يكفي للحاجة في الظروف الراهنة ؛ كي يتجاوز هذه المشكلة الطارئة ، وأن يعملوا على المساعدة حتى لا تأتي الخسارة لهذه الدولة بسبب عدم المساندة وعدم تقديم العون . غير أنهم رفضوا ذلك تذرعاً بحقوقهم والتزاماتهم التي تمليها عليهم ضمائرهم .

بعد أن تبين له أنه لا فائدة من إهدار الوقت ، ولا فائدة ترجى منهم ، قام الحاكم في اليوم التالي الحادي عشر من شهر مارس بإرسال "بنتو دى بينا سانشيز" ، وهو كبير القضاة في المحكمة المدنية وجميع معاونيه ،

كي يوعزوا للسكان أنه في حالة امتناعهم عن تغيير موقفهم ، فإنهم سوف يواجهون مسؤولية تحمل الأضرار التي سوف تترتب ، خاصة وأن غيرهم من السكان الصالحين والمخلصين ملتزمون بالوفاء بما كلفوا به ، وباختصار تمكن من إقناعهم بضرورة فتح خزائنهم[أ] .

في نهاية الأمر شرعت هذه الحملة الجديدة في الإبحار في الثاني من شهر إبريل ، وقد تألفت من سبع عشرة سفينة ، تم تزويدها جيدا بالمؤن والذخائر ، وكان قوامها من الجنود حوالي أربعمائة وسبعة وأربعين جنديا ، ولعل الاختلاف بين هذا والأرقام التي ذكرها الكاتب ، وهي بلا شك حقيقية ومعاصرة ، يجب أن يكون نتيجة لاعتبار صغر حجم المراكب "سانقويسز" التي تم قطرها ، وفقدت أو تركت في الميناء بسبب عدم قدرتها على الإبحار في البحار .

أما فيما يتعلق بعدد الرجال ، فلابد من تضمين أعداد البحارة وحامية حراسة السفن .

لم يكن من السهل الحصول على قائد ذي كفاءة يمكن أن يعول عليه ، وكان "فيرناو دي البوكيرك" قد رغب في الذهاب بنفسه ، وقد

(أ) يبدو أن "فيرناو دى البوكريك" قد حصل على مبلغ مائة ألف كروزادوس من رهبنة "مسيريكورديا" ، وقد ورد ذكر هذا المبلغ في الخطاب الملكي ، المرسل من لشبونه في السابع عشر من شهر إبريل عام ١٦٢٦م ، إلى سعادة نائب الملك "د . فرانسيسكو دا غاما" ، حيث أشار إلى تقرير "بدرو نونيس سالفادو" الذي عمل آنذاك في وظيفة مسؤول الخزينة .

وحينذاك لم يكن قد تم وضع حد للمؤامرة التي حيكت ضد الحاكم الراحل ؛ لأن الرسالة تقول : ولأنك في رسالتك ذكرت أنك قد أبلغت بوجود مخالفات في المال المنفق ، فإنني آمرك بضرورة الاعلان عن طبيعة تلك المخالفات ؛ لأنه لم ترد أية اشارة في الافادة بخصوص ذلك .

ذكر في المجلس أن شخصاً عجوزاً مثله بوسعه أن يجلس على كرسي على متن إحدى السفن ، ويمكنه من هناك توجيه السفينة .

كان القائد الذي وقع عليه الاختيار هو "كونستانتينو دي سا دى نورونها" وهو سيد يتمتع إلى جانب ما لديه من مؤهلاته القيادية والسمعة المتميزة باسم لامع ، وله من الخبرة في هذه الخدمة سنوات طوال .

كانوا يعولون على السفن الموجودة في هرمز ، وبالرغم مما قيل إن "سيماو دى ميلو" بغبائه المشهود قد أهمل نقلها ، إلا أن ذلك لم يصدق ، ولعل الثقة والعبرة بالنتائج كانت قريبة من ذلك الافتراض .

بالإضافة لذلك ، فإن القائد ومسؤول الخزينة يعتقدان أن الغذاء ما يزال متوفراً في هرمز ، وإن ما بين ألف وألف وثلاثمائة جندي برتغالي لا شك سوف تقوى ، وتعزز من قوة البرتغاليين ، فالتعزيزات كافية ولابد أن تصل في وقتها .

لم يكن الطقس آنذاك ملائماً ، ومن المحتمل أن يكون الإسراع في المغادرة قد تسبب في تأخير الرحلة ، وعلى كل حال لم يبد على قائد الحملة "كونستانتينو" أنه يستعجل الرحلة ، إذ إنه قضى مدة يومين في مرسى "غوا" ، وكانت أشرعته مطوية ، وفي فترة أسبوع كاملة لراحة الجنود في مسقط قضاها في انتظار وصول بعض الجنود غير النظاميين .

لكن برغم ذلك فقد وصل إلى هناك في غضون ثلاثة وثلاثين يوماً ، وهو زمن عادي تستغرقه الرحلة ، وفي غضون ستة أو سبعة أيام سوف يمكنه قطع مسافة ستين ميلا من هناك إلى هرمز ، ولكن هذا وقت يكفي لسقوط واحتلال هرمز .

بعد أن مضى يومان من مغادرة مسقط التقى "كونستانتينو" سفينتين صغيرتين تحملان جنوداً وضباطاً من حامية هرمز كان قد أُطلق سراحهم بواسطة الإنجليز الذين سمحوا لهم بالذهاب في سبيلهم . لقد ألقت هرمز بسلاحها ، وبمعنى أدق لقد استسلمت بتاريخ الثاني عشر من شهر مايو عام ١٦٢٢م .

الفصل الحادي عشر : استسلام هرمز

كيف حدث هذا؟ هناك ثلاث روايات متزامنة توفرت من شاهد درجة أولى[أ] ، تكمل كل منها الأخرى ، تؤكدها أيضاً تلك التي تم تقديمها في المحكمة . لقد كان النقص في المياه هو الذي مثل العامل الأساسي في إحداث حالة العوز ، فالعمل الإضافي في أجواء حارة ولاهبة ، وكذا المياه المالحة الآسنة ، جعلت الأمر أكثر سوءاً .

في فترة ما بعد الظهر حدث أشرس أنواع القتال ، حيث استمر كل طرف من طرفي النزاع في إطلاق النار دون انقطاع ، وفجأة ارتفع علم أبيض من فوق تحصينات العدو على الحائط الواقع بعد حصن "سينو" ، حيث برز أحد الإنجليز ، وهو يرفع علماً آخر بيده . حينئذٍ توقف إطلاق

(أ) تلك التي أوردها "كريسبيك" في روايته التاريخية وروايات "سيماو دى ميلو" و"مانويل بورجيز" في شهادتيهما التي تضمنها الخطاب الخاص بخدمته والذي أرسله "غونسالو دا سيلفيرا" ، ووثيقة قيمة أخرى تؤول الجمعية الجغرافية اقوم بإعدادها للنشر .

وقد ورد في قائمة مطبوعات مكتب الهند اشارة بوجود الوثيقة التالية ، وهي وثيقة لم أتمكن لسوء الحظ من الحصول على النسخة التي طلبتها ، وذلك نظراً لحالتها الرثة ، ولوجود بعض الغموض ، صحيفة "ادوارد مونوكس" ، الوكيل في فارس مع ذكر تفاصيل تاريخية عن احداث الاستيلاء على قلعة "هرمز" .

النار ، وصرخ منادياً إنه من باب الكياسة واللطف يناشد البرتغاليين للتحدث معه .

يجب تتبع رواية الكاتب باهتمام :

أرسل "سيماو دى ميلو" أحد الجنود ، وهو "فرانسيسكو كاردوسو بيساو" "Francisco Cardoso Bisao" ، وهو أحد ثقاته الذي تربطه به صلة قرابة ، لكن لم يكن أيضاً موضع ثقة الجنود فيما يتعلق بالأمور ذات الصلة بصفاء النوايا . تحدث "كاردوسو" مع البريطاني لأكثر من ساعة من الزمن ، وعند عودته ذكر أن هذا الرجل كاثوليكي ، يعمل أميرالاً في الأسطول الإنجليزي .

قد أرسل ؛ كي يخبر كل فرد أن الجميع في معسكر العدو يعلمون تماماً ما يحدث في القلعة وفي الموقع العسكري ، ويعلمون بقرب وصول المساعدات ، وكم أن البرتغاليين يفتقرون للكفاءة لمواجهة القوات الإنجليزية والفارسية .

أنه من المستحيل أن يتلقوا مساعدات أو إمدادات من "غوا" خلال هذا الشتاء الذي يوشك أن يحل ، وأنه لابد لهم من التفكر في موقعهم اليائس هذا وأن الفرس لا رغبة لهم في مواصلة قتالهم ؛ لأنهم يتوقعون أن الجوع والبرد والألغام سوف تدفعهم للاستسلام في نهاية المطاف .

أن الأمر الآن متروك للبرتغاليين وقائدهم ، كي يقرروا ما إذا كانوا يرغبون في رؤية زوجاتهم وأطفالهم كسبايا في أحضان الفرس سيئي السمعة ، وبالتالي يجب أن يستسلموا للإنجليز بالشروط المناسبة التي

يرغبون فيها ، وأنه ، أي الأميرال بصفته كاثوليكي وابن إحدى النساء البرتغاليات ملتزم بتسوية كل شيء على النحو الأفضل(أ) .

في ظل هذا الوضع الصعب والمربك في القلعة لا يبدو أن هناك ثمة مقترحات جديدة ، ولكن إذا ما وضعنا جانباً شكوكاً بعينها كانت قد أثيرت ليس فقط من جانب الراوي ، بل تضمنتها أيضاً الإفادات التي وردت في محاكمة عام ١٦٢٤م ، فإن السرعة التي تمت بها المفاوضات كانت حقيقة موضع التساؤل ، حيث تعلق الأمر بأن أسطول "كونستاتينو دى إيكا" يمكن أن يظهر في أية لحظة .

كان "فرانسيسكو كاردوسو" يمارس نوعاً من الضغط على المجلس للقبول بالاقتراح ، بالرغم من أن الملك وكبير مسؤولي الخزينة "مانويل بورجيز دى سوسا" والجنود يتذكرون أحداث التمرد في قشم ، ويؤكدون أن الجميع سوف يهلكون .

مع ذلك فقد تم ترتيب الأمر بحيث يجب على "فرانسيسكو" أن يعمل بالتعاون مع مجموعة البرتغاليين ، الذين ما يزالون في معسكر العدو كرهائن ، على مناقشة شروط الاستسلام . عموماً سرعان ما أمكن عمل تسوية وفق ما حدث في قشم ، بحيث يتراجع الفرس للخلف إلى داخل المدينة ، واتفق على أن يغادر ملك هرمز والأمراء والقاضي مع جميع رجالهم إلى أية جهة يختارونها .

الشيء نفسه ينطبق على الكهنة مع كل تماثيلهم ومقتنياتهم من

(أ) هل كان "بلايث" أو "وويدل" أحد أبناء البرتغاليين ، ومن تكون تلك المرأة؟ إنني لم أتمكن من اكتشاف ذلك ، ولكن يبدو لي أن "بلايث" كان القائد الأساسي في الأسطول البريطاني .

الزخارف في الكنيسة ، ثم أيضا ترتيب مغادرة النساء من البيض والأطفال تحت حراسة مشددة ؛ حتى لا يراهن أحد أو حتى ينظر إليهن بغية تفادي أي تحرشات جنسية وسوف يتم نقلهن مجاناً .

أما البرتغاليون فيسمح لهم بأخذ كل ما يرغبون فيه من الأمتعة تحت حماية البريطانيين ، والشيء نفسه ينطبق على القائد بكل أسلحته وأتباعه من الخدم ، وبالمثل الستة صناديق والملابس الخاصة به ، وسوف يمنح سفينة ، كي تقله إلى مسقط أو إلى أية جهة يرغب في التوجه إليها ، وباختصار الفرصة متاحة لكل فرد للإبحار إلى أية جهة يشاء ، وقد التزم العدو بتوفير سبل المواصلات حتى مسقط ، وبالنسبة "لقشم" فالانتقال مضمون حتى هرمز .

كانت هذه الشروط قد حظيت بنقاش مطول وحاد من جانب المحاصرين ، وكانت موضع خلاف ومعارضة شديدة من قبل "د . غونسالو دا سليفيرا" و"ميجيل بيريرا بورالهو" و"مانويل بورجيز دى سوسا" و"جيل دي برادو" "Jill de Brado" والآخرين ، وهم أقوى مجموعة ترفض التوقيع على الاتفاقية .

عندما رغبوا في إجباره على ذلك علق "جيل دي برادو" باحتقار وازدراء أن بوسعهم أن يفعلوا ذلك دون توقيعه ، لكن ليس لهم قدرة على انتزاعه منه ، وقد وقع الآخرون بالتأكيد وقع "سيماو دى ميلو" على الاتفاقية ، وعاد وكيل وصديق "فرانسيسكو كاردوسو" بعد مضي يومين بالتسوية الموقعة من قبل الخان والبريطانيين .

عندما جاء البريطانيون لاستلام القلعة قام "سيماو دى ميلو" بفتح البوابات التي كانت قد أغلقت بالحجارة والكلس .

في التاسعة صباحاً قدم خان شيراز مع القائد والأميرال الإنجليزي وبعض الضباط ، ترافقهم أربع كتائب مسلحة من الجيش الإنجليزي واثنان من الزعماء المسلمين والنبلاء ، وقد استقبلهم "سيما ودي ميلو" في ساحة مستوية ، وبرفقته بعض المؤيدين لفكرته ، وتولى بنفسه عملية تسليم مفاتيح القلعة للقائد البريطاني الذي تناولها بسرور ، ومن ثم ناولها للخان .

جلس الفرس والبريطانيون فوق سجادة كبيرة مع "سيماو دى ميلو" ، وقدم الخان التحايا والمجاملة باحترام كبير إلى ملك هرمز ، الذي جاء برفقة القاضي ، وأخذ بيده كي يجلسه على وسادة من المخمل ، وأجلسه إلى يمينه ، ودعا الحاكم المنتصر مجموعة هرمز ، والضباط البرتغاليين ؛ لقبول ضيافته حتى اليوم التالي ، الذي سوف يشهد تجهيز سفينتين ومجموعة من المراكب التي سوف تنقلهم إلى هرمز .

على كلٍ أظهر الرجل البريطاني قدراً كبيراً من الاهتمام بالبرتغاليين مبرراً ذلكً بقوله : إننا جميعاً ننتمي للأوروبيين وتجمعنا الديانة المسيحية" ، وتماماً كما حدث في قشم ، فإن أمر المواطنين البسطاء قد ترك للفرس ولغدرهم . ليس هناك من أحد سوى "سيماو دى ميلو" ومجموعة مَنْ قبلوا بذلك الإحسان ، وفي اليوم التالي بدأ البرتغاليون في الصعود إلى متن السفن بحيث لم تنشأ أية مشكلة في بداية الأمر .

لكن كان القائد الفارسي قد أُخبر أن البرتغاليين يحملون بعض

اللؤلؤ والحجارة الكريمة ؛ لذا فقد أمر بضرورة إجراء تفتيش دقيق في أمتعتهم قبل السماح لهم بالمغادرة ، وكان قراره ذلك قد أحدث معاناة وحرجاً كبيراً للنساء .

كان ذلك القائد قد أحاط "سيماو دى ميلو" بالكثير من الاهتمام ، إذ ظل بجانبه بحيث خصص له وسيلة نقل منفصلة تتميز بالكثير من وسائل الراحة . أما ذلك ، فإنه قد رفض بالنسبة لملك هرمز ، ورجاله تحت ذريعة أن الشاه قد أمره بأخذه إلى أصفهان .

أما الغنائم ، فسرعان ما تم طرحها ، وكان مسؤولو الخان والبريطانيون قد عملوا على تقسيمها بشكل عُرفي ، وبالنسبة للتقرير الذي قدم مؤخراً في الهند فقد عثر الفرس في القلعة على بعض الأموال والبضائع والأسلحة وأشياء أخرى قدرت قيمتها بنحو سبعة ملايين . هذا بخلاف ممتلكات أخرى نهبت بواسطة المسلمين والإنجليز .

أجريت صيانة بشكل سريع في حصن "سانتياغو" ، ثم فتح الخندق حيث تركت سبعون قطعة مدفعية ثقيلة ، وقائد التركمان مع ألف جندي من الفرس . أما خان شيراز فقد بدا شديد التوق ؛ كي ينقل للشاه عباس الدليل على مهارته وقوته ، فانطلق إلى أصفهان بكل الأسلحة التي استولى عليها ، والتي بلغ عددها أربعمائة من الأسلحة الثقيلة من السفن والمراكب ، هذا بغض النظر عن الفالكوز falcoes مع أسرى هرمز والغنائم الثمينة .

في الطريق إلى "لار" ، أمر بقتل قاضي هرمز تحت ذريعة محاولته

الهروب ، ولكن كان السبب الحقيقي خوفه من أن يكشف الخان للشاه ما قام بسرقته من الشاه في هرمز .

أمر الشاه بأن ملك هرمز ؛ ذلك الرجل الحصيف الذي تفانى ، وأخلص للبرتغاليين كل الإخلاص يجب أن يوضع في قفص الحديد ، كي يعيش على الصدقات . لكنه أفرج عنه فيما بعد ، ومنحه مسكناً ووفر له امتيازات جيدة ، وربما كان دافعه في ذلك اعتقاده بإمكانية تفعيل مصالحة مع البرتغاليين .

كل هذا تم نقله بواسطة الراوي بكل وضوح تفصيلياً وبأسلوب مفهوم ، ولقد ورد في خطاب الثلاثين من شهر يونيو ، الذي كتبه "فراي جواو دا كونسيكاو" "Frei Joao de Consicao" أحد الكهنة ، إنه في ذلك اليوم ، وأثناء الحصار ارتفع علم أبيض ، ومن ثم تم الوصول إلى اتفاقية مع الإنجليز بحيث تفتح البوابات في اليوم التالي وتسلم القلعة نظير الإبقاء على حياتهم ونقلهم إلى مسقط .

حتى بعدما تلقى "سيماو دى ميلو" والمسؤول الأول عن الخزينة و"مانويل بورجيز دى سوسا" إهانات الإنجليز ، فقد وصفهم القائد بالمتآمرين الذين خانوا واجبهم وملكهم ، وقد حدث ذلك قبل علمهم بأمر المؤن التي عثروا عليها ، وقد سمحوا للقائد الجريء وكبير مسؤولي الخزينة بالمغادرة إلى مسقط ، وثم اقتسام الأسلاب مع الفرس وكل المسكوكات الفضية واللؤلؤ وكميات لا حصر لها من الذهب ... إلخ .

تقتضي أصول العدالة أن يتم الاستماع لكل فرد حتى ولو تعلق الأمر بأكثر المتهمين سوءاً ، ولحسن الحظ تم إنقاذ الوثائق ليست تلك

الخاصة بالمحاكمة ، ولكن الأخرى التي زودتنا بهذه الأدلة المثيرة ، فلقد تأذى "سيماو دى ميلو" من حدوث تمرد ووقوع أحداث شبيهة بتلك التي حدثت في قشم ، إذ كانت هناك ثورة اندلعت ضده .

عندما أصيب "د . غونسالو" بجراح خطيرة جاء كي يقدم له المساعدة حتى يتمكن من الاحتفاظ بسلطاته ، وعندما رآه على تلك الحال أمره بالانسحاب .

يبدو أن تلك الحادثة كانت بمثابة مؤشر ينذر بتوتر خطير ، وهذا ما حدث بالفعل ، فقد كسب الأعداء حصن "سانتياغو" بسبب نقص في الرجال ؛ لأن الكثيرين منهم هلكوا بسبب المرض أو قتلوا في الاشتباك ، وبما أنه كان يفوق بقية مباني القلعة علواً :

قد قتلوا الرجال الذين كانوا بالداخل ، وفوق الأسوار ، وتحتها ، والآن لم يتبق شيء سوى متراس مكون من أكياس الرمل تحت مبنى الحصن ؛ لحمايتهم ومدخل القنطرة المليء بالماء لحمايتهم عند الاستيلاء على المتاريس .

بالإضافة للخندقين تحت "الكافالير" فقد وضعوا واحداً في الحوض والآخر تحت المتراس :

في هذا الوقت كان الجنود و"الكاسادوس" -المقيمين في المدينة- قد ثاروا ضدي وأودعوني السجن . كنت قد أصبت بجرحين غائرين في الرأس بسبب أحد المسلمين قبل عدة أيام ، ولم يكن بوسعي أن أستخدم ساعدي الأيمن . لقد قاموا جميعاً بتسليم القلعة للإنجليز لقاء الإبقاء على حياتهم ، وهذا شرط لن ينفذه المسلمون .

ماذا حل "بالكاردوسو"؟ الذين اختاروه وأرسلوه؟ وماذا أيضاً عن المفاتيح؟ من قام بتسليمها للإنجليز؟ ومن رفض فتح الخندق؟ من أمر بتسيير السفن فوق الوحل؟ ولماذا جيء بالمساعدات والأسطول بواسطة "كونستاتينو دى ايكا" ، وقد علم أنها قادمة في الطريق ، ولم يحسب لها حساب؟

من الواضح أن هذه وثيقة عرضية ، ولعل إفادة بسيطة بشأن خدمة طلبت بواسطة "د . غونسالو دا سيلفيرا" تنبئ عن إحساس بالإهانة وتناقض الضمير ، فالإفادة لم تقدم في محاكمة عام ١٦٢٤م ، وقد احتاط "سيماو دى ميلو" بحيث عمل على ألا ينتظر حتى تتم مساءلته والطلب منه تقديم توضيح ، وألا يذهب إلى "غوا" كي يقدم ذلك التوضيح .

لذا فقد لجأ إلى "مالبار" واختفى للأبد ، ومن المحتمل أن تلك القضية المميتة فيما يختص بضياع "هرمز ، " سوف تظل تلقي بظلالها على ذاكرتها ، فهل كان ذلك ضرباً من الغباء أم الخيانة؟

لقد كسب الإنجليز أجورهم بشكل مشرف ، وهذا ما يقوله الكتاب البرتغاليون ، وقد بلغت ستمائة ألف روبية أو ثلاثمائة ألف بطاكاس ، تم دفعها على قسطين ؛ الأول نقداً ، والآخر بعد مضي عام ، حيث سيقدم في شكل سلع الحرير ، وهذا سوف يكون بمعدل ثلاثة أضعاف المبلغ في أوروبا . هذا بالإضافة إلى حيازة أسهم من عائدات الجمارك الفارسية مستقبلاً .

بحسب "دانفرز" ، فإنه يقول (إن ما عاد على الإنجليز لقاء جهودهم في طرد البرتغاليين هو حصولهم على نصف الغنائم حيث اضطروا

فيما بعد لدفع عشرة آلاف جنيه إسترليني للملك "جيمس الأول" وعشرة آلاف إسترليني إلى "دوق بكنغهام" . هذا بالإضافة إلى بعض الإعفاءات والحصانات مثل ممتلكات قصر هرمز ، بالإضافة إلى نصف مراكز جمارك "قمبرون" التي نقلت إليها اللآن تجارة[أ] هرمز .

بالرغم من هذه الإفادة إلا أن الشاه لم يعطهم شبراً واحداً من هذا الإقليم ، فقد اتخذهم كمساعدين وليسوا محتلين .

وثيقة أخرى في مكتبة مكتب الهند ، وهي معاصرة لنسخة ترجمة الاتفاقية بين البريطانيين ، و"خان شيراز" بشأن الاستيلاء على هرمز ، وبالرغم من أنها لا تحمل تاريخاً بعينه إلا أن قائمة النشر تشير إلى أن التاريخ هو شهر يناير عام ١٦٢٢م؟ ولقد تبين أن الاتفاقية قد أبرمت بعد معركة "جاسك" في السنة الماضية ، ولكن من الممكن أن يكون ذلك النص الملحق قد أضيف مؤخراً ، أي قريباً من الفترة التي شهدت أحداث هرمز .

بالنسبة لتلك البنود ، فلو شاءت إرادة الرب أن يكون النصر حليف الإنجليز والفرس المتحالفين ، بحيث يمكنهم طرد البرتغاليين من المملكة ومدينة هرمز ، فإن نصف ما عثر عليه في المدينة وفي القلعة سوف يذهب لمصلحة الفرس ، والنصف الآخر للإنجليز ، ونفس القسمة سوف تنطبق على ريع مراكز الجمارك .

عندما تم الاستيلاء على القلعة ، فإن القوة التي احتلتها سوف

(أ) . Rep . on the Ind . Off, records – وثيقة من وثائق مكتب لندن .

يكون نصفها من الفرس والنصف الآخر من الإنجليز ، ولم يتمكن أي طرف من الاستئثار بها دون موافقة الطرف الآخر إلا بعدما قام الخان بمخاطبة الملك "جيمس ؛ " كي يسلمها بأكملها للإنجليز .

كان هذا ما تحقق بفضل دبلوماسية فارس ، فجميع السلع التي يحملها البريطانيون في سفنهم ملكهم ، والبضائع الإنجليزية وحركة الملاحة بشكل عام ، سوف يتم استثناؤها من دفع الرسوم ، لكن هذا لا ينطبق على البضائع والسلع التجارية التي تنقل بواسطة السفن البريطانية ، حيث يترتب عليها دفع نصف القيمة للإنجليز والنصف الآخر للفرس .

يجب على الطرفين عدم استقبال أو حماية الخدم أو الصبيان الهاربين من هذا الطرف للآخر ، كي يعتنقوا الديانة الإسلامية أو المسيحية ، وبوضوح ، فإن هذا لا يمنع تجار الشركة من رسم الصليب على أعلامهم ، وقد أصبحت إنجلترا البلد التقليدي في التبشير بالديانة المسيحية .

عندما يتم بكل نجاح طرد البرتغاليين من جميع الموانئ ، التي كانت تخدم تجارة الهند مثل مسقط والموانئ الأخرى في الساحل ، فسوف تكون القسمة مناصفة تماماً كما ورد في شروط الاتفاقية ، وسوف تشمل المناصفة نفقات السفن الإنجليزية والذخائر المستخدمة في القتال وبعد انتهاء الحرب . هناك النفقات الخاصة بالسفن عندما تقضي الضرورة الدفاع عنها .

كان هذا هو الثمن بالنسبة لحاملي الأسهم في الشركة ومضاربات التجار باسم الأمم المسيحية وتحت العلم الأوروبي ، بحيث تم التخلي

عنها لفئات مسلمة أشبه بأمم همجية وخليط من الحشود القبلية ، لا هم لها سوى ممارسة الغدر والخيانة والطغيان ضد فئات وأمم أخرى من نفس الجنس والمذهب ، ولعل المسيحيين والأوروبيين قد أرسوا دعائم حضارة في الخليج الفارسي ، وكانت انتصاراتهم على حساب بطولة البرتغاليين ، فالعودة كانت أفضل من قطع الفضة

الثلاثين التي تلقوها لقاء رفع المسيح ، ولو أخذ في الاعتبار اختلاف الزمن والتبادل .

الفصل الثاني عشر : عيد فصح برتغالـي

عندما واجه "كونستانتينو دى ايكا" الفارين من هرمز أدرك أن أفضل شيء يمكنه عمله أن يعود معهم إلى مسقط والانتظار لحين صدور أوامر جديدة .

تحت قيادة "روى فرير" كان الأسطول قد تم تسليحه بشكل جيد ، وزود باحتياجاته من المؤن والذخيرة ، هذا إلى جانب تزويده بالمئات من المحاربين الذين نالوا قسطا مناسباً من الاستجمام والراحة ، وجميعهم كانت لهم خبرات في خوض المعارك في الشرق ، وربما أمكنه مواجهة الظافرين المنهكين وهم أكثر انشغالاً بعمليات السلب والنهب ، بحيث من الممكن أن يثأر "لقشم" وهرمز بتوجيه ضربة واحدة .

هذا وقد ظهر "روي فرير" وهو يبحر ليس بعيداً عن عمان في أواسط شهر مايو وكانت هناك اثنتان أو ثلاث من السفن بقيادة "جورج دى سوسا" . السفن العاملة في تهريب السلع ، أو ما تعرف بسفن الفلفل

التي تتاجر في السلع وغيرها ، وتقوم بنقلها بين الهند وفارس ، واجهت ذلك القائد الذي كان قد أسر في قشم عندما كان في طريقه إلى هرمز مستقلاً إحدى السفن الصغيرة برفقة عشرة أو اثني عشر من الجنود .

عموماً تمكن من إقناع قادة سفن الفلفل كي تتبعه ، حيث أوعز إليهم بأنهم لن يواجهوا أية معاناة أو صعوبات ، وبالتالي اتجه الجميع إلى مسقط ، وكانت هناك احتفالات في تلك المدينة ، وعلى الشاطئ أتت إدارة القلعة لاستقباله ، وبالمثل جاء المقيمون ورجال الدين ، ووسط قرع الأجراس أخذوه إلى كنيسة (شمال جنوب دو روساريو) ومن هناك إلى "سانتو أوغسطينو" حيث أعدوا له استقبالاً جيداً .

لابد أن يكون قلب هذا الرجل الشجاع قد امتلأ باليأس والحزن لاستقباله في هذه الأجواء الاحتفالية ، وهو على علم بسقوط هرمز ، ويري رجاله الشجعان وهم في أسمال بالية .

كيف تمكن من الهروب؟ فالقصة بسيطة ومحددة ، فالإنجليز أرسلوا "روى فرير" إلى "سورات" بعد سقوط قشم مباشرة ، بتوصية تفيد بضرورة نقله إلى إنجلترا في أول سفينة متجهة إلى هناك .

يا للروعة هذا الإعلان لإنجلترا . كم من النبلاء والدوقات والأطباء والأرامل والفتيات سوف يتكالبون ويتنافسون على وضع مدخراتهم في صناديق شركة الهند الشرقية؟! وبعد مضي سنوات ، كانت الشركة وجميع مغامريها في المقدمة تستمع بكل خشوع في إخوانية "اندرو" لمواعظ "رينولدز" ، ولسانه يلهج بالشكر

للسماء التي بنت على فئة من الكفرة والخونة ، فقرر وضع الأموال في تجارة الحرير[أ] .

كان الشعار الموضوع على أسلحة الشركة تحت الدائرة الكنسية بين أسود البحر الأزرق وراية القديس "جورج" (...) .

لكن في النهاية شاءت إرادة الرب أن يتقرر شيء آخر . لقد غادرت السفن في الوقت المحدد ، حيث وصلت تلك التي كانت تقل "روي فرير" إلى "سورات" . لكن ظل السجين موجوداً على متنها تحت رقابة مشددة ، بالرغم من أنه عومل باحترام بالغ .

كان القائد الإنجليزي يعامله بكل الود ، وبالمثل فعل طاقم السفينة ، وحتى الطباخ ، والخلاسيان اللذان كانا في خدمته ، وكان اثنان من الجنود البرتغاليين وهما كانا برفقته يحاولان التودد إليه ، كي يخففا من حالة شعوره بالأسر ، وعندما حل يوم عيد الفصح في أحد الأيام خاطب "روي فرير" القائد ورفاقه من الضباط قائلاً :

أيها السادة ، غداً هو يوم عيد الفصح ، عيد الإحياء ، وأتمنى بعد إذن القائد أن تقبلوا دعوتي للاحتفال بالعيد كما هو حالنا في البرتغال في هذا اليوم .

كان الجميع قد سروا بهذه الفكرة ، ووافق القائد على إقامة المأدبة ، وسمح "لروي فرير" بإجازة لإرسال أحد الخلاسيين الاثنين للذهاب إلى "دامان" لجلب بعض الخمور البرتغالية والزيتون والحلويات وغيرها ، حيث تقرر إقامة المأدبة على الطريقة البرتغالية .

(أ) Evelyn, Diary, quoted Report on the old Records .

كان "روى فرير" قد ابتدع خطة رائعة وجريئة ، وبالرغم من أنها سخيفة ، إلا أن البريطانيين لم يساورهم أدنى شك بشأنها ، فكتب للقائد وأعضاء المجلس في "دامان" موضحاً لهم الالتزام الذي تعهد به ، وطلب مساعدتهم ، كي يرسلوا له خموراً وأطعمة طيبة تكفي عشاء ستين ضيفاً .

بشكل سري أخبر الخلاسي ، وكان هذا من أخلص ثقاته ، أن تكون الخمور محتوية على كمية وافرة من "الدترو" [Dutro] الدترو هو نوع من الأعشاب التي تنمو في الهند وتحمل ثماراً مخدرة بحيث تجعل من يتناولها مع الخمر أو الماء أو الطعام في حالة نوم مدة أربع وعشرين ساعة .

في يوم السبت عاد الخلاسي بمركبين ملئين بالطعام وأفخر أنواع الخمور البرتغالية ، وحمل المركبان خموراً معالجة ذات ماركة سرية .

في يوم عيد الفصح ، في اليوم الذي شهد حادثة الانفجار ، وتحت حصن "سانتياغو" في هرمز ، كانت الوليمة قد أقيمت بحيث شهدها القائد الإنجليزي وضباط السفينة وبعض الضيوف ، والتفوا حول طاولة ضخمة وبرميل مليء بالخمر المعالجة بجرعة كبيرة من الأعشاب التي قدمها "روي فرير" بكل معاني الكرم والسخاء لهم ولطاقم السفينة ، بصفته المضيف في تلك المناسبة .

قد تكفل الجنديان البرتغاليان بخدمة الضيوف ، وتوزيع الخمر ووضعها على الطاولة والبشاكير فوق كتوفهم ، وكان أحدهما يقوم بتعبئة الأكواب وتقديمها للضيوف . أما الطباخ فبالرغم من أنه بريطاني فقد كرس نفسه لخدمة "روى فرير" وأحسن معاملته في سجنه ، وبالتالي

فهو الوحيد الذي تم استثناؤه من تناول الخمر المعالجة "بالدترو" ، وربما حدث ذلك ليس بسبب الشفقة وإنما لأجل منعه من كشف الخدعة قبل الأوان عندما كان يقوم بإعداد الطعام .

على كل ، بدأت الوليمة بإحداث ضوضاء كبيرة بقرع الطبول وإطلاق النار ، وكان جميع الضيوف يحتسون الخمر بشراهة ، بحيث أمكن قبل حلول السابعة تقييدهم جميعاً دون أن يحسوا بذلك . أما البحارة والجنود فقد استغرقوا في سبات عميق .

بعد ذلك أمر "روي فرير" الخلاسيين بإنزال سلم من الحبال من السور والقفز في أحد القوارب الذي تم إعداده جيداً وزود بالمجاديف ، وفي الوقت المناسب كان قد رحل مع أصحابه حيث نزل في المركب وشرع في التجديف بقوة نحو الشاطئ .

لكن كانت بقية السفن قد دهشت للصمت الذي أعقب الضوضاء وإطلاق النار وحركة الضيوف في الوليمة ، وبالتالي انكشف أمر الخدعة ، ودارت الشكوك حول هروبه ، ومن ثم صارت تطلق النار على المركب ، والشروع في إعداد الزوارق لأجل مطاردته .

كان هناك الافتراض ، فلو كان غير مسلح لقضي عليه ، أما إذا كان مسلحاً ، فيجب أن يواجههم كرجل محارب . على كلٍ رمى "روي" بنفسه في الماء ثم لحق به الخلاسيان ، غير أن أحدهما غرق ، وبعد أن جاهد بشكل مستميت ، مصارعاً الأمواج تمكن من الوصول إلى البر مع الخلاسي الآخر ، حيث اختفى الرجلان تحت جنح الظلام .

دون أن يضيعا لحظة واحدة من الزمن في الراحة اتجها إلى "دامان" ،

وفي الفجر كانا قد وصلا إلى الإقليم الذي تسيطر عليه تلك القلعة ، وفي الساعة العاشرة كان قد تم استقبالهما بحفاوة في القلعة .

بعد أن فشلت مطاردتهما في البحر ، عمل البريطانيون على ملاحقتهما باستخدام مائتي جندي من الخيالة من الحاكم المحلى في "سورات" ، حيث وصلوا إلى الموانئ وأصدروا إشعارات في القرى .

باسم المدينة منح أعضاء المجلس البلدي في "دامان" أربعة آلاف "كروزادوس" إلى "روي فرير" ، وبدون أحداث أية ضجة اتجه "روي فرير" بشكل عاجل إلى "بيسين" ، حيث قام بشراء وتسليح سفينة زودها بخمسين جنديا تم تخصيصهم له من قبل المحطة التجارية .

كان عازماً على التوجه إلى هرمز ، إذ إنه توقع أن يجدها تواجه هجوماً شرساً ، وكان شعوره بالأسف عميقاً عند سماعه بأن سفنه الرائعة والقوية التي قدم بها من "لشبونه" وحاربت في "جاسك" قد ضاعت جميعها .

بعد مقاومة لم تدم سوى أيام قليلة وبسبب حماقات "سيماو دى ميلو" اتخذت الأمور منحى آخر مغايراً بوجود "روي فرير" في القلعة و"كونستانتينو دي سا" في البحر .

كان "روي فرير" قد فجع بهذا الإخفاق المأساوي ، وقضى فترة ليست بالقصيرة أثرت على معنوياته كقائد باسل ذي شجاعة استثنائية ، وكان رد الفعل أنه قد بدأ يفكر في دخول الرهبنة الأوغسطينية كي يصبح راهباً . كما وضح أيضاً أنه في ظل محاولاته الفورية للبقاء في هرمز أن سيطرت عليه هذه الفكرة واستحوذت على تفكيره طيلة الأيام الباقية من حياته .

إنه ما زال القائد في البحار ، فالضابط العام تلقى أوامره مباشرة من الملك كي يقود عمليات التفتيش ، والعمليات القتالية في بحر العرب والخليج الفارسي ، وبالمثل تجمعت القوات البحرية في مسقط كي تكون تحت قيادته ، ومن الممكن أن يصل الأسطول البرتغالي وسفن الفلفل تحت قيادة "جورج دى سوسا" في غضون ستة أيام إلى هرمز .

غير أن "جورج دي سوسا" لا يرغب في ذلك ، وبالمثل أعلن "كوستانتينو دى إيسا" عن إصراره بعدم الإبحار لأية منطقة غير هرمز ، مبيناً أنه لم يتسلم أوامر بذلك من سعادة الحاكم في الهند . لم يذكر سجل الأحداث هذا ، ولكن ورد ذلك في رسالة الثالث من شهر يونيو من "جواو دا كونسيكاو" إلى "فيرناو دى البوكيرك" ، وقد علق عليها بشكل مؤسف قائلاً :

"لذا ، فبسبب انتظار أوامر جديدة ، فإن كل شيء قد آل إلى ضياع" .

استمر "كونستانتينو" في البقاء في مسقط حتى شهر أغسطس ، وفي التاسع من ذلك الشهر ، وفي ظل عدم قناعته بأنه قائد في المساعدات في هرمز ، عمل على ترفيع نفسه بحيث أصبح قائد السفن وأسطول المجاديف ، والقائد العام في مضيق هرمز ، وهكذا عين "د . غونسالو دا سيلفيرا" قائداً للأسطول العامل بالمجاديف مؤقتاً إلى حين صدور أوامر أخرى من نائب الملك .

قد أوكلت له مهمة البقاء لمراقبة تلك البحار والسواحل ، خاصة وإن "سيماو دى ميلو" سوف يبحر شخصياً إلى الهند ؛ كي يقدم تقريراً عن أحوال هرمز ، وما يمكن عمله بشأن حالة الحرب السائدة في تلك البحار ، وبالمثل مسألة التحصينات في القلعة .

يبدو أنه بوصول "مارتيم أفونسو دي ميلو" كقائد لحكم مسقط ، قام "كونستانتينو دى سا" بتسليمه بقية الأسطول ، وذلك وفقاً لوصية "روي فرير" الذي رافقه في رحلته إلى "شول" بنية الإبحار من هناك إلى "غوا" .

أبحر أيضاً "سيماو دى ميلو" ورفاقه ، ولكن بمفهوم آخر لأن وخز ضميره لم يترك له مجالاً لما يمكن أن يتوقعه ، وفي ظل إحساسه بعدم الأمان في الإقليم البرتغالي فقد اتجه إلى إقليم عادل خان .

عندما وصل "روي فرير" إلى "غوا" أحسن البعض استقباله ، ولكن لم يكن الشيء نفسه من قبل الحاكم العجوز ، فاتجه إلى إخوانية الأوغسطينيين ، إذ ما تزال فكرة العمل كراهب تراوده من حين لآخر ، وبالتالي طلب إجراء تحقيق في تصرفاته وسلوكه .

تم تعيين مجموعة من القضاة ، "غونسالو بنتو دا فونسيكا" ، كبير المستشارين في مملكة الهند و"أنطونيو باريتو" وقاضي القضاة ... لكن كانت إجراءات التحقيق تسير بشكل بطيء جداً ، ولم يتم الوصول إلى أي قرار أو حكم ، وبحسب الرواية التاريخية المسجلة ، فإن الحاكم قد منع هذا خلال فترة حياته ، حيث إنه لم يرغب في أن يتجنب "روي فرير" مسؤولية الوفاء بالتزاماته في قشم التي نفذها بخلاف رغبته وأوامره ، وبسبب كرم "البوكيرك" ، فإنه لم يقدم أية تجاوزات بخصوص العقوبة .

في التاسع عشر من شهر ديسمبر عام ١٦٢٢م ، كان هناك نائب ملك جديد ، وهو "د . فرانسيسكو دا غاما" ، وقد وصل "كوند دى

فيديغويرا" في "غوا" كي تسلم مقاليد الحكم ، لكن كان هناك من يدفع ثمن سقوط هرمز .

كارثة عظيمة أدت إلى سفك الكثير من الدماء ، لكن لم يعش "فيرناو دى البوكيرك" طويلاً كي يشهد الاضطرابات والغليان الشعبي ضد حكمه ، إذ إنه توفي عام ١٦٢٢م .

اختفى عن الأنظار المدعو "سيماو دى ميلو" .

أما "لويس دى بريتو" ، الذي رافقه في هرمز والذي غاب اسمه بشكل غريب عن كل روايات هذه المأساة الطويلة ، فقد تبين أنه اتخذه ضحية للتكفير عن أخطائه .

هناك ابن اخ "فيرناو دى البوكيرك" كان قد أرسله كأميرال في أسطول "سيماو دى ميلو" ، وإذا كان المرء يؤمن بما يقوله العالم بالأنساب ، فإنه قد قتل بسبب استسلام هرمز ضد رغبات الكابتن . صحيح أن ذلك العالم بالأنساب يعلم القليل عن الأمر ، وأنه قد أخطأ في ذكر تاريخ الاستسلام ، ويزعم أن الهولنديين هم من انتصر موضحاً أنه قد سجل الفضيحة ، ويستطرد قائلاً :

البعض يقولون إن "لويس" بريء وأن "الكوند دي فيجويرا" قد أمر بقتله بسبب ما روي من أنه قد شق وجه صهره "الكوند كاستانهيرا" "Conde de Castanhera" مستخدماً سكيناً ، وكان ذلك في البرتغال !

أما بالنسبة "لروي فرير" ، فقد ذهب نائب الملك لرؤيته ، وتشجيعه

على فكرة تحوله إلى راهب في وقت كان الملك ، وكانت مملكة الهند في أمس الحاجة إليه ولتضحياته البطولية ، وبالتالي فقد أرسله في ست من السفن المسلحة ؛ لتولي قيادة القوات البحرية الموجودة مع "كوتستانتينو دى ايسا" ومواصلة قيادة المهام في بحر العرب والمضائق ، وبالفعل غادر في شهر إبريل من عام ١٦٢٣م .

من خلال سعي الفرس لمواصلة سياستهم في طرد البرتغاليين من سواحلهم ، تمكنوا من احتلال "صحار" ، وحتى مسقط نفسها لم تعد آمنة من هجماتهم ، ولكن بعد أن انتشر خبر وصول "روي فرير" في المنطقة ، هجروا الموانئ التي سبق أن احتلوها في ساحل العرب ، واتجهوا إلى تركيز اهتمامهم على "خور فكان" و"دبا" و"ليماو" و"كاشوبو" و"الرمس" و"جلفار" .

حتى بعد انسحاب البريطانيين لم يتوقف "روي فرير" عن جهوده العاصفة ؛ لأجل تحرير السواحل بقوة الحديد والنار في الخليج وفي المضائق . أما في هرمز فقد ضرب حصاراً حولها ، لكنه لم ينته باحتلالها ، فقام بتدمير "قمبرون" ، وتمكن من إقامة مركز للجمارك في "كونج" رغم أنف البريطانيين ، وأرسل قوات للبصرة تحت قيادة د . "غونسالو دا سيلفيرا" ، الذي أبحر في نهر الفرات حتى وصل إلى بغداد .

أما البقية من فترة حياته فقد كانت بمثابة إعصار عنيف من الرعب والمغامرة والسمو والرفعة بحيث ذاع صيته . أصبح اسمه نداً أو نظيراً لاسم "أفونسو دى البوكيرك إي سيكويرا" في مياه المحيط الهندي .

آخر حلقة في سلسلة أحداث البرتغاليين الصاخبة آلت إلى نهاية . بعدها توفي في مسقط في شهر سبتمبر عام ١٦٣٣م ، وربما تكون بعض رفات جسده العظيم ما زالت مسجية تحت حجر ما لم تتناوله أيدي أحد الأصدقاء بكتابة عبارة "هنا يرقد رجل" .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

وردت رسالة إلى الملك يشير فيها نائب الملك إلى تحضيراته لاسترداد هرمز ، "غوا" ، في شهر يناير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

وردت رسالة إلى الملك ، يزكي "مانويل استيفاو دا كوستا" "Manuel Estifao da Costa" الذي يريد قيادة "ممباسا" ؛ لأنه لم يكن قادراً على استلام منصب الشهبندر في هرمز بعد احتلالها ، "غوا" "Goa" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ١١)

الوثيقة رقم : ٣

وردت رسالة إلى الملك ، فيها معلومات عن الخدمات ذات الصلة

التي يقدمها "جاسبار جوميز" "Gaspar Gomez" كبير نظار المرافئ في الدولة ، وقد شارك في الحملة التي أرسلها إلى هرمز الحاكم "فيرناو دي البوكيرك" "Fernao de Albuquerque" ، بقيادة "قسطنطينو دي سا دي نورونها" "Constantino de Sa de Noronha" . "وبسبب سلوكه خلال هذه الحملة يتم منحه باسم جلالتكم – وسام يسوع ، وصدر أمر ملكي له" ، وقد استمر في تقديم خدمة ممتازة "وسيرافقني إلى هرمز" ، وفي ضوء هذا الوضع ينبغي تأكيد منح الرداء ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م . **(صفحة رقم ١٣)**

الوثيقة رقم : ٤

وردت رسالة إلى الملك ، فيها معلومات إيجابية عن "أنطونيو دي سالدانها" "Antonio de Saldanha" الذي عينته الآن ؛ لقيادة السفن الشراعية التي سأذهب عليها إلى هرمز على الرغم من أنه كان بحاجة إلى الإبحار إلى البرتغال "ليتولى متطلباته الشخصية" ، وقد زكّاه ليحظى بالرعاية الملكية ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م . **(صفحة رقم ١٥)**

الوثيقة رقم : ٥

صدر رد على رسالة الملك رقم : (٦) . كانت العلاقات مع "عادل راجا" في "كانانور" "Cananor" عادية فقط ، وعندما تكتمل الحملة إلى هرمز سيكون نائب الملك في وضع أفضل ليتمكن من إرغام "عادل

راجا" على الميل أكثر لسياسات دولة الهند ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م .
(صفحة رقم ١٧)

الوثيقة رقم : ٦

دوّن سجل الأشخاص الذين لقوا حتفهم على أيدي المسلمين في حرب هرمز ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م .
(صفحة رقم ١٩)

الوثيقة رقم : ٧

وردت رسالة إلى الملك ، بشأن المبلغ الذي سلمته "المزريكورديا" "Misericordia" في "غوا" للمساعدة على تمويل المحاولة البرتغالية لاستعادة هرمز ، وقد تم إيداع المبلغ في "دير سان فرانسيسكو" ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م .
(صفحة رقم ٢٢)

الوثيقة رقم : ٨

وردت رسالة إلى الملك ، فيها معلومات عن بعض الحكام الشرقيين ، بعد سقوط هرمز أصبحت التجارة تتم عبر البصرة ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م .
(صفحة رقم ٢٤)

الوثيقة رقم : ٩

وردت رسالة إلى الملك ، بشأن معلومات تتعلق بالسفن الخفيفة

التي يقودها "لويس دي ميلو دي سامبايو" "Luis de Milo de Sampaio" ، والتوجه إلى هرمز ، "غوا" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م . **(صفحة رقم ٢٩)**

الوثيقة رقم : ١٠

صدر رد على رسالة الملك بشأن فقدان هرمز ، "لشبونه" ، شهر يناير عام ١٦٢٤م . **(صفحة رقم ٣٣)**

الوثيقة رقم : ١١

صدرت رسالة من الكونت نائب الملك إلى الملك بشأن فقدان هرمز ، بتاريخ عام ١٦٢٤م . **(صفحة رقم ٣٦)**

الوثيقة رقم : ١٢

وردت تعليمات إلى "د . غونسالو دا سيلفيرا" "D . Goncalo da Silviera" من "روي فرير دي أندراد" بشأن البصرة ، مسقط ، الثاني من شهر يناير عام ١٦٢٤م . **(صفحة رقم ٣٨)**

الوثيقة رقم : ١٣

وردت التوجيهات الصادرة من "روي فرير دي أندراد" إلى "د . غونسالو دا سيلفيرا" ، مسقط ، الثالث من شهر يناير عام ١٦٢٤م ، ويذكر أنه تمكن من الحفاظ على أسطول في البصرة لشن الحرب على هرمز ، والاستيلاء عليها . **(صفحة رقم ٤٣)**

الوثيقة رقم : ١٤

وصل تقرير السفارة الذي أرسله الملك "فيليب" عاهل "قشتالة" والبرتغال إلى ملك فارس ، بتاريخ عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٥٠)

الوثيقة رقم : ١٥

صدرت رسالة من الكونت أميرال إلى الملك بشأن استعادة قلعة "صحار" من الفرس ، بتاريخ السابع عشر من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٥٢)

الوثيقة رقم : ١٦

جاء رد على الرسالة الملكية رقم ١٠٢ ، بشأن إنفاق ثمانية آلاف "كروزادوس" في السفينة الغليون "ساو جواو" "Sao Joao" ، يوضح نائب الملك النتائج التي توصل إليها في القضية ، "غوا" ، الثامن عشر من شهر يناير عام ١٦٢٤م ، لسد نفقات الأسطول الذي توجه إلى هرمز .

(صفحة رقم ٥٦)

الوثيقة رقم : ١٧

وردت رسالة إلى الملك ، فيها معلومات عن "جاكومي دي موريياس" ، قائد موزمبيق السابق ، والذي كان يتعين عليه – بصفته قبطان سفينة – أن يرافق نائب الملك خلال الحملة إلى هرمز ، وهو يشيد بـ "جواو غوميز

فايو" و"جاسبار جوميز" - كبير نظار المرفأ - لدى الملك ، "غوا" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٥٨)

الوثيقة رقم : ١٨

صدرت رسالة من الملك ، تتعلق بقلعة في مسقط ، رداً على رسالة من نائب الملك في التاسع من ديسمبر عام ١٦٢٢م ، "لشبونه" - بتاريخ الرابع والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٦١)

الوثيقة رقم : ١٩

صدرت رسالة من الملك إلى الكونت نائب الملك في الهند بشأن سقوط قلعة قشم وتبرئة "روي فرير دي أندراد" ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٦٣)

الوثيقة رقم : ٢٠

صدرت رسالة من الملك ، يوافق فيها على قرار المحكمة العليا بتبرئة ساحة "قسطنطين دي سا دي نورونها" من أي ضلوع في فقدان هرمز ، "لشبونه" ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٦٥)

الوثيقة رقم : ٢١

صدرت رسالة من الملك ، وافق فيها على قرار مجلس الدولة بتبرئة

"روي فرير دي أندراد" من التهم التي وجهت إليه بسبب فقدان قشم ، "لشبونه" ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٦٧)

الوثيقة رقم : ٢٢

صدرت رسالة من الملك إلى الكونت نائب الملك في الهند بشأن تبرئة "قسطنطين دي سا دي نورونها" ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يناير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٦٩)

الوثيقة رقم : ٢٣

صدرت رسالة من الملك ، وطبقاً لمعلومات من نائب الملك بتاريخ الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م ، فإن شاه محمد – ابن أخي ملك هرمز ، طلب تعيينه حاكماً على أراضي عمه الواقعة في شبه جزيرة العرب ، وقد وافق نائب الملك خلال اجتماع للمجلس على هذا الطلب ، ووافق الملك ، "لشبونه" ، بتاريخ التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٧١)

الوثيقة رقم : ٢٤

صدرت رسالة من الملك إلى الكونت نائب الملك في الهند ، بتاريخ التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢٤م ، باعتماد حكم الإعدام

على "لويس دي بريتو" "Luis de Breito" بسبب الذنب الذي ارتكبه بتسليمه قلعة هرمز . **(صفحة رقم ٧٣)**

الوثيقة رقم : ٢٥

صدرت رسالة من جلالة الملك ، بالنسبة للأخبار الواردة من نائب الملك بتاريخ الثامن عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م ، فإن "شاه ماميدي" (محمد شاه) ، ابن أخي ملك هرمز قدم التماساً بشأن تعيينه حاكماً على أراضي عمه في البلاد العربية ، ولقد حظي التماسه هذا بموافقة من نائب الملك في المجلس ، وكذلك موافقة الملك نفسه ، "لشبونه" ، بتاريخ التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢٤م . **(صفحة رقم ٧٥)**

الوثيقة رقم : ٢٦

صدرت رسالة من جلالة الملك ، مطلب "فرانسيسكو برنداو دي ليما" بخصوص التصديق على عقد إيجار جزيرة مصيرة التي منحها له نائب الملك "لورنسو دي تافورا" "Lorenco de Tavora" ، "لشبونه" ، بتاريخ التاسع من شهر فبراير عام ١٦٢٤م . **(صفحة رقم ٧٧)**

الوثيقة رقم : ٢٧

صدرت رسالة من الملك ، وهو يكلف نائب الملك ليشكر "روي دي ميلو دي سامبايو" "Rui de Milo de Sampaio" و"جاسبار دي ميلو"

"Gaspar de Milo" – القائد في "غوا" – نيابة عنه لسلوكهما خلال وقت إرسال النجدة إلى مسقط ، "لشبونه" ، بتاريخ السادس عشر من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٧٩)

الوثيقة رقم : ٢٨

صدرت رسالة من الملك ، وكان نائب الملك قد نبه الملك في رسالته بتاريخ الثاني عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م إلى ضرورة إيقاف المسلمين في شبه جزيرة العرب عن الذهاب إلى جزيرة "مدغشقر" إذ أنهم لا يقتادون العبيد فقط من هناك بل يمنعون هداية أهلها إلى المسيحية ، "لشبونه" ، بتاريخ السابع عشر من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٨١)

الوثيقة رقم : ٢٩

وصلت رسالة في اليوم الثالث والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٤م ، كان فخامة الكونت أميرال نائب الملك في المجلس في "غوا" مع أسقف "كوتشين" الموقر ، ومدير الأسقفية ، و"روي دي ميلو دي سامبايو" ، "والدون لورنسو دا كونها" "Lorenco da Cunha" ، ومراقب الخزانة الرئيس "بيرو دي توفار" "Sancho de Tovar" ، وقبطان المدينة "جاسبار دي ميلو دي سامبايو" ، من "روي فرير دي أندراد" القبطان العام لمضيق هرمز .

(صفحة رقم ٨٣)

الوثيقة رقم : ٣٠

صدرت رسالة من الملك يشير فيها إلى رسالة مؤرخة في الخامس عشر من شهر مارس عام ١٦٢٣م مرسلة من نائب الملك تتعلق بحصار "غوا" من قبل سفن هولندية ، ولم تكن لدى الدولة قوات كافية لصد السفن بواسطتها ، ويوصي الملك بتصليح سفن الغليون وبإيلاء اهتمام أكبر لمشكلة الدفاع ، "لشبونه" ، بتاريخ الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٨٩)

الوثيقة رقم : ٣١

صدرت رسالة من الملك ، كلف الملك نائب الملك بشكر السادة الذين ساعدوه عندما حاصرت السفن الهولندية "غوا" ، وقد ذكر أسماءهم ، "لشبونه" ، بتاريخ الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٩٢)

الوثيقة رقم : ٣٢

صدرت رسالة ملكية . يقول إنه أرسل "رسالة الأخوة إلى ملك قشن ، "لشبونه" ، بتاريخ الخامس من شهر مارس عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٩٤)

الوثيقة رقم : ٣٣

صدرت رسالة من الملك . كان "فرانسيسكو برانداو دي ليما" قد

طلب تأكيد عقد استئجار جزيرة (مصيرة) الذي منحه إياه نائب الملك ، "لورنسو دي تافورا" ، "لشبونه" ، بتاريخ الثالث عشر من شهر مارس عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٩٦)

الوثيقة رقم : ٣٤

صدرت رسالة من الملك إلى حكام البرتغال بشأن مسقط ، "مدريد" ، بتاريخ الثاني والعشرين من شهر مايو عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٩٨)

الوثيقة رقم : ٣٥

صدرت رسالة من "نيكولاو دا سيلفا" إلى الملك "سانشو دي توفار" ، مسقط ، بتاريخ الخامس والعشرين من شهر مايو عام ١٦٢٤م ، وفيها أمر القبطان العام بالتوجه إلى هرمز .

(صفحة رقم ١٠٠)

الوثيقة رقم : ٣٦

قدمت الشكوى ضد "جورجي دي البوكيرك" "George de Albuquerque" مسؤول سلطة صاحب الجلالة الملكية ، ووكيل خزينته ضد "جورجي البوكيرك" . فيما يتعلق بالخسائر التي طالت قلعة هرمز ، الكاتب "ديوغو دياس لوبو" "Diogo Dias Lopo" مسؤول السلطة الملكية ، المحامي "مانويل دا فيجا" "Manuel da Vega" ، "غوا" ، من التاسع عشر من شهر فبراير إلى الخامس والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٢٤م ، وتمت

محاكمته في قضية سقوط هرمز ، وقد تقدم بالتماس للدفاع عن قضيته العادلة .

(صفحة رقم ١٠٦)

الوثيقة رقم : ٣٧

صدرت رسالة من نائب الملك إلى "د . غونسالو دا سيلفيرا" ، قائد السفن في البصرة ، من "بانجيم" "Banjim" في الرابع عشر من شهر نوفمبر عام ١٦٢٤م ، بشأن جيوش الشاه والأتراك .

(صفحة رقم ٢٣٥)

الوثيقة رقم : ٣٨

جاءت أحداث كتاب ضياع هرمز ، للكاتب "لوتشيانو كورديرو" "Luciano Cordeiro" ، وفقاً لتقارير ومعلومات وثائقية ، بتاريخ عام ١٦٢٤م .

(صفحة رقم ٢٣٧)

هوامش المجلد الثامن عشر

1- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 175.
2- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 205.
3- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 199.
4- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 201.
5- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 6.
6- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 68.
7- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 156.
8- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 136.

9- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 132.

10- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 2.

11- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/130, 1623-1630, Doc. 100.

12- Luciano Cordeiro-Questoes Historico-Coloniais. III. Lisboa, Agencia-Geral das Colonias, 1936, pp. 318-320.

13- Luciano Cordeiro-Questoes Historico-Coloniais. III. Lisboa, pp. 320-323.

14- Bibliotheca National de Portugal-Portuguese National Library (BNL), Fondo Geral, General Series of Manuscripts (FG), 580, ff 34r-83v.

15- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/130, 1623-1630, Doc. 104.

16- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 102.

17- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 188.

18- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 31.

19- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/130, 1623-1630, Doc. 118.

20- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 159.

21- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 152.

22- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/130, 1623-1630, Doc. 119.

23- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 53.

24- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651, I/3/130, 1623-1630, Doc. 120.

25- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 53.

26- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 200.

27- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 177.

28- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 48.

29- Arquivo de Goa (AG), Assentos do Conselho do Estado, vol. 1, Doc. 62.

30- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 38.

31- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 7.

32- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 77.

33- TT, Documentos remettidos da India (Livros das Moncoes), 1605-1651,Book X, Doc. 200.

34- TT, Colleccao de Sao Vicente (SV), vol. XIX, f 262.

35- TT, Colleccao de Sao Vicente (SV), vol. XIX, f 362.

36- Batalhas da India. Como se perdeu Ormuz. Processo inedito do seculo XVII. Lisboa, Imprensa Nacional, 1896 (Quarto Centenario do Descobrimento da India. Contribuicoes da Sociedade de Geografia de Lisboa, pp. 173-184, 215-218, 221-269.

37- Luciano Cordeiro-Questoes Historico-Coloniais. III. Lisboa, p. 325.

38- Batalhas da India: Como se Perdeu Ormuz, Luciano Cordeiro, Imprensa Nacional, Lisboa, 1896.

ISBN 978-9948-720-06-5
9 789948 720065
www.alqasimipublications.com